بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

جامعة أم درمان الإسلاميَّة

كلية الدراسات العليا – كلِّية اللغةِ العربيَّة

بحث بعنوان :

حاتم الطائي والنَّمِرُ بْنُ تولب العُكْلِيّ

دراسة أدبية نقدية موازنة

لنيل درجة الماجستير

الباحثة :

معزَّة ساري إلياس الزبير

المشرف :

د. محمد زروق الحسن

العام الدراسي

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الآيـــــــــــة

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

لمن قال فيهم ربي : (ولا تقل لهما أفٍ ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريما) .

لوديعتي في هذه الدنيا " أهلي " .

لروح أبتي د. بابكر البدوي دشين - رحمه الله - .

الشكر والعرفان

الشكر أولاً وأخيراً لله سبحانه وتعالى الذي أنعم علي بنعمة الصحة والعافية ، وجعلني من أمة محمد " صلى الله عليه وسلم " ورزقني اتباعه .

ثم من بعد لجامعة أم درمان الإسلامية التي وهبتنا الكثير ، وأخص كلية اللغة العربية وكل أساتذتي ، وأستاذاتي وزميلاتي داخل الوطن الحبيب ، وبأرض الحرمين الشريفين راجية لهم التوفيق والعافية .

وأجزل الشكر لأستاذي الذي أشار علي بهذا البحث ، وتابعه ، وأشرف عليه ، وصححه منذ البدء إلى أن صار بهذه الطريقة التي بين أيديكم الدكتور محمد زرُّوق الحسن .

ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، وأسرة مكتبة مركز الطالبات ومجمع اللغة العربية .

لوالديَّ " رجاء و سليمان إلياس الزبير " جعلني الله عند حسن ظنهما .

ولصديقاتي رفيقات دربي ، وزميلاتي في كل المراحل ، وكل من شاركوني سؤالاً ، واستفساراً ، وتشجيعاً .

وأولاً ليس آخرا لأناس لا تعلموهم الله يعلمهم ويجزلهم عنِّي العطاء ..

وأخيراً أقول : " ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين " .

ملخص البحث

تناول هذا البحث شاعرين من أهم شعراء الأدب القديم ألا وهما (حاتم الطائي والنمر بن تولب العكلي – رضي الله عنه –) . مبينة تلك البيئة وأحوالها الخاصة والعامة وتحليل الديوانيين ومن ثم الموازنة بينهما في أخلاقهما ومادتهما الشعرية عامة ، فهما من الشعراء اللذين تنادوا بمكارم الأخلاق ولذلك أشرت إلى أهمية دراسة شعراء كهؤلاء حتى نُعلم الجميع أننا اهتدينا إلى ذلك بالفطرة السليمة الناضجة وشهد لنا بذلك الإسلام العظيم .

Abstract

This research reflects light on two poets who are considered the best in their time they relate to the poets of the ancient Arabic literature and our motive for this effort is to analyze their social life from different sides as well as their poetical production which we believe contains a distinguished quality of Nobel concepts.
Those two poets
Are: Hatim Al.taee and Al.namir bin Tawlab Al.ukli
Let us get near to know some think about them.

المــــقــدمــــة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ذي النعم التي لا ترد ، حمد أمة لا تسع إلا أن تحمده ، وتأتمر بأوامره ، وتجتنب نواهيه ، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد بعد الرضى .

وبعد :

تهيأت للعرب كل سبل التعلُّم ، وتيسرت لهم أسبابه ، فامتلكوا الوسائل المختلفة لثقافة اللسان والفكر ، وتمتعوا بقدر عالٍ من الفضائل والأخلاق السمحة التي صوروها لنا في خطبهم ، وأشعارهم فكان أدبهم نتاجاً لتلك البيئة بما فيها من عادات وتقاليد . وإذا نظرنا إلى موقعهم بين البلدان ، وإلى لغتهم ، وتمسكهم وتماسكهم ببعضهم وبخصالهم وأخلاقهم لقلنا إنها لتهيئة وتمهيد لرسالة الإسلام الشريفة – والله أعلم – .

وخلاصة القول إن تلك الفترة ومع فسادها العقدي والديني إلا أنها مليئة بالأخلاق والفضائل السمحة ، وفي هذا البحث نتناول أنموذجين من شعرائها أولهما عاش في العصر الجاهلي ولم يدرك الإسلام ، ولم يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله إلا أنَّ الإسلام شهد له بفضائله وأقرها ، وهاهو ذا رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) يطلق ابنته " سفَّانة " إكراماً له ألا وهو " حاتم الطائي " ، فلم يكن كريماً فحسب بل كان شاعراً يصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، كما جاءنا بذلك ابن الأعرابي .

وثانيهما : " النّمْرُ بن تَولَب العُكْلِيّ – رضي الله عنه – " شاعر مخضرم ، أسلم فحسن إسلامه ، وسافر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فوصف رحلته إليه ، ومدحه ببعض الأبيات قائلاً :

إنا أتيناك وقد طال السفـــــــــــــــــــر

نقود خيلا ضمراً فيها عســـــــــــــــر

نطعمها الشحم إذا عز الشجـــــــــــــر

والخيل في إطعامها اللحم ضرر

يا قوم إني رجل عندي خبـــــــــــــــــــــــــر

الله من آياته هذا

القمــر

والشمس والشعرى وآيات أخـــــــــــــــــــــر

ومن يتسام بالهدى فالخبث شـــر

فالنمر صاحب شخصية قوية ، يتمتع بصفات السيادة في مجتمع تسوده عادات وتقاليد هي نظامه القائم . كان سخيّاً معطاءً . ومنزلته الشعرية في الطبقة الثامنة من فحول الشعراء الجاهليين الذين صنّفهم محمد بن سلّام الجمحي . وهناك أوجه تشابه كثيرة بين هذين الشاعرين كما يقول أبو عمرو بن العلاء ، مما دفعني لأن أدرسهما وأوازن بينهما في دراسة بعنوان " حاتم الطائي والنمر بن تولب العكلي – رضي الله عنه – دراسة أدبية نقدية موازنة " ، وبدراستي لهما أقف على الفترتين ، وأعرف جوانب مختلفة في حياتهما ، وما اشتركا واتفقا عليه ، وما امتاز به كل منهما على الآخر وصفاً وتحليلاً . اعتمدت فيها على ديوان النمر – تحقيق : محمد نبيل طريفي – ، أما ديوان حاتم الطائي طبعة دار صادر ، وطبعة دار الفكر العربي – تحقيق : عباس إبراهيم – ، وطبعة المكتبة العصرية – لدرويش الجويدي، فطبعاته متطابقة تقريباً من حيث المادة المجموعة ، وهناك اختلاف طفيف في تفسير بعض المفردات ، كما أنَّ هناك مقطوعتين فقط انفردت بهما دار الفكر العربي – تحقيق : د. عباس إبراهيم – ، لذلك اعتمدتُ على طبعة دار صادر التي تحصلت عليها أولاً ، ثم رجعت لمقطوعات حاتم في طبعة دار الفكر العربي ، وبهذا أكون قد اعتمدت على ديوان حاتم بطبعاته المختلفة " دار صادر ، ودار الفكر العربي " تحرياً للدقّة ، وحرصاً على المادة .

بدأت بتمهيد تحدثت فيه عن جوانبهما التاريخية ، والاجتماعية مع ذكر آراء النقاد القدامى ، والمحدثين ، والعرب ، والمستشرقين ، ثم انتقلت إلى الباب الأول وكان الحديث فيه عن الأغراض الشعرية ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول " الفخر " ، وفيه مبحثان ، المبحث الأول " الفخر الذاتي " ، وحوى تفصيلاً ، وشرحاً ، وموازنة بين هذا الغرض عند كليهما . والمبحث الثاني " الفخر القبلي " ، وبدأت باب الأغراض بالفخر لأنه الغالب على أشعارهما ولاسيما حاتم ، ثم الفصل الثاني وهو " المدح " لاشتراكه والفخر في تعريف واحد " عند ابن رشيق " ، ثم الفصل الثالث " الحكمة " لقربها في المعنى من الفصلين السابقين ولأنَّ جلَّ أبياتهما فيها ممزوج بالفخر ، ولاتفاقهما عليها ، ثم الفصل الرابع درجت تحته " الأغراض الأخرى " حصراً للأغراض المتبقية في فصل واحد ، فكان المبحث الأول " الغزل " لأنَّه الأكثر ما خلا الوصف – مع أنه لا يتعدى مطالعهم – ، ثم المبحث الثاني " الهجاء " والمبحث الثالث " الرثاء " ثم المبحث الرابع " الاعتذار والاستعطاف والشكر " ، ثم المبحث الخامس "الوصف" لأنَّ الشاعر يفخر، ويمدح ، ويتغزّل ، ويرثي مستخدماً هذا الباب ، مستعيناً به فهو بمكان العمدة للأبواب السابقة، ولأن الوصف من أوسع الأغراض معنىً ، وأشملها للأغراض السابقة ، ويحتمل أن يمثل أي غرض مما سبق لذلك أخرته تجنباً للتكرار ، وحصراً لما لم يذكر فيما سبق من أغراض .

أما الباب الثاني فكانت فيه " الدراسة الفنية " ؛ وقسمته إلى أربعة فصول ، فالفصل الأول " الموسيقى " ، وقسمته إلى مبحثين ؛ المبحث الأول " الموسيقى الخارجية " وعرضت فيه مقدمة عن علم العروض ، وتحدثت فيه عن البحور التي تناولها الشاعران ، وأوردت آخِره جدولاً أوضحت فيه نسب استخدامات كل منهما حتى تتضح الموازنة ، ويظهر الفرق . ثم تحدثت فيه عن القوافي ، وأنواعها ، وعيوبها ، وما استخدماه منها ، وما انفرد به كلٌّ منهما عن الآخر . والمبحث الثاني " الموسيقى الداخلية " وتناولت فيه بعض الألوان البديعية التي ألمَّ بها الشاعران ، والتي أكسبت أبياتهما جرساً ونغما ، وأشاعت الطرب والهِزة فيها . وفي الفصل الثاني تحدثت عن " الصورة الشعرية " مبينة الألوان البيانية والصور الفنية المختلفة عند شاعرينا ، فكان المبحث الأول هو " التشبيه " ، والمبحث الثاني " الاستعارة " ، والمبحث الثالث " الكناية " .

والفصل الثالث " بناء القصيدة " عرفت فيه بمفهوم البناء في القصيدة العربية ، وتحدثت عن الوحدة الموضوعية في القصيدة تطبيقاً على مادة الشاعرين ، فكان

المبحث الأول " المطلع "، والمبحث الثاني " التخلص "، والمبحث الثالث "الخاتمة "، والمبحث الرابع " وحدة القصيدة " .

الفصل الرابع " اللغة والمعجم الشعري " ، قسمته إلى مبحثين ؛ أولهما " الظواهر اللغوية " وقسمته إلى مطلبين ، ألأول تحدثت فيه عن الظواهر اللغوية عند الشاعرين ، والمطلب الثاني أوردت فيه عدداً من أبيات الشاعرين التي تم الاستشهاد بها من قِبَل النحاة واللغويين ، وفي هذا دلالة على سلامة لغتهما وفصاحتها . والمبحث الثاني " المعجم الشعري " ، وتحدثت فيه عن المفردات التي تناولاها فعدَّدت منها نماذج وأشرت إلى الأخرى .

وأخيراً أتيت بأهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها من هذه الدراسة ، ثم أوردت فهرسأ للآيات ، وفهرساً للمصادر والمراجع ، وفهرساً للموضوعات ، وبهذا أكون قد أكملت متطلبات البحث مادةً ومنهجاً ، راجية من الله أن ينفع به كل طالب، ويتقبله خالصاً لوجهه تعالى ، ويجعله مفتتحاً لدراسات أخرى مفيدة وشائقة .

والحمد للهِ ربِّ العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً

الباحثة

الإثنين ٢٠١٢/١٢/٢٤م

﴿ التمهيد ﴾

التعريف بالشاعرين

أولاً: حاتم الطائي :

حاتم الطائي شاعر جاهلي صاحب فطرة سليمة شكرتها الجاهلية وأقرها الإسلام ، حظي بالذكر الطيب ، والسيرة المثلى ، فكان نعم الابن والأخ ، والصاحب ، والجار ، ينصر الضعيف ، ويفك العاني والأسير ، ويرحم الفقير ، ويحفظ الذمار ، ويرعى الجار . صاغ لنا تلك الآداب في صور شتى وضروبٍ عدة ، وقوالب بلاغية متعددة نراها من خلال ديوانه ، ولكن لنقف برهة نتعرفه عن قرب " نسبه ، بيئته ، أخباره ، زوجه ، أغراض شعره ، وصاياه ثم وفاته " .

أ: نسبه :

هو عبد الله بن سعد بن الحَشْرج بن امرئ القيس بن عدِي ينتهي نسبه إلى سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان[1] .

وقيل هو حاتم بن عبدِ الله بن سعْد بن الحَشْرَج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم ابن أبي أخزم واسمه هزومة بن ربيعة بن جَرْول بن ثُعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ويكنى بــ (أباسِفَّانة ، وأباعدي) كني بابنته سفانة وهي أكبر ولده وبابنه عدي بن حاتم .

وأمه عنبة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم[2] . ومن هنا يتضح أن هنالك صلة قربى بين أمه عنبة وأبيه عبد الله ، فهو عمها ابن عم أبيها .

---

[1] تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ابن عساكر، متوفي ٥٧١هــ هذبه ورتبه : الشيخ عبد القادر بدران ١٣٤٦هــ ، ط٣ ، ج ٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط ١٤٠٧هــ– ١٩٨٧م ، ص ٤٢٤ .

[2] الأغاني ، أبو الفرج الاصفهاني ، دار صعب عن طبعة بولاق الدكرور الأصلية ، بيروت – لبنان ، ج ١٥ – ١٦ ، ص ٩٦ .

ب: بيئته :

وهو من طيء من القبائل التي انتقلت بعد سيل العرم فنزلت " أجأ وسلمى "[1] في سلسلة جبال السُّراة الغربية ، الواقعة غربي العاصمة اليمنية (صنعاء في الجنوب) ، وأشار إلى مسكنه وموطنه بقوله مخاطباً الحارث بن عمرو[2] :

إنَّما بيننا وبينك فاعـــــــــــــــــــــــــــــــــــلم سير تسع للعاجل المنتابِ

فثلاث من السراة إلى الحلبط للخيل جاهداً والركـــــــــــــــــــــــــــابِ

أي بيني وبينك سير تسعِ ليالي ، وبدأ بتفصيلها ؛ ثلاثة أيام من منطقة السراة إلى الحلبط .. وهذا دليل كونه يسكن في أو قرب تلك المنطقة ، وقال[3] :

سقا اللهُ ربُّ الناس سحًّا وديمة جنوب السراة من مآب إلى زعـــــــــــــــــــــــــرِ

بلاد امرئ لا يعرف الذم بيتـــــــه له المشرب الصافي وليس له الكدر

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ج٢٢ ، ص ١٣١ .

– دراسات في العصر الجاهلي ، أحمد أبو الفضل عوض الله ، ط : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة – مصر ، ١٣٨٥ه– ١٩٦٩م ، ص٧ .

[2] ديوان حاتم الطائي ، دار صادر بيروت – لبنان ، ط ٢ ، عام ١٤٢٣ – ٢٠٠٢م ، ص ٣٥ .

[3] السابق نفسه ، ص ٥٦ .

وتتميز تلك السلسلة بفطورها الجبلية التي تحيط بالساحل – البحر الأحمر – وهي فطور متعارضة ظاهرة في بعض نواحيها أحدثتها البراكين التي كانت في وقت مضى .

والنتوءان اللذان يتجهان نحو الشرق وينفذان إلى السهول الواقعة شمالي المدينة هما " أجأ وسلمى " ويعرفان بجبلي " شمَّر " ويمتدان إلى نجد[1] .

والمناطق الجبلية الجنوبية – جنوب المملكة ، شمال اليمن – حيث تفرغ الرياح الموسمية أمطارها على سفوح السلسلة الجبلية – السراة – وهي المنطقة الوحيدة التي يمكن أن تقوم فيها تجارة رابحة ، أو بستنة ناجحة عن طريق توفير المياه ، وحسن تصريفها ، أما البوادي الشمالية فيما عدا الواحات فلا تقدم غير الهزيل الذي لايسمن ولا يغني من جوع[2] .

إذن هواء الجزيرة يختلف باختلاف إرتفاعها وانبساطها ، ففي الجبال وعلى شاطئ البحر جنوبي يهب معتدلاً ، وفي السهول يلفح حاراً ، والأقاليم الشمالية قليلة المطر قليلة المياه لاتنبت العشب ولا الشجر إلا في بعض الأماكن .

ومن هذا الوصف الجغرافي لتلك المناطق نصل إلى أن الطائيين عاشوا في نعيم وخصب سواء في دارهم الأولى " اليمن " ، أو الثانية " أجا وسلمى " فطبيعة تلك المناطق ساعدت في إخصاب ذويها مادِّياً ومعنويًّاً – وهذا على جهة العموم – وحاتم أنموذج ذلك الخصب ، وهو كغيره متيسر الحال أوقاتٍ ، وضائقها أوقاتٍ أخرى ، فهو يقول[3] :

---

[1] تاريخ الشعوب الإسلامية نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ١٩٦٨م ، ص ١٣ " بتصرف " .

[2] أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، بيروت – لبنان ، طبعة جديدة منقحة ، عام ١٩٧٩ ، ص٧ " بتصرف " .

[3] ديوان حاتم الطائي ، ص ٥١ .

كسينا صروف الدهرِ ليناً وغلظةً وكلاً سقاناه بكأسهما الدهــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرُ

وقوله[1] :

وعشت مع الأقوامِ في الفقر والغنى سقاني بكأسي ذاك كلتيهما دهري

وهذا في " اليسر والعسر " من الجانب المادي ، أما الجانب المعنوي فنراه فيما وصل إلينا من أشعار .. عبارات تنبئ عنه فتوفي وتكفي دلالة على ذلك الخصب .

وبحكم موقعهم الجغرافي صاروا المقصد والمتَّجه لكل ظاعن وضائق حيث الجو الرائق ، والزرع السامق ، وزاد عن ذلك اشتهارهم بالإكرام والمعاملة ، وفاقهم حاتم شهرة ليس على المستوى القبلي بل يتعداه إلى القبائلي ، ونراه يقول مفتخراً[2] :

أسود سادات العشيرة عـــــــــــــــــــــــــــارفـــــــــــــــــــــــــــــاً ومن دون قومي في الشدائد مزودا

وألفي لأعراض العشيرة حافظـــــــــــــــــــــــــــاً وحقِّهم حتى أكون المســودا

يقولون لي: أهلكت مالك فاقتصــــــد وما كنت لولا ما تقولون سيـــدا

ت: بعض أخبارهم (أمه ، أبوه ، حاتم) :

وكانت أمه " عنبة " لا تليق شيئاً سخاءً وجوداً ، وكان إخواتها يمنعونها من ذلك فتأبى عليهم ، وكانت موسرةً ، فحبسوها في بيت سنة يرزقونها قوتاً لعلها تكفُّ عمَّا كانت عليه إذا ذاقت طعم البؤس وعرفت فضل الغنى ثم أخرجوها ودفعوا إليها صِرْمة

[1] السابق نفسه ، ص ٤٦ .

[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٤١ .

من مالها فأتتها امراة من " هوازن " فسألتها فقالت لها : دونك الصِرْمة فقد والله مسَّني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلاً شيئاً ، وأنشأت تقول[1] :

لعمري لقد ما عضني الجوع عضة فآليـــــــت ألا أمنع الدهـــــــــــــــــــــــر جائعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

فقولا لهــذا الـــلائمي اعـــفنـــــــي

وإن أنت لم تفعل فعض الأصـــــــــــــــــــــــــــابعـــــا

ولا ماترون اليوم إلا طبيـــعـــة فكيف بتركي يا

ابن أمـــي الطبائعـــــــــــــــــــــــــــــــــا

أما أبوه فبعكسه وأمّه إذ جعله في إبل له وهو غلام فمرَّ به عبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبياني فنحر لهم ثلاثة من الإبل وهو لايعرفهم ثم سألهم عن أسمائهم فتسموا له ففرق فيهم الإبل كلها ، وبلغ أباه ما فعل فأتاه فقال له : ما فعلت الإبل ؟ فقال يا أبه طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة ، وأخبره بما صنع ، فقال له أبوه : إذاً لا أساكنك أبداً ولا أؤويك . قال حاتم : إذاً لا أبالي . فاعتزله[2] .

وكان حاتم جواداً يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سئل وهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أسر أطلق ، وكان يقسم بالله أن لايقتل واحد أمه ،

---

[1] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ج ١ ، ط ٢ ، عام ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

[2] الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

وكان إذا أهلَّ الشهر الأصم – الذي كانت مضر تُعظِّمه في الجاهلية – ينحر في كل يوم عشراً من الإبل[1] ، ونراه يقول في إحدى قصائده[2] :

أماوي إنِّي ربَّ واحد أمِّـــــــــــــــــــــــــــــــــه   أجرت فلا قتل عليه ولا أسرُ

والمال عند حاتم وسيلة لا غاية ، ونجد هذا في متفرقٍ من أبياته بأشكال وصور عدة فهنا يقول[3] :

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً   أراد ثراء المال كان له الوفـــــــــــــــــــــــــــــــــرُ

وإني لا آلو بمال صنيعـــــــــــــــــــــــــــة   فأوله زادُ وآخره شكـــرُ

يُفك به العاني ويُؤكل طيِّبــــــــــا   وما إن تعريه القداحُ أو الخمـــــــــــــــــــــــــــــــرُ

ويبدو أنه ورث الكرم والشعر من والدته ، والحديث عن صفاته وأخلاقه يكثر ويطول ولنقف على قصته مع النوار[4] التي قالت : " أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض ، واغبَر أفقُ السماء ، وراحت الإبل حدباً*حدابير ، وضنَّت المراضع على أولادها فما

[1] شعراء النصرانية في الجاهلية ، الأب لويس شيخو، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ط؟ ، ج١، عام ١٩٢٦م ، ص ٩٩ (بتصرف) .
[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٥١ .
[3] السابق نفسه ، ص ٥١ .
[4] العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : مفيد محمد قميحة ، ط١ ، ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م ، ص٢٤٢ .
– المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، عن مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ، القاهرة – مصر ، ط٤ ، ١٤٢٦ه –٢٠٠٥م ، ص٥٩ .

تبضُّ بقطرة وحلقت السنة المال وأيقنا بالهلاك فوالله إنَّا في ليلة صنبَّر بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغى صبيتنا جوعاً – عبد الله ، وعدي ، وسفانة – ، فقام حاتم إلى الصبيين ، وقمت أنا إلى الصبية ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ، وأقبل يعللني بالحديث فعرفت مايريد فتناومت ، فلما تهورت النجوم إذا شيء رفع كسر البيت ثم عاد، فقال حاتم : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، أتيت من عند صبية يتعاوون عُواء الذئاب فما وجدت معولاً إلا عليك يا أبا عدي . فقال : أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم . فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى بجانبها أربعة – كأنها نعامة حولها رئالها – فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخرَّ ثم كشطة عن جلده ودفع المدية إلى المرأة فقال لها : شأنك ، فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ثم جعل يمشي في الحيِّ يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول : هبُّوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا فلا والله إن ذاق منه مزعة وإنه لأحوج إليه منا فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلاعظم وحافر ، فعذلته على ذلك فأنشأ يقول[1] :

مهلاً نوار أقلي اللـــــوم والعـــــذلا ولا تقولـــي لشيء فات ما فعـــــلا

ولا تقولي لمـــال كنت مهلكه مهلا وإن كنتُ أعطي الإنس والخبلا

يرى البخيلُ سبيل المال واحـــــدة إن الجواد يرى في مـــاله سبـــــلا

ورُئي حاتم يضرب ولده لما رآه يضرب كلبةً كانت تدل عليه أضيافه وهو يقول[2] :

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٧٣ .

[2] العقد الفريد ، ص ٢٤٣ .

*حدب : دابة حدباء بدت عظام ظهرها ، وأمر حدب : شاق صعب ، وسنة حدباء : شديدة .

أقول لابني وقد سطت يديه بكلبة لايزال يجلـــــــــــــــــــــــــــــدها

أوصيك خيراً فإن لها يداً عليَّ لا أزال أحمـــــــــــــــــــــــــــــــــدهـــا

تدل ضيفي عليَّ في غلس الليل إذا النار نام موقدها

ث: زوجه :

تزوج حاتم " النوار" أولاً ، ثم " ماوية بنت عُفرز " – من بنات ملوك اليمن – ، ويقال : إن عدي بن حاتم منها ، ويقال : بل عدي ، وعبد الله ، وسفانة من النوار ، وعَقِب حاتم من ولد عبد الله وليس لعدي عَقِب من الذكور[1] .

وقيل[2] إنه حينما أتى ماوية بنت عفرز يخطبها وجد عندها النابغة الذبياني ، ورجلاً من النبيت يخطبانها ، فقالت لهم : انقلبوا إلى رحالكم ، وليقل كل واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإني متزوجة أكرمكم وأشعركم . فانطلقوا ، ونحر كل رجل منهم جزوراً ، ولبست ماوية ثياباً لأمة لها وتبعتهم ، فأتت النبيتي فاستطعمته ، فأطعمها ذنب جزوره ، فأخذته ، وأتت النابغة فأطعمها مثل ذلك ، فأخذته ، وأتت حاتماً – وقد نصب قدوره – فاستطعمته ، فقال : انتظري حتى تبلغ القدر إناها* ، فانتظرت حتى بلغت فأطعمها أعظماً من العجز ، وقطعة من السنام ، وقطعة من الحارك* ، ثم انصرفت . وأنشدوها ثلاثتهم . فقال حاتم – بعد أن إستنشدته – :

أماوي إن المال غاد ورائـــــــــــــــــــــــــــــــــــــح

ويبقى من المال الأحاديث والذكـــــــــــــــــــــر

---

[1] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ (بتصرف) .

[2] ديوان حاتم ، ص ٤٧ .

* إناها : منتهاها .

* الحارك : أعلى الكاهل .

أماوي إني لا أقول لسائـــــــــــــــــــــــــــــــــل
إذا جاء يوما حل في مالنا نـــــــــــــــــــــــــــــــــزر

أماوي إما مانع
فمبيـــ
ن وإما عطاء لا ينهنهه
الزجـــر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر

أماوي إن يصبح صداي بقفـــــــــــــرة من الأرض لا ماء لدي
ولا خمـــــــــــــــــــــــــــر

ترى أن ما أنفقت لم يك ضرني وأن يدي مما بخلت به
صفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

فلما فرغ من إنشاده دعت ماوية بالغداء ، فقدِّم إلى كل رجل ما كان أطعمها ، فنكس الآخران رأسيهما ، وتزوجت حاتماً ، فقال فيها[1] :

وإني لمزجاء المطي على
الوجـــى
وما أنا من خلانك ابنة عفـــــــــــــــــــــــــــــــــــزرا

فلا تسأليني واسألي أي
فـــ
ـــــــــــــــارس إذا الخيل جالت في قنا قد تكســـــــــــــــرا

وإني لوهاب قطوعي
وناقتـــ

[1] ديوان حاتم ، ص ٤٧ .

إذا ما انتشيت والكميت ــــــــــــــــــــــــــــــــي
المصــــــــــــــــــــدرا

وإني كأشلاء اللجام ولن
تـــ

ـــــــــــــــــــرى أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبـــــــــــــــــــرا

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمر

فيقول : (إنِّي لوهَّاب ..) فخر بعطائه وسخائه الفياض فاستخدم أسلوب فعَّال ويقوله : (أخو الحرب ..) إشارة لفروسيته ، وشجاعته ، وحذقه ، فهو الذي يقول : (إن شمَّرت عن ساقها الحرب شمرا) .

وإن اختلفت المصادر وكتب الأدب والتاريخ في ارجاع " سفانة ، وعبد الله ، وعدي " للنوار أو ماوية إلا أنها اتفقت على أن حاتماً لم يتزوج إلا النوار ثم ماوية " ولم ينجب سوى " سفانة ، وعبد الله ، وعدي " .

ومن أصدقائه " مِلْحَان بن حارِثة بن سَعْد بن الحَشْرَج الطائِيّ "[1] وهو ابن عمه .

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط١ ، عام ٢٠٠٠م ، الباب ٨٨ ، ج ١٦ ، ص ٢٣٥ .

ج: أغراض شعره :

من أكثر أغراض حاتم الفخر بالكرم والعفة ثم الحماسة ونثر في قصائده شيئاً من الحكمة[1] وقرأت عنه أبياتاً في المدح ولكنها قليلة ، ومقطوعة في الهجاء ، والذم عنده لصفات ليس لأشخاص بعينهم .

ومن الفخر :

فخره بكرمه ، وعفته ، وشجاعته ، قال حاتم[2] : لمَّا تحول عنه جده سعد بن الحشرج فخرج بأهله وخلَّف حاتماً في داره :

إني لعفٌّ الفقـــــر مشترك الغنـــــــــــــــــــــــــــــــــى ووِدُّك شكل لايوافقه شكــــــــــــــــــــــــــلي

وشكلي شكل لايقــوم لمثلـــــــــــــــــــــــــــــه من الناس إلا كل ذي نيقة مثلــــــــــــــــــــــي

ولي نيقة* في المجد والبذل لم تكـــــــــــــــن تأنقها فيما مضى أحد قبلــــــــــــــــــــــــــــي

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٧٥ .

[2] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ط ٧ ، ج ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م، ص١٨٧ .

وأجعل مالي دون عرضي

جنـــة لنفسي فأستغنى بما

كان من فضلـــــــــــي

ولي مع بذل المال والبأس صولـــــــــــــــــــــــــــــة إذا

الحرب أبدت عن نواجذها العصل

وما ضرَّ بي أن سار سعد بأهلـــــــــــــــــــــــــــــه

وأفردني في الدار ليس معي أهلـــــــــــــــــــــي

سيكفيني ابتناي المجد سعد بن حشرج وأحمل عنكم كل ما حل من

أزلـــــــــــــــي

ومامن لئيم عاله الدهر

مـــرة

فيذكرها إلا استمال إلى

بخـــل

ومن الحماسة[1] :

اغزو بني ثعل فالغزو حظُّكـــــــــــــــــــــــــــــم

عدَو الروابي ولاتبكوا لمن نكـــــــــــــــــــــــــــــــلا

ويها فداؤكم أمي وما ولـــــــــــــــــــــــــدت حاموا

على مجدكم واكفوا من اتكـــــــــــــــــــــــــلا

ومن الحكمة[2] :

فنفسك أكرمها فإنك إن تهـــــــــــــــــــــــــن

عليك فلن تلفي لك الدهـــــر مكرمـــــــــــــــــــــــــا

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٧٤ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٨٠ .

أهن للذي تهوى التلاد فإنـــه
إذا متَّ كـــان المـــال نهباً
مقسمـــا

ولا تشقين فيه فيســعد
وارث به حين تخشى أغبر اللون
مظلمـــا

يقسمة غنماً ويشري
كرامـــة وقد صرت في
خط من الأرض أعظما

قليل به مـــــا
يحمـــدنـــك وارث إذا ساق
مما كنت تجمـــع
مغنمـــا

تحمل عن الأدنين واستبق ودهم ولن تستطيع الحلــم حتى
تحلمـــا

متى ترق أضغان العشيرة بالأنـــــا وكفِّ الأذى يحسم لك الداء
محســـــمـــــــــــــــــــــــــا

وقوله فيما يلي هذه الأبيات :

وذي اللب والتقوى حقيق إذا رأى ذوى طبع الأخلاق أن
يتكرمــ
ـــــــــــــا

وجاور كريما واقتدح من زنـــــــــــــــــــــــــاده واسند عليه
إن تطاول

سلمـــ
ـــــــــــــــا

ومن المدح[1] قوله – يمدح بنى بدر* – :

إن كنت كارهة معيشتــنا
هاتي فحُلِّي في بني بـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدرِ

جاورتهم زمن الفساد فنعــــــــــــــــــــــم الحيّ في
العوصاء واليســـــــــــــــــــــــــــرِ

الخالطين نحيتهم بنضارهـــــــــــــــــــــم وذوي الغنى منهم
بذي الفقــــــــــــــرِ

ومن الهجاء ، يقول[2] :

أبا الخيبري وأنت امــــــــــرؤٌ حسود العشيرة شتامتهـــــا

فماذا أردت إلى رمـــــــــــــــــــــــة بدوية صخب
هامهـــــــــــــــــــــــا

تبغّى أذاها وإعسارهـــــــــــــــــا وحولك غوث وأنعامهـــــــــا

الذم[3] – يذم الصفات السيئة وأصحابها – قائلاً :

---

[1] السابق نفسه ، ص ٥٤ .

*بدر بن عمرو بطن من فزارة . – ديوان حاتم ، ص ٧٤ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٨٩ .

[3] السابق نفسه ، ص ٨٢ .

لحى الله صعلوكاً مناه

وهمـــه من العيش

أن يلقى لبوساً ومطعمـــــا

ينام الضحى حتى إذا ليله استـــــــــــــــــــوى تنبه مثلوج الفؤاد مـــ

ـــــــــــــورَّمـــــــــا

وفي قوله : " لحى الله " ، دعا عليه بعدم الحياة أي " لا أحيا الله صعلوكاً "

ح: وصاياه :

قال حاتم لابنه عدي : (أي بني أعهدك من نفسي ثلاث خلال : والله ما خاتلت جارة لي بريبة قط ، ولا أوعيت على أمانة إلا أديتها ، ولا أتى أحد قط من قبلي بسوء[١]).

وكان يقول : " إذا كان الشيء يكفيكه الترك فاتركه[٢] " .

---

[١] تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ابن عساكر" ، ج٣ ، ص ٤٣١ .

[٢] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص٢٣٦ .

خ: وفاته :

كان من أهل نجد ومات في " عوارض " جبل في بلاد طيء[1] ، وقيل إن قبره فيها ، وأرخوا وفاته في السنة الثامنة من مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) عام ٤٦ م[2].

وقيل كانت وفاته عام ٦٠٥ م[3] .

وقيل يبدو أن حاتم عاش نحو ستين سنة وتوفي عام ٦٠٧ م[4] .

---

[1] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتاب ، بيروت – لبنان، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ ، ج ٤ ، ص٩٧٩ .

[2] الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، يناير ١٩٧٩م، حرف الحاء ، ص ١٥١ .

[3] شعراء النصرانية قبل الإسلام ، لويس شيخو ، ص ١٣٤ .

[4] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج١ ، ص١٨٧ .

د: آراء النقاد في حاتم الطائي :

وإذا ما نظرنا إلى آراء النقاد نجد أغلبها يدور حول خُلُقِه ، وما اشتهر به من بذل وعطاء ، وهنا سنتناول بعض تلك الآراء :

١- ابن قتيبة : كان جواداً شاعراً جيِّد الشعر[١] .

٢- ابن عبد ربه الأندلسي : الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر هم : حاتم الطائي ، هرم بن سنان المري* ، وكعب بن أمامة الإيادي* ولكن المضروب به المثل حاتم الطائي وحده[٢] .

٣- كارل بروكلمان : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي اشتهر مثلاً للكرم والجود[١].

---

[١] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص ٢٤٢ .

*هرم بن سنان المري : الرجل الذي أصلح بين عبس وذبيان هو والحارث بن عوف سيد بني مرة ، فقال فيهما زهير بن أبي سلمى :

يميناً لنعم السيدان وجدتمـــــــــــــــــــــا * على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبساً وذبيان بعدمـــــــــــــا * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشـــــــــــــــم

ومدحه وقومه كثيراً ومن ذلك قوله :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لأولهم يوما إذا قعـــــــــــــــــــــــــــــدوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبهـــــــــــــــــــــــــم * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح: حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٦ه ٢٠٠٥م ، ص ٨ – ٢١ – ٢٦ .

* كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ، وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار :" اسق أخاك النمري ..." .

- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، الناشر: دار العلم للملايين ، ط٥ ، ٢٠٠٢م ، الباب : الفوارس ، ج٥ ، ص ٢٢٩ .

[٢] العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، ص ٢٤٢- ٢٤٣ .

٤- لويس شيخو : كان حاتم جواداً يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، كان حيثما نزل عرف منزله[٢] . وهذا أورده غيره كثير من القدامى والمحدثين وهو هنا له فضل الذكر.

٥-أحمد حسن الزيَّات[٣] تحدث عن أخلاقه وشعره قائلاً :

أخلاقه :

كان حاتم على خُلُق عظيم قلَّ من أوتيه في الجاهلية ، كان طويل الصمت ، رقيق القلب ، جمُّ المروءة ، لم يقتل قط واحد أُمِّه ، ولم يزل ضعيفاً من بني عمَّه ، وقال :

فإنِّي ربَّ واحـــــــــــــــد أمـــــــــــــــــــــــــــــــه   أجرت فلا قتل عليه ولا أســـــــــــــــــــرُ

ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي   شهوداً وقد أودى بإخوته الدهرُ

شعره :

لا جرم أن اللسان ترجمان القلب ، والشعر مرآة الشعور وما قدمناه من أخلاق حاتم نجده متمثلاً في شعره ، مؤثراً في قرضه ، فلفظه سهل رقيق ، وأسلوبه محكم وثيق وغرضه سامٍ شريف على غير ما نعهد من شعراء البادية .

٦- عمر فروخ : شعر حاتم فصيح الألفاظ سهل التراكيب جداً[٤] .

٧- د. يحيى شامي - في مقدمة شرح ديوان حاتم - :

---

[١] تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، توزيع دار القومية الغربية للثقافة والنشر ، ج ١ ، نقله إلى المكتبة العربية عبد الحليم النجار ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، عام ١٩٥٩ .

[٢] شعراء النصرانية في الجاهلية ، لويس شيخو ، ص ٩٩ .

[٣] تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ص٥٧ .

[٤] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج١ ، ص ١٨٧ .

لنا فيه – ديوان حاتم الطائي – ما يظهر نفسية الرجل ، وجود الرجل ، وسخاءه وكرمه وهو غير معقد ، ولا فيه الحوشي من الكلام أو غريبه .. هو كصاحبه يمتاز بالعفوية ، والبساطة ، والصدق ، ويمثل صاحبَه ونفسيتَه أصدق تمثيل ، كما أنه يمثل واقع عصره ، وبيئته بكل أمانة وبساطة تلك البيئة القاسية الجافة حيث الضنك وشظف العيش وحيث كان الكرم سجية من أنبل السجايا ، ومنقبة من أعظم المناقب تماماً كالشجاعة ، والنجدة ، والمروءة .. يُتغنى بالكرم وتتناقل الناس أخبار أصحابه وليس بالقليل أن يجود المرء بماله في زمن قلَّ فيه المال وكان الفقر سمته ، والجدب ، والقحط شارته ، والغزو والقتل والنهب والإغارة سنة من سنن الجاهلية فرضتها الحاجة والفقر والخصاصة .

كما نجد الدكتور يحيى شامي معلقاً على مسألة القلة والنضوب الذي يعتري شعر حاتم الطائي قائلاً : (وما كان هذا عن نضوب في الشاعرية ولا شحّ من الرجل أو ضنٍّ منه به وكيف يضن به وهو الذي جاد بالفرس والإبل وطريف المال وتالده ، لكن المسألة هي أن شعر حاتم كغيره من الشعر الجاهلي ضاع منه الكثير وما بقي إلا القليل[١]) .

ولا نستطيع أن نضيف نقداً " خُلُقِيًّاً " لحاتم بل إننا ندرج ونحصي – فقط – ما قالوه عنه وما وصلهم سلفاً عن خلف من إشارات ، وإيماءات حول شخصيته .

ولكننا نحكم عليه بعمله الذي بين أيدينا والذي يدرج فيه تلخيصاً لنفسه ، وقومه وعشيرته من جميع النواحي الحياتية آنذاك بصور واضحة لا تفتقر إلى عناء الشرح ولا وعورة التحليل وهذه ميزته على أقرانه " جلاء المعاني ، وسهولة العبارات " ومن يقرأ ديوانه يجد سيرتَه وأخلاقَه إذ إن أغلب شعره ومقاطعه لا تخرج عن وصفٍ وفخرٍ بنفسه وقبيلته ، ولا يخرج شعره عن الأغراض الذاتية والقبلية أحيانا قليلة .

---

[١] شرح ديوان حاتم الطائي ، شرح وتحقيق عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بيروت– لبنان ، ط١، عام ١٩٩٥م ، ص ١١ .

وإن تناول في الشعر القضايا الأخلاقية المهمة ، ونادى بالأخلاق الفاضلة الجمَّة إلا أنه لا يخرج عن دائرة التنفيس الفردي التي لايتعداها إلى نطاق العموم .

ثانياً: النَمْر بن تولب العُكْلِيّ :

لن أتبع في تمهيدي للنمر منهجي في تفصيل حياة حاتم ، لأن الفارق بين حاتم والنمر ، أن الأول تحدثت عنه الكثير من كتب الأدب والتاريخ ، فلا يأتي بابٌ من أبواب الكرم أو السماحة أو الخلق ولا حتى الشعر والمثل السائر إلا وأدلى بدلوه ، وشارك بقوله أو فعله .

أما الثاني فمثله في كرم الأخلاق وطيب المعشر وغيره ، إلا أنَّ أخباره في تلك الكتب قليلة ولا نكاد نعرف حياته إلا من خلال ما قاله من شعر ، أو خبر متفرق عند الأقوام – وهذا القول الأخير أشار عليه شارح ومحقق ديوانه محمد نبيل طريفي في مقدمة الديوان – إلا أنني تحققت منه خلال قراءتي لكتب الترجمة ، والسيرة ، والأدب التي تحكي عنه أو تمرُّ بسيرته .

ولهذا سنقف على نسب الصحابي الجليل " النَمْر بن تَولَب العُكْلِيّ – رضي الله عنه– " ، وأهله ، وبعض أخباره ، وبعض الآراء حوله لعل هذه الجزئية التعريفية بالشاعر تعيننا على التوصل إلى مفتاح شخصيته ومن ثمَّ سبرْ غَوْر شعره .

أ: نسبه :

هو النَمْر بن تَولَب بن أُقيْش بن كَعْب بن عَوْف بن الحَرْث بن عَوْف بن وائِل بن قَيْس بن عُكل واسم عُكْل " عَوْف بن أُد بن طابِخة بن إلياس بن مُضر بن نزار" .

شاعر مقل مخضرم* أدرك الجاهلية وأسلم فحسن إسلامه ووفد إلى النبي " صلى الله عليه وسلم "[1] .

وقيل هو عُكْلي منسوب إلى " عُكْل " بضم العين المهملة وسكون الكاف ، وهي أَمَةٌ كان تزوجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة فولدت له ثلاثة بنين ثم مات فحضنتهم عُكْل " فنسبوا إليها[2]. ويكنى بأبي قيس ، وبأبي ربيعة[3] .

[1] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٩ ، ص٥٧ .

- كذلك في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، أبو زيد محمد بن أبي خطاب القرشي ، حققه : د. محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق – سوريا ، ج١ ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ ، ص ٥٣١ – ٥٣٢ " .

* قال أبو الحسن الأخفش : ماء مخضرم إذا تناهى في الكثرة والسعة فمنه سمى الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام مخضرماً كانه استوفى الأمرين ويقال : أذن مخضرمة إذا كانت مقطوعة فكانه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، حققه وفصله وعلق على حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، ج١ ، القاهر – مصر ، عام ٢٠٠٩م ، ص ٩٧ .

[2] خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، المجلد الأول ، ط١ ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ص ١٥٦ .

[3] شعراء إسلاميون ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ، ص ٣٠٠ .

ب: أسرته :

قال صاحب الأغاني : (أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا محمد بن سلام قال : كان للنمر بن تولب أخ يقال له " الحارث بن تولب " وكان سيداً معظماً ، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امراة منهم يقال لها " جمرة بنت نوفل " فوهبها لأخيه النمر بن تولب " ففركته فحبسها حتى استقرت وولدت له أولاداً ثم قالت له في بعض أيامها : أزرني أهلي فإنِّي قد اشتقت إليهم . فقال لها : إني أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك . فواثَقَتْه لترجعنَّ إليه .

فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بني أسد فلما أطلَّ على الحي تركته واقفاً وانصرفت إلى منزل بعلها الأول فمكثت طويلاً فلم ترجع إليه فعرف ما صنعت أنها اختدعته فانصرف وقال[1] :

جـــزى اللهُ عنَّا جمرة ابنة نوفـــــــــــل　　جزاء مغلٍّ بالأمانة كـــــــــــــــــــــــــــــــــــــاذبِ

لهان عليها أمس موقف راكـــــــب　　إلى جانب السرحات أخيب خائبِ

حزن النمر حزناً عميقاً لما يحمله لها من حبّ وود فرفض الطعام ، وجافى المنام وفارق الأصحاب ، ورفض العيش والشراب ، ولكن اسعفته الأيام بحب آخر أخلص له كثيراً وأعطاه كلَّ ما يملك ألا وهو حب " دعد " ، فأخلصها الحبَّ ، وبادلها الوفاء حتى قال فيها[2] :

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت　　أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

---

[1] ديوان النمر ، محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ٢٠٠٠م ، ص٤١ .
.
– الأغاني أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

[2] الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .

ونراه يقول في بعض أبياته[1] :

صحا القلب من تذكره تكتما وكان رهينا بها مغرما

ومن هذا كله نخلص إلى أنَّ للنمر زوجتين ، صرح بذكرهما كثيراً في قصائده ، هما " جمرة ودعد " ، ويذكر – عرضاً – أسماء لنساء أخريات مثال " تكتم ، وحصن ، وسلمى ، وأم عامر" ، ولكن ذكره لهنَّ قليل فإما أن يكنَّ رمزاً للأخريات ، وإما أن يكنَّ ذوات علاقة به – والله أعلم – .

وللنمر مرثية في أخيه الحارث بن تولب العكلي – ذكر في القصة السابقة – يقول فيها[2] :

لازال صوب من ربيع وصيف يجود على حسي العميم فيثربِ

فوالله ما أسقي البلاد لحبها ولكنما أسقيك حار بن تولبِ

تضمنت أدواء العشيرة بينها وأنت على أعواد نعش مقلبِ

كأن امرءاً في الناس كنت ابن أمه على فلج من بطن دجلة مطنبِ

[1] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق: سمير جابر ، ج٢٢ – ص ٢٧٣ .
– والجامع لأحكام القرآن ، أبوعبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة – مصر ، ج١٧ ص٢١٩ .
[2] ديوان النمر بن تولب العلكي ، ص ٤٦ .

وله أخرى تتبئ عن أشخاص فقدهم ، ولكن هل تراهم أصحابه أم أقرباؤه أم إخوانه !! ، لاندري ولكن أظن أنهم أخوته فالأخوة واضحة في إحساسه ، وعمق الألم واضح مقروء في السطور ، يقول[1] :

بين البدي وبين برقة ضاحـــــــك		غوثُ اللهيف وفارس مقـــــــــــــــــــدامُ

ومقابر بين الرسيس وعاقــــــــــــــــل		درست وفيها منجبون كـــــــــــــــــــرامُ

جزعاً جزعت عليهم فدعوتهـــــــــم		لو يسمعون وكيف تدعى الـــــهامُ

لاتبعدوا وغدا السلام عليــــــــــــكم		وسرى فقد يتفرق الأقـــــــــــــــــــــــــــــوام

وقيل للنمر : كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فأنشأ يقول[2] :

أصبحت لايحمل بعضي بعضا		أشكو العروق الآبضات نبضا

---

[1] السابق نفسه ، ص ١١١ .

[2] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٩ ، ص ١٦٠ .

– وخزانة الأدب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، ص ١٥٦ .

* قال ابن دريد : إبل أرحبيه منسوبة إلى أرحب بن همدان – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، ص ١٩٨ .

كما تشكّى الأرحبي* الغرضـــــــــــــــــــــا كأنما كان شبابي قرضـــــــــــــــــــــا

إذن له ابن يدعى " ربيعة " فلقِّب به[1] ، ولربيعة عقب وثَّقت عنه كتب الأدب[2] .

وللنمر بن تولب أبناء أخٍ أشارت عليهم كتب الأمثال بلا تفصيل[3] .

ت: أخباره :

عاش النمر بن تولب العكلي في الجاهلية جلَّ عمره ، وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووردت عنه العديد من الأخبار سواء كان في فترته الأولى أو الثانية والتي تحلى فيهما بعطائه وإيثاره ولكن لنبدأ بقصة مجيئه لسوق المربد بالبصرة التي ذكرها صاحب الأغاني قائلاً[4] :

أخبرني عمي عن القاسم عن محمد الأنباري عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن قرة بن خالد عن يزيد بن عبد الله أخي مطرف قال : (بينما نحن بهذا المربد جلوس إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس فوقف علينا فقلنا : والله لكأن هذا الرجل ليس من أهل هذا البلد . قال : أجل – وإذا معه قطعة من أديم – . فقال : هذا كتاب كتبه لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب :

---

[1] الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص١٦٢ .

[2] تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م ، باب : " من اسمه النمر " .

[3] أمثال العرب ، المفضل بن محمد بن على بن سالم الضبيّ ، تحقيق: احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، الباب ١٩ .

– مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ج١ ، الباب ١٢ فيما أوله " س" .

[4] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٩ ، ص ١٦٢ .

* الصفي : سهم النبي " ص" . – مصنف عبد الرازق ، أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، عام ١٤٠٣هـ، باب : " صيام ثلاثة أيام " .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير – هكذا قال أحمد بن عبيد وقال الباقون لبني زهير بن أقيش" حي من عكل " – ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصَّفيَّ* فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله) .

النمر بن تولب (رضي الله عنه) روى عن النبي " صلى الله عليه وسلم " ، وقال له قوم : حدثنا – رحمك الله – ما سمعت من رسول الله . فقال : سمعت رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يقول[1] : " صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيراً من وحر الصدر" .

فقال له القوم : أأنت سمعت هذا من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " .

فقال: أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله " صلى الله عليه وسلم " لأحدثنكم حديثاً . ثم أهوى صحيفته وانصاع مدبراً .

---

[1] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٩ ، ص ١٥٨ .
– ذكر صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، عام ١٤١٤ه – ١٩٩٣م ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، باب " كتب النبي " صلى الله عليه وسلم " ، وقال شعيب الأرنؤوط : اسناده صحيح .
– ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة ، القاهرة – مصر الباب : مسند أبي هريرة – رضي الله عنه – .

ث: كرمه :

كان للنمر بن تولب صديق فأتاه في ناس من قومه يسألونه في ديَّة احتملوها فلما رآهم وسألوه تبسم فقال النمر[1] :

تبسم ضاحكاً لما رآنـــي
وأصحابي لدي عن التمـــام

فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيك ، ونفساً تأمرني ألَّا أفعل ، فقال النمر:

أمَّا خليلي فإني غير معجلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــه حتى
يؤامر نفسيه كما زعمـــا

نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

ثم قال النمر لأصحابه : لا تسألوا أحداً فالديَّة كلُّها عليَّ .

وفي قوله : " .. ونفس ترضع الغنما " أراد " النفس الدنيئة الضعيفة " وهذا حسب ما هو واضح من السياق والمقابلة بين الصدر والعجُز .

ج: عمره :

وعاش النمر بن تولب بن أقيش العكلي مائتي سنة حتى أنكر بعض عقله ، فقال في ذلك[2] :

---

[1] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٩ ، ص١٦١ .

[2] المعمرون والوصايا من العرب وطرف من أخبارهم وماقالوه في منتهى أعمارهم ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري ، تحقيق : محمد أمين الخانجي ، ط ١ ، عام ١٣٢٣هـ- ١٩٠٥م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ص ٦٣ – ٦١ .

لَعَمْري لقد أنْكرتُ نَفْسي ورابني مَعَ الشَّيْب أبْدالي الذي أتبَـــــــــــــــــدَلُ

وتسَميتي شيخاً وقد كانَ قبلـــــــــــــــــــــــه لي اسم فلا أدعَى به وهو أوَّلُ

وزهدي فيكفيني اليسير وإننـــــــــــــــــــــي أنام إذا أمســـي ولا أتعـــــــــــــــــــــــــــــــــللُ

وظلعي ولم أكسر وإن حليلتـــــــــــــــــــــــــي تحوز بنيها في الفراش وأعـــــزلُ

فصول أراها في أديمي بعدمـــــــــــــــــــــــــــا يكون كفاف اللحم أو هو أجمل

يحب الفتى طول السلامة والغنى فكيف يرى طول السلامة يفعـــــــــل

هذا وصف لحاله في الكبر وما اعتراه من ضعف ووهن ، ولا يمكنني الفصل في السنة التي ولد فيها أو مات ، ولكن المؤكد من مصادر الأدب أنه مخضرم أسلم وهو شيخ كبير[١] .

ومن أخباره أنه أدرك خلافة أبي بكر وقيل خلافة عمر – رضي الله عنهما – فقد ذكره عمر وترحم عليه .

[١] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص٥٧ .

ح: آراء النقاد في شعر النمر بن تولب العكلي (رضي الله عنه **) :**

١–حماد الراوية[1] :

كان النمر بن تولب كثير البيت السائر ، والبيت المتمثَّل به ، فمن ذلك قوله :

لا تغضبن على امرئ في مالـــــــــــــه وعلى كرائم صلب مالك فاغضـــــبِ

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغــــــــبِ

" هل تراه قالها قبل إسلامه أم بعده ، وإن كان قد قالها قبل إسلامه هل كان متحنفاً أم غير ذلك ؟! لايمكنني الجزم ولا حتى مجرد الإفادة في هذا الأمر إلا أنني أقول : إن هذا البيت الأخير فيه شيء من الالتزام العقدي ، وفيه نفح من الشذى الإسلامي ، وإن لم يكن قالها في ظل إسلام ولا حنفية فإن هذا إنما يدل على روح فُطِرت ، وجُبِلت ، وهُيِّئت لما صارت إليه بعد ذاك إذ أسلم النمر وحسن إسلامه – كما قيل[2]– " ، ومن أبياته السائرة قوله[3] :

وتَلْبَسَ للدهر أثوابـــه فلَنْ يَبْني الناسُ ما هَدَّمـــــــــــــــاَ

وأحببْ حبيبك حَبّاً رويـــــــــــــــــــــــــــــــــداً لَيْس يعولك أنْ تصرمـــــــــــــــــــــــــا

وأبْغض بغيضك بغضا رويداً إذا أنت حاولت أن تحكمـــــــا

---

[1] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٩ ، ص١٦٠ – ١٦١.

٢ السابق نفسه ، ج١٩ ، ص ١٥٧.

٣ ديوان النمر ، ص ١١٧ .

وقوله[1] :

أعاذلُ إنْ يصبْح صداي بقفـــــــــــــرة بعيد نآني ناصري وقريبـــــــــــــــــي

تري أنَّ ما أبقيت لم أك ربَّـــــــــــــــــه وأن الذي أفنيت كان نصيبي

٢- محمد بن سلام الجمحي :

قال عنه[2] : كان النمر بن تولب جواداً لايليق شيئاً ، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق .

ووضعه في الطبقة الثامنة من الشعراء الجاهليين ومعه ثلاثة آخرون* .

٣- أبو عمرو بن العلاء :

كان أبو عمرو بن العلاء يسميه " الكيِّس" لجودة شعره ، وحسنه[3] .

وكان أبو عمرو يشبِّه شعر النمر بشعر حاتم الطائي[4] .

---

١ السابق نفسه ، ص ٤٣ .

[2] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٩ ، ص ١٥٧ .

* معه " عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وأوس بن غلفاء الهجيمي ، وعوف بن عطية بن الخرع ؛ والخرع : يقال له عمرو بن عيش بن وديعة بن عبد الله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تميم بن عبد مناة بن أد " .

- طبقات الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط؟ ، ١٤٠٠ه ١٩٨٠م ، ص٥٩ .

[3] السابق نفسه ، ج ١٩ ، ص١٥٧ .

[4] السابق نفسه ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .

٤- ابن قتيبة :

قال : كان شاعراً جواداً ، وقال في ترجمته للنمر بن تولب : وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنا أتيناك وقد طال السفـــــــــــــــــــــــــــــر نقود
خيلاً ضمراً فيها عَسَـــــــــــــــــــــــــــــرْ

نطعمها الشحم إذا عزَّ الشجر والخيل في إطعامها اللحمَ ضررْ

وقال : (تفسير الشحم باللبن شيء نادر جدًّا لم أجده إلا للمؤلف) .

وهذا التفسير – أنَّ الشحم هو اللبن – الذي ذهب إليه الأصمعي[1] .

أولاً : قال :

نُطْعِمُهَا الشَحْمَ إذا عزَّ الشجـــــــــــــــــــــــر والخيلُ في إطعامِها اللحَمَ ضررْ

قال في صدر البيت " الشحم " ، وفي عجزه " اللحم " ، فأظنه أرادهما بمعناهما الحقيقي وهذا الأقرب لأن العرب كانت تجفف اللحم وتطعمه الخيل إذا عزَّ الشجر – وهذا المعنى أورده ابن الأعرابي أيضاً[2] – .

فالنمر كما عهدناه صاحب أسلوب مباشر ، ولا أظنه يقول : " الشحم وهو يريد " اللبن" ، لماذا ؟ لأنه لو أرادها لقال :

نُشِرِبُها اللبن إذا عزَّ الشجر والخيلُ في إطعامِها اللحْمَ ضررْ

---

[1] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .
[2] السابق نفسه ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .

فلا يتغير حينها بحرٌ ، ولا يختلُ وزنٌ ولا قافية ، ولا مدعاة لأن يقول : النمر قصد من قوله " نطعمها " كلمة " نشربها " لأنَّ العرب كانت تستخدم الطعام للشراب ومن ثم القرآن .

وقصد من الشحم " اللبن " فالفهم الظاهر أولى وأقرب – في نظري – ولا أرى لنقد ابن قتيبة مدعاة .

النقد والتنقاد لغة[1] تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها ، أنشد سيبويه :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدنانير تنقاد الصياريـــــــــــــــــــف

وهذا يشير إلى أن المراد من النقد التمييز بين الجيِّد والرديء من الدراهم ، والدنانير وهذا يكون عن خبرة وفهم وموازنة ثم حكم سديد[2] .

ومن الحقائق المقررة أن النقد الأدبي نشأ مع الأدب جنباً إلى جنب وتطور معه يوماً بعد يوم[3] .

وقد ظهرت الموازنة مبكرة في تاريخ الأدب العربي ، وبقيت تسايره على مرِّ العصور إلى اليوم[1] .

[1] لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، عام ١٤١٤ه .

[2] أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٠ ، عام ١٩٩٤م ، ص ١١٤.

[3] دراسات في الأدب والنقد ، أبو القاسم محمد عروة ، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة– تونس ، ١٩٨٩م ، ص ٩٩ .

– الموازنة بين الشعراء ، محمد زكي عبد السلام مبارك ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ، ص ٧ .

وطَبَعِيٌّ أن تدخل الموازنة باب الدراسة الأدبية نقداً ، وتاريخاً للفرق والمقابلة بين عناصر الأدب ، وفنونه وعصوره ، ورجاله بقصد الإيضاح أو الترجيح[2].

وإن كانت الموازنة ضرباً من النقد إلا أنها تأخذ العمل الأدبي بغثة ، وثمينة وتضعه في الكفة الأولى ، وتضع الآخر في الكفة الأخرى ، وتوازن بين هذا وذاك ولماذا كان هذا جيداً ؟ ولماذا كان ذاك رديئاً ؟ ولماذا نجح هذا هنا وأخفق ذاك ؟ حسبما يمليه الذوق الخاص في ترجيح عمل أدبي على آخر ، متفقين مع الأساسيات والقواعد العامة .

وهنا نقف على أنموذجين من نماذج الشعر القديم ، أحدهما لشاعر لم يحظ بحضور الإسلام ألا وهو حاتم بن عبد الله الشهير بـــ " حاتم الطائي " ، والآخر مخضرم مسلم وهو النمر بن تولب العكلي (رضي الله عنه) ، ونوازن بينهما في الأغراض التي تناولاها، وأول تلك الأغراض :

الفخر : وهو المدح نفسه إلا أنَّ الشاعر يخصٌّ به نفسه ، وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار[3] . وينوه الباحثون أنَّ هناك فارقاً واحداً متمثلاً في أن المدح إشادة بفضائل الممدوح ويكون شخصاً آخر ، وأن الفخر تفصيل هذه الإشادة على الشاعر نفسه .

والفخر إما أن يكون بصفات خَلْقِية كطول القامة ، وامتلاء الجسم ، وصفاء اللون ، وحدة البصر أو السمع أو غيره .

---

[1] أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ص ٢٨٠ .

[2] السابق نفسه ، ص ٢٨٠ .

[3] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط٥ ، عام ١٤٠١هــ –١٩٨١ م ، ج٢ ، ص ١٤٣ .

– بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م ، ص ٤٠١ .

أو صفات خُلُقِية كالشجاعة ، والهمة ، والكرم ، والعفة ، والحلم وغيره . والفخر قسمان :

١. فخر ذاتي .
٢. فخر قبلي .

أما الفخر الذاتي فهو محور حديثنا في هذا المبحث ، وهو الاعتداد بما سبق من صفات ، ولكن الشاعر يخص فيه نفسه ، وللفخر غرض آخر غير الاعتداد بالذات " جانب نفسي " فهو مذهب تخويف ، وتحذير للأعداء حتى لا يظنوا مجرد الظن غير ذلك فيهاب ويحذر .

ولما كان غرض الفخر الأكبر حيِّزاً لدى الشاعرين ، والأكثر استخداماً جعلناه في مقدمة الأغراض التي تناولاها ، فإلى ذلك الجانب .

الباب الأول

﴿ الأغراض الشعرية ﴾

- الفصل الأول : الفخر
- الفصل الثاني : المدح
- الفصل الثالث : الحكمة
- الفصل الرابع : أغراض أخرى

الفصل الأول

الفخر

المبحث الأول – الفخر الذاتي

قال حاتم بن عبد الله الطائي[1] :

كريم لا أبيت الليل جـــــــــــــــادٍ* أعدد بالأنامل ما رزيـــــــــــــــــــــت*

إذا ما بت أشرب فوق ريٍّ لسكر في الشراب فلا رويت

بدأ بالإخبار دون تفصيل وإكثار فقال : " كريم " ، أي : " أنا كريم " ، يفخر بالعطاء والنوال ، ويترفع عن رذائل الخلال مثل البخل ، والسؤال .

أما النمر بن تولب العكلي (رضي الله عنه) اتخذ أسلوباً مغايراً في قصيدة وافريَّة همزيَّة فخر فيها بأنَّه لا يدخر شيئاً لنفسه لبناً كان أو لحماً أو سمناً وأنه يعير راحلته إن احتاجها جاره – وهذا ليس بالسهل في زمان لا تعار فيه راحلة ولا سلاح – ويعير رداءه ، ويُؤْثِر غيره على نفسه ، ويُشْرِب دابة صاحبه قبل دابته ، فنراه يصور ذلك في قوله[2] :

لعمر أبيك ما لحمى بـــــــــــــــربٍّ ولا لبني على ولا سلائـــــــــــــــــــي

ولا رحلي بمخزون عليـــــــــــــــــــــــــه إذا جاري استعار ولا ردائي

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٣١ .

* الجادي : طالب الجدا والمعروف . * رزيت : رزئت أي أصبت برزاء أو هلاك .

[2] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٣٥ .

ولا أسقي ولا يسقى شريبـــــــي وأمنعه إذا أوردت
مائـــــــــــــــــــــــي

يعل وبعض ما أسقي نهال وأشربه على إبلي
الظمـــــــــــــــــــــاء

على الرغم من أنه اشترك مع حاتم في الصفات ، إلا أنه اختلف معه في طريقة التعبير وهذا أمر بدهي ، إذ أن لكل شاعر بل لكل إنسان طريقته ، وبصمته ، فحاتم يقول[1] :

فما أنا بالساعي بفضل ذمامهـــــــــــــــــــا لتشرب
ما في الحوض قبل الركائب

وشاركه النمر مع الاختلاف قائلاً[2] :

ولا أسقي ولا يسقى
شريبـــي
وأمنعـــــــــــــــه إذا أوردت
مـــــــــــــــــــــائـــــــــــــــــــــي

وليس الكرم وحسن الضيافة الميزة الوحيدة التي تحلّى بها الشاعران ، إلا أن لهما من الإيثار ما شغل جلّ أبياتهما ، فإذا نظرنا لحاتم فحتماً هي فضيلة أصيلة فيه – إذ أن فترته سابقة للإسلام – .

أما النمر – المخضرم – فلسنا نشك في تحلِّيه بها ، ولكن هل للإسلام دور في توجيه إنفاقه أم لا ؟ .

يمكننا الرد إذاما درسنا شعره في الفترتين ، ولكنا لم نتحصل على فصل بين ما قاله في الجاهلية وما قاله في الإسلام ، رغم أني تعرفت الكثير من الأشعار التي قالها

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٢٩ .

[2] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٣٥ .

في فترة إسلامه إذ أن الالتزام فيها واضح ، ولكن هذا أمر فيه شيء من الصعوبة ولا سيما عند هذا الشاعر الذي كان محوره الفضائل ، والقيم السمحة ، والأخلاق ، وهذه الصفات كانت عند الجاهليين وأقرّها الدين الحنيف ، ولو كان محوره غير هذه لما أشكل علي في شيء – والله أعلم – .

الذي يهمنا أنه تحلى بها وهذا في الأبيات السابقة : " ولا أسقي ... " ، وقوله : " يعلٌّ وبعض ما أسقى نهال .. " .

ويظهر إيثار حاتم في قوله :" وما أنا بالساعي بفضل ذمامها .. " ، وفي قوله[1] :

وما أنا بالطاوي حقيبة رحلهـــــــــــــــــــــــــا لأركبها خفاً
وأترك صاحبـــــــــــــــــــــــــــــــــي

لم يقف ابن طي على هذه الصفة " الإيثار " فحسب ، بل أرانا وعلمنا ما أسميته : بـــ " أدب الصحبة " أو " أخلاقيات الصحبة " ، واصفاً ذلك إن كانت دابة ، وقس على ذلك فيما عداها يقول[2] :

إذا كنت رباً للقلوص فلا تدع رفيقك يمشي خلفها غير راكــــــب

أنخها فأردفه فان حملتكـــــــــــــــــــــــــــــــما فذاك وإن كان العقاب فعاقــــــــــــــــــب

وهذه الأخلاق الفطرية الراقية – كما قلنا – جاء الإسلام وأقرها ، ونرى ذلك في قوله تعالى : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص٢٩ .

[2] السابق نفسه ، ص ٢٩ .

وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا)[1] **صدق الله العظيم .**

ولم يمكث حاتم في وصفه طويلاً وعاد مفتخراً بعفته وصونه أقاربه (قرابة الرحم والسكن) ، نابذاً الكسالى أرباب المنازل ، ذاكراً الصعاليك قائلاً[2] :

ولست إذا ما أحدث الدهرُ نكبةً بأخضع ولّاج بيوت الأقــــــــــــــــــــارب

اذا أوطن القوم البيوت وجدتهـــــــم عماة عن الأخبار خرق المكاسب

وشرّ الصعاليك الذي همٌّ نفســـــه حديث الغواني واتباع المـــــــــــــــــآرب

مالي أراك تأخذنا من قضية لأختها يابن طي ، هل تراها أخلاقك تنضح قوافياً .. أم أساءك الحال فصغت من الأخلاق أبياتاً تتردد فماً عن فم ! .

نجده يذم جلّاس المنازل من الرجال ، لأن الرجل لم يخلق لهذا بل ليصول ، ويجول، ويحمي ، ويرعى ، ويقوم على أهله ، وقومه ، وماله ، بل يتعدى هذا إلى جاره ومستغيثة ، وما كان من حاتم إلا أن يستهجن ذلك في مقطوعاته .

ولما كانت القافية هي الأكثر تأثيراً على أولئك الأقوام إذ أنها تبلغ منهم أي مبلغ ، جاء النمر العكلي مدلياً بدلو الطلب والحثّ بادءاً بالأمر قائلاً[3] :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيـــــــــــح

---

[1] سورة النساء ، آية (٣٦) .

[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٣٠ .

[3] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٥٣ .

فالمال فيه تجلة

ومهابـــة

والفقر فيه مذلة وقبــوح

المخاطرة هي الوسيلة الوحيدة لكسب الكثير من الأموال عن النمر وهو يذم " جلوس المنازل" وفلسفته في ذلك أن المرء يعزٌّ بماله ، ويذل بفقره ، وسؤاله .

فحاتم ذم الصفة ، أما النمر أضاف بأن بين ولو طريقة لكسب المال ثم ذمّ الصفة – جلوس المنزل – وذكر ما يكون عليه المرء في الحالتين ، وكيف ينظر إليه .

وها هو ذا النمر بن تولب العكلي (رضي الله عنه) يردد المعنى السابق في البيت الأخير الذكر مرة أخرى ، ولكن هذه المرة تعدى البيت ، والإثنين بأسلوبه المباشر المعروف ، يقول[1] :

سلام الإله

وريحانـــه

ورحمته وسمـــاء درر

غمام ينزّل رزق العـــــــــــــــــــــــــــــباد فأحيا

البلاد وطاب الشجـــــر

أرى الناس قد أحدثوا شيمةً وفي كلّ حادثة

يؤتمـــر

يهينون من حقروا سيبـــــــــــــــــــــــــــــه وإن كان

فيهم يفي أو يبـــــــــــــــــــر

ويعجبهم من رأوا عنـــــــــــــــــــــــــــــده سواماً

وإن كان فيه الغمـــــــــــــــــر

---

[1] السابق نفسه ، ص ٦٤ .

ألا يا لذا الناس لو يعلمون   للخير خيرٌ وللشر شـــــــــــــــــــــــــــــر

فيوم علينا ويوم لنـــا   ويوم نساء ويوم نســــــــــــــــــــــــــــــــــر

نعم يوم علينا وآخر لنا ، والأيام دول ، والدهر لا يبقى على حال .

أما عن بيت حاتم الأخير " وشر الصعاليك ... " هذا سنتحدث عنه لاحقاً .

وظل حاتم يبذل في حالتيه : مُيْسِراً أو مُعْسِراً " فهو القائل[1] :

ألم تعلمي أنّي إذا الضيف نابني*   وعزّ القرى* أقرى السديف* المسرهدا*

وقال أبو سحيم الكلابي[2] : ضاف بحاتم رجل في سنة فلم يقدر على شيء فطلب من عمِّه قراه لم يقدر على شيء ، وله ناقة يسافر عليها يقال لها " أفعى " فعقرها فأطعم أضيافه قسمها ، وبعث إلى عياله قسمها الآخر . فقال حاتم :

لما رأيت الناس هرّت كلابُهـــم   ضربتُ بسيفي ساق أفعى فخـــرتِ

فقلتُ لأصباه صغار ونســـــــــــــوة   بشهباء من ليل الثلاثين قـــــــــــــــــــرت

عليكم من الشطين كل وريـــــــــــة   إذا النار مست جانبيها ارمعـــــــــــــلت

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٠ – ٤١ .

* نابني : أصابني . * القرى : طعام الضيف . * السديف : الشحم . * المسرهد: المقطع .

[2] تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، تحقيق: علي بشيري ، الباب : حاتم بن شعب بن يزيد .. ، ج١١ ، ص ٣٦٨ .

ولا ينزل المرء الكريم عيـــــــــــــــــــــــاله وأضيافه ما ساق مالا بضـــــــــــــــــــــــــرت

هو في هذه الأبيات يرينا كيف أضاف زواره إذ أنّه أكرمهم غاية الإكرام .

أولاً : حينما نحر لهم ، وأوفر عليهم طعاماً وشراباً .

ثانياً : حينما نحر " أفعى " ، وما أدراك ما هي ! الناقة التي تحملت معه رمضاء الصحارى والقفار ، ووعورة الشِّعاب والأسفار .. نحر أعزّ ما يقتنيه الأعراب .. الراحلة .

فبهذا الموقف يرتقي منزلة أسمى في مدارج الكرم .. بذل " أفعى " ، وبذلوا أخباره في قراهم ، وديارهم شكراً .. وبراً .

ولكنا إذا ما أخذنا أبيات حاتم السابقة ، وأبيات النمر الأربعة التي – ذكرت آنفا – ، ويبتدرها بقوله[1] :

لعمر أبيك ما لحمي بربٍّ ولا لبني علي ولا سلائـــــــــــــــــــــــي

والتي يتحدث فيها بأنه لا يختزن طعاماً ولا شراباً ، ويعير ، ويؤثر ، إذا أخذنا النصَّين دونما استصحاب لمعرفتنا بالشخصيتين لوجدنا أن الشاعر الطائي هو الأقوى دلالة ، وأصدق معنى وذلك من منظور أنه يحكي في أبياته ما حدث له .

أما النمر فهو يُقْسِم مؤكداً لحاله – حالة كونه كريم – ، في حين أننا كثيراً ما نجد حاتماً على حالة الأخير ، واصفاً لحاله تارةً وملبساً أبياته رداء الحكمة تاراتٍ أخر .

[1] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٣٥ .

مثال الأول " وصف حاله " قوله[1] :

إذا كان بعض المال رباً لأهله فإني بحمد الله مالي معبـــــــــــــــــــــــــــد

يفك به العاني ويؤكل طيبـــــــــــــــــــــــــــــــــاً ويعطى إذا منّ البخيلُ المطرّد

إذا ما البخيل الخبّ أخمد نـــــــاره أقول لمن يصلى بناري أوقـــــــــــدوا

فهو في هذه الأبيات يصف حاله ، ويذكر ضروباً من الذين يبثهم عطاياه دونما منٍّ ولا رياء .

ومثال الثاني : " ملبسها رداء الحكمة " قوله[2] :

إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد بفضل الغنى ألفيت مالك حامد

وما يعدى المال عنك وجمعـــــــــــــــــــــــــــــــه إذا كان ميرثاً وواراك لاحـــــــــــــــــــــــــــد

وكلاهما يزعم أن المال هو سبب السيادة والسلطة ، والمال عندهما وسيلة يرتقيان بها أمام أقوامهما ، ويسموان بها أمام معارفهما ، فينصران الضعيف ، ويفكان الأسير ، ويدفعان المغير ، ويعطيان الأجير ، ولكن ليس غاية في حدّ ذاته . قال حاتم[1] :

---

[1] الأغاني ، ج ١٧ ، ص٣٨٧ .

– تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، الناشر : الفاروق الحديثة ، الباب : الشعراء ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٣٨.

أسوّد سادات العشيرة عارفـــاً ومن دون قومي في الشدائد مزودا

وألفي لأعراض العشيرة حافظـــــــــــــــــــــــــــــاً وحقِّهم حتى أكون المســـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوّدا

يقولون لي : أهلكت مالك فاقتصـــد وما كنت لولا ما تقولون ســـــــــــــــــــــــــــيّدا[1]

أما النمر – رضي الله عنه – فيقول[2] :

فالمال فيه تجلة ومهابـــة

والفقر فيه مذلة وقبـــو ح

وإذا ما درسنا نصوصهما ، نجد أن حاتماً يرى في بذله سبيل السيادة القائمة لا محالة ، والرئاسة المدعومة من كل الأطراف ، والريادة المؤيدة من الغريب قبل القريب ، دون أن يأبه بفقدانه طالما الغرض أسمى وأغلى . فهو القائل[3] :

وإذا ما بخيل الناس هرّت كلابُه وشقّ على الضيف الضعيف عقورُها

فإنّي جبان الكلب بيتي مـــــــــــــــــــــــــوطأ أجود إذا ما النفس شحَّ ضمـــــــــــــــــــــــــيرُهـــــــا

---

[1] السابق نفسه ، ص ٤١ .

[2] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٥٣ .

[3] ديوان حاتم ، ٦٢ .

وإنّ كلابي قد أُهرت وعُـــــــــــــــــــــــــــــوّدت قليل

على من يعتريني

هـــريرُهـــــــا

وما تشتكي قدري إذا الناس أمحلــــــــــــــت وأؤثفها طوراً .. وطوراً

أميرهـــــــــــــــــــــا

وأبرز قدري بالفضاء

قليلـــها

يرى غير مضنون به وكثيرهـــــــــــــا

وإبلي رهن أن يكون

كريمـــها

عقيراً أمام البيت حين أثيـــــــــــــــــــــــــــــرهـــــا

أما منهاج النمر – في ذاك البيت – مختلف قليلاً ، فهو يرى في المال سبيل العزِّ ذاتِه .

ولكنّ الرجل الشجاع ، المقدام ، ذا الأخلاق الفاضلة ، السمح ، الكريم الصادق ، ذا الحسب والنسب ، لا ينقص الفقر من مكانته بين أقوامه ولا يحطُّ من قدره بين أقرانه ، لأنّ المال غاد ورائح . وإن كانت نظرة الناس نظرة مادية فهذا لا يؤثر على رجل يحمل تلك الصفات بل يجعله هذا أكثر اعتداداً بذاته ، وأكثر دراية بمن هو معه من غيره فتسقط الأقنعة الزائفة ، وتظهر الحقائق ، وبهذا يعود الكسبُ كلُّ الكسبِ له لأنّه لم يضع وقته وإحسانه في بناء عزٍّ مادتُه الشعر والوبر .

ولا ضير من وجود مال يعان به ضعيف ، ويصلح به حال ، ويكرم به ضيف ، وينصر به ابن عم قريب ، أو جار غريب ، ولكن إن توافرت كلّ هذه الأشياء – قطعاً –في شخص واحد فقد ملك ما ملك دونما كبر أو خيلاء ، ودونما ترفع أو إزدراء . ولا أظن أن المال هو الدعامة الأساسية ولا العمدة ، ولا العماد في بناء أيِّ شخصية ، إلا أنّه فرع ذو أهمية .

ومن ناحية أخرى فإنَّ حاتماً إنْ آثر الثراءَ لفعل ، ولكنَّه أراد أمراً أعظم من ذلك فأدركه وهو القائل[1] :

وقد علم الأقوام لو أنّ حاتماً أراد ثراء المال كان له وفـــــــــــــــــــــــــــــر

وإنّي لا آلو بمال صنيعـــــــــــــــــــــــــــــة فأوله زاد وآخـــــــــــــــــــــــــره ذخـــر

يُفك به العاني ويؤكل طيبـــــــــــــــــــــــــاً وما إن تعريه القداح أو الخمر

لا أدري ما حرفة حاتم وما مهنته التي امتهنها حتى كانت له هذه الأموال ؛ ولكن أستطيع أن أبين حدود تحركاته ، ومحاور تعاملاته ، والقيم التي حملها وسار عليها وذلك من خلال أبياته فقط فهو يقول[2]:

ولا أشترى مالاً بغدر علمتُه ألا كل مال خالط الغدرُ أنكدا

وان كان المال عند الكريم منهم جعله جُنَّةً ووقايةً ، واتخذ منه ستراً وغطاءً لنفسه وأهله ، وردد هذا حاتم في أبياته قائلاً[3] :

وأجعل مالي دون عرضي جنـــــــــــــــــــــة لنفسي فأستغنى بما كان من فضلي

وعاوده الإحساس بالفكرة مرة أخرى فأتى بصدر كصدر بيته السابق فقال[4] :

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٥١ .

[2] الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٨٧ .

[3] السابق نفسه ، ص ٢٥١ . وفي ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٥ .

[4] السابق نفسه ، ص ٧١ .

وأجعل مالي دون عرضي إنـــــــــــــــــــــي كذلكم ما أفيـــــــــــــــــــــــد

وأتلـــف

وقال[1] :

ذريني يكن مالي لعرضي جنـــــــــــــــــــة يقي المال عرضي قبل أن يتبـــــــــــــــــددا

وخلاصة هذا أن المال ليس له مكان عنده .. يكسبه ويقوم توّاً بصرفه وبذله بذل من لا يخش الفقر أبداً وذلك لأسباب عدة :

أوّلاً : إن المال غادٍ ورائح ولا ينوبك منه إلا السيرة إما حسنة أو سيئة . وقال مخاطباً زوجته[2] :

---

[1] السابق نفسه ، ص ٤٠ .

– وفي معجم السفر ، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، تحقيق : عبد الله عمر البرودي ، ج١ ، ص ٣١١ ، يقول :" ذروني يكن مالي لعرضي وقاية ... " .

[2] الأغاني ، ج ٥ ، ص ٣٧٧ .

- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، الباب : عذر ، ج٤ ، ص ٥٤٥ .

- مفردات ألفاظ القرآن – نسخة محققة ، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار القلم ، دمشق – سوريا ، الباب : كتاب الألف ، ج١ ، ص ٦٤ .

- رسائل ابن حزم الاندلسي ، ابن حزم ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، الباب : ٨ ، فصل في مداولة ذوي الأخلاق الفاسدة ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

أماوي ! إنَّ المال غادٍ ورائـــــــــــــــــــــحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكر

وقال[1] :

فلا الجود يفني المال قبل فنائـــــه ولا البخل في مال الشحيح يـــــزيد

فلا تلتمس رزقاً بعيش مقـــــــــــــــــــــــتَّرٍ
لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جـــــــــــــــــــــــــــــــــديدُ

ألم تر أنّ الرزق غادٍ ورائـــــــــــــــــــــحٌ وأنّ الذي أعطاك سوف يعـــــــــــــــــيدُ

ثانياً : يرى الكريم سبل المال وافرة ، وطرقه سهلة فنجده دائماً متفائلاً ومتيقناً أن رزقه لا يفوته وأنّ قدره ، ومقداره آتيه لا محالة فقال[2] :

كلوا الآن من رزق الإله وأيســــروا فإن على الرحمن رزقكم غـــــــــداً

وقال النمر العكلي بيتاً في معنى أبيات حاتم – الآنفة – وأجعل مالي .. ولكنّه يردُّ على أخيه الذي يلومه على إعطاء المال – سيذكر في لوم العواذل – قائلاً[3] :

_ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن على بن بسام الشنتريني . المحقق : إحسان عباس ، الناشر : الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط١ ، ج ١ ، ٣٠٢ .

[1] المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي ، دار النشر: دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٤١ .

[3] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ١٣٤ .

أقي حسبي به ويعز عرضـــــــــــي   علي إذا الحفيظة أدركتنـــي

فالنمر ليس ميَّالاً للفخر إذ أن الفخر عنده لا يتعدى أبيات قليلة ينثرها هنا وهناك من قصائده ، بعكس حاتم الطائي ، الذي حاز الفخر على قدرٍ كبيرٍ من قصائده ومقطوعاته ، فيقول مفتخراً بنفسه[1] :

وإنّي لأقري الضيف قبل سؤاله   وأطعن قدماً والأسنة ترعـــــــــــــــــــــــــــــفُ

وإنّي لأخزى أن ترى بي بطنــــــــة   وجارات بيتي طاويات ونحّـــــــــــــــــــفُ

وانّي لأغشى أبعد الحيّ جفنتي   إذا حرّك الأطناب نكباء حرجفُ

وإنّي أرمي بالعداوة أهــلها   وإنّى بالأعداء لا أتنكـــــّــــــــــــــــــــــــــــــفُ

وإنّي لأعطي سائلي ولــــــــــــــــــــــــــــــربما   أكلّف ما لا أستطيع فأكــــــــــــــــــــــــلَفُ

وإنّي لمذمومٌ إذا قيل حـــــــــــــــــــــــــــــــــــــاتمٌ   نبا نبوة إن الكريمَ يعنّــــــــــــــــــــــــــــــــــفُ

سآبى وتأبى بي أصول كريمة   وآباءُ صدقٍ بالمودةِ شرّفــــــــــــــــــــــــــــــوا

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٠ .

ويقول[1] :

وأغفر إن زلّت بمولاي نعلـــــــــــــه ولا خير في المولى إذا كان يقرفُ

سأنصره إن كان للحقِّ تابعـــــــــــــاً وإن جار لم يكثر عليَّ التعطُّـــــــــــفُ

وإن ظلموه قمتُ بالسيفٍ دونه لأنصره إنّ الضعيفَ يؤنّـــــــــــــــــــــــفُ

وإن تناول حاتم في هذه الأبيات مسلك الفخر الذاتي فأظنه لم يوفق في وصف ذاته بالكرم في قوله : " وإنّي لأقري الضيف قبل سؤاله .. " ، لأن الضيف بطبيعته ينزل ولا يسأل – في الأغلب – ، وإن كان يسأل يبقى وصفي له – حاتم – وتقويمي بيته كما هو. وكان أجدر به أن يقول : " وإنِّي لأقري الضيف قبل نزوله " أو " وإنّي لأقري الضيف قبل حلوله " ، وما المبالغة عندئذٍ إلا دلالة على البعد في الإتصاف بالصفة سواء كرم ، أو سماحة أو غير ذلك ، كما في قوله في أبيات أخرى[2] :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحلـــــــــــــــــــــــه ويخصب عندي والمحلُّ جديبُ

---

[1] السابق نفسه ، ص ٧١ .

[2] السيرة النبوية لابن هشام ، لأبى محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري ، دراسة وتحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ج١ ، ص ١٢٦ .

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الباب : حلف الفضول ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

– شرح وتحقيق ديوان حاتم ، ص ١٥ .

وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثرَ القرى ولكنّما وجهُ الكريمِ خصيـــــــــــــــــــــــــبُ

وفخر في عجز البيت بطعنه النافذ ، المهرق للدماء وفي هذا دليل على شجاعته ، وجرأته عند ملاقاة الأعداء ، والنيل منهم .

وفي البيت الذي يليه يظهر جانباً آخر فيه تصوير واضح تناول فيه البعد الجسدي والذي يخلص فيه على وصف ذاته بالجود ، ويفخر بأنه يرسل جفنة طعامه بعيداً لكلِّ سالك وضائق ، ويفخر بأنه يعادي من يعاديه ولا يمانع في ذلك أبداً .

وأنه يعطي سائله بل يتكلف ما لا يستطيع " حتى " ، ويصر على القيام به ، لأنه في هذا كلِّه يخشى الذم ، ويخاف أن يُقال : " حاتم نبا نبوة .. " أي أخطأ ، وذل ، وقال: سآبى وتأبى بي أصول كريمة .. " أي أن أصله ، وأصل آبائه الشرفاء الميامين يأبون عليه إلا أن يفعل ذلك كلّه .

وهناك سبب آخر وهو الذود عن عرضه ، والحفاظ عليه بأن يخرس فاه كلِّ متطاول معتدٍ بإغراقه إطعاماً وإكراماً ، فلا ينطق إلا شكراً وإحساناً .

ويغفر أخطاء أهله وأقربائه ، بل ينصرهم إن احتاجوه ، وإن ظلموه يعفو ويصفح عنهم لحكمته وقدرته . وإن ظلموه قام بالسيف دونهم حتى لا يؤنَّفوا من " أنَّف " كناية عن الذلِّ ، أي حتى لا يُذلوا .

ويسترسل في افتخاره بنفسه ، ويشترك مع النمر في استخدام الموت ، وربط العطاء به . فحاتم يقول إنّه وإن عاش طويلاً فمصيره الموت ، ولا يكسب إلا ما يبذل في حياته إن خير فخير وإن شر فشر يقول[1] :

وإنّي وإن طال الثواء لميتٌ ويعطمني ماويُ بيتٌ مسقــفُ

وإنّي لمجزي بما أنا كاسب وكلُّ امرئ رهن بما هو متلفُ

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٠ .

فالنمر يقول آنفاً[1] :

أقي حسبي به ويعزُّ عرضي   عليَّ إذا الحفيظة أدركتـــــــــــــــــي

وأعلم أن ستدركني المنايـــــــــــــــــا   فإن لا أتبعها تتبعنـــــــــــــــــي

رأيت المانعين المال يومـــــــــــــــاً   مصيرهم لإلقاءٍ فدفـــــــــــــــن

فهو يجعل المال وسيلة يحفظ بها عرضه ، ووقاية وحصنا إذا أدركه الموت الذي لا محالة تابعه ، فيذكره الناس بالخير الذي فعله ، فهو يرى في البخل العار والخزي .

وحاتم يكني بـــ " البيت المسقَّف " عن الموت ، ويذكر أنَّه لن يعطى ويجازى إلا بما أعطى بل كلُّ إنسان لن يأخذ إلا ما وهب و" كل امرئ رهن بما هو متلف " .

ويقول[2] :

أهن للذي تهوى التـــــــــــــــلاد فـــــإنّه   إذا متُّ كان المال نهباً مقسمـــــــــــــــا

ولا تشقين فيه فيســـــــــــــــعد وارث   به حين تخشى أغبر اللون مظلما

قليلٌ به ما يحـــــــــــــــمدنَّك وراثٌ   إذا ساق مما كنت تجمع مغنمـــــــــــــــا

---

[1] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ١٣٤ .

[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٨٠ .

أي أبذل وأصرف المال فإنَّك لن تكسب منه شيئاً إنما ذهبت بل يصير قسمةً ، ومغنما ، ولا تتعب وتجتهد عليه كي يسعد به الورَّاث بل اصرفه كي ينفعك حينما تخشى وتغشى " أغبر اللونِ مظلما " – القبر – .

فالورَّاث يقسمونه فيما بينهم ، ويشرون كرامتهم في الدنيا ، ويبنوا به مناصبهم ، وأنت في " خطٍ من الأرض " – القبر– لا حول لك ولا قوة إلا ما فعلته من عمل صالح في دنياك .. وقليل ما يقابل فضلك شكر وتقدير ، وحتى لا يكن معك مثل ذلك فتعهد الكرم ، والبذل في نفسك خصلة تعزك حيّاً وميتاً .

وقال النمر [١] – سيذكر في اللوم :

أعاذل إن يصبح صداي بقفرةٍ   بعيداً نآني صاحبي وقريبـــــــــــــــــــــي

ترى أنَّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّـــــــــــــــــه   وأنّ الذي أمضيت كان نصيبي

وذي إبل يسعى ويحسبها لـــــــــــــــــــه   أخي نصب في سقيـــــها ودؤوب

غدت وغدا ربٌّ سواه يسوقهـــــــــــــــــا   وبدّل أحجاراً وجال قليـــــــــــــــــــــــــــبِ

يستخدم أسلوب الخطاب مع من تعذله من النساء قريبة أم بعيدة يقول لها : " إذا متُّ لن ينفعني شيء إلا ما بذلتُه في حياتي ، وربَّ صاحبِ إبل ينهمك في تربيتها ، ويرعاها دونما كلال أو ملال تغدو لغيره ، ويغدو – هو– في قبر لا يؤانسه فيه إلا عمل صالح قدمه لحياته .

[١] ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٤٣ – ٤٤ .

ويشترك معه حاتم في هذه المعاني فهو يقول[1] :

إذا أنا دلاني الذين

أحبهـــــــــــــــــــــــــــــــم لملحوة زلج

جوانبها غبـــــــــــــــــــــــــــــرُ

وراحوا عجالاً ينفضون أكفهـــــــــــــــــم يقولون : قد

دمَّى أناملنا الحـــــــــــــــــفرُ

أماوي إن يصبح صداي بقفـــــــــــــــرة من الأرض

لاماء هناك ولا خمر

تري أن ما أهلكت لم يك ضرني وأن يدي مما بخلت به

صفـــــــــــــــــــــــر

فالمقصد في قوله واضح جلي ، يحوي في طياته المعاني السابقة بطريقة مختلفة قليلاً ، يسلك فيه المسلك التصويري ، إذ أنه الأوقع والأبلغ في إيصال أي فكرة من الأفكار ، ويذكر الموت لمزيد من العظة والاعتبار .

فنرى الشاعرين اشتركا في المقصد ، وإن كان الأول استصحب سبيل الحكمة والاستدلال على الرأي بالمثال في قوله : وذي إبل .. " .

وفي قوله في البيت الأول : " بعيداً نآني صاحبي وقريبي .." فإن حاتماً يقول هنا : " إذا أنا دلّاني الذين أحبهم .. " ، إذا كان هناك نفع يرجى فالحبيب أولى من الصاحب والقريب ، ولكن لا نفع بعد الموت منهم جميعاً ، فاستخدام حاتم لكلمة " أحبهم " تسهم في إيصال الاستحالة أكثر وأكثر وتقوم مقام الصاحب والقريب .

---

[1] الأغاني ، ج١٧ ، ص ٣٨٣ .

- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، ط١ ، عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، الباب ٧٧ ، ج١٦ ، ص ١٩٨ . وديوان حاتم الطائي ، ص ٥٠ .

ثم إن حاتماً استخدم أسلوب التصوير ، فصور تلك الحالة تصويراً دقيقاً في قوله : " ينفضون أكفهم " ، وتذمرهم في قوله : " قد دمَّى أناملنا الحفر " ، وحالته في القبر : " لا ماء هناك ولا خمر " .

فلكلٍّ أسلوبه ولا فضل لأسلوب على أسلوب ، ولكن الفضل كان في إنتقاء عبارات وكلمات أدقَّ منها عبارات وكلمات أخرى .

واشتركا في بعض المعاني فقال النمر[1] :

ترى أنَّ ما أبقيت لم أك ربَّـــــــــــــــــــــــه وأنَّ الذي أمضيت كان نصيبي

وحاتم يقول[2] :

ترى أنَّ ما أهلكت لم يك ضرني وأنَّ يدي مما بخلت به صفـــــــــــــــــر

نجد صدر بيت " النمر" يقابل عجز بيت " حاتم " في المعنى ، وكذلك عجز بيت "النمر" مع صدر الآخر .

---

[1] ديوان النمر ، ص٤٤ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة – مصر ، ط٧ ، عام ١٤١٨ هـــ – ١٩٩٨م ، مطبعة المدني – السعودية – .

- باب آخر من الأسجاع في الكلام ، ج١ ، ص ٢٨٤ . ولكن ذكر هنا بـــ " وأن الذي أنفقت كان نصيبي .. " .

- وكذلك في " الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٤١٧هـــ – ١٩٩٧م .
الباب : في وصف الجود والحث على المبادرة به ، ج١ ، ص ٢٩٢.

واشتركا في كلمات البدء " ترى " ، وترخيم" ألك ويك " ، واشتركا في المقصد العام أي أنَّ ما يبذلونه يجدونه حتماً ، وما يتركونه أو يبخلون به يصير لغيرهم ، ولا ينتفعون منه بشيء .

فالنمر أصاب المرام هذه المرة حينما قال : " وأن الذي أمضيت " كان نصيبي " أي أنَّ الذي صرفته ، وبذلته هو الذي عاد علي بالنفع الجزيل . بعكس حاتم الذي قال : "ترى أنَّ ما أهلكت لم يك ضرني " ، عبارة " لم يك ضرني " عبارة غير دقيقة ، لأنَّ عدم الضرر لا يشترط فيه الفائدة ، وبمعنى آخر" عدم الضرر" تكون الفائدة فيه مجرد احتمال.

وذكر المبرد في الكامل بيت حاتم هكذا[1] :

ترى أنَّ ما أبقيت لم أك ربّه   وأن يدي مما بخلتُ به صفر

أي أنَّهما استخدما الصدر نفسه ، والفرق اختلاف الأعجاز ، وهذا توارد خواطر غريب للغاية ، فهما لم يقفا على ما اتفقا عليه فحسب بل اشتركا في العبارات اشتراك المرأة صاحبها الملامح نفسها ، والشبه ذاته .

وإذا وقفنا على قوله : " وأن يدي مما بخلت به صفر " ، أظنُّه يعني بـــ " ما بخلتُ به " ما ذكره هنا " الفرس ، والسيف ، والرمح " ، ولا أحسبه كذلك – بخل – لأنَّ الحفاظ عليها حفاظ على النفس ، ودفاع عن الأهل ، والعشيرة ، وهو لم يترك غيرها من مأكل ، ومشرب ، وملبس . وهو يقول[2] :

متى يأت يوماً وارثي يبتغي الغنـــى   يجد جمع كف غير ملء ولا صفـــــــــــــــــــــــــــر

[1] الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، ص ٢٩٢ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٤٦ .

– شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، الباب : وقال حاتم الطائي .

يجد فرساً مثل العنان وصارمـــــــــــــــــــــــــــــــاً
حساماً إذا ما هز لم يرض بالهبـــــــــــــــــــــــــــــر

وأسمر خطياً كأن
كعوبـــه نوى القسب قد أرمى ذراعاً على العشر

وإني لأستحيي من الأرض أن أرى بها الناب تمشي في عشياتها الغبـــــــــــــــــــــــــــر

قوله "جمع كفٍّ " هو القدر الذي يجمع عليه الكف من المال وغيره . والصفر الخالي من الشيء . فيقول ؟ إذا جاء وارثي بعد موتي يجد قَدْراً من المال ، لا يوصف بالكثرة ، ولا بالقلة .

كما أنه في البيت الآخر : استحى أن ترى به بطنه ، وأن تظهر عليه نعمة وجاراته في حاجة إلى مساعدة ، بالرغم من أنهنّ رعية غيره فهو هنا يجعل المسؤولية كلَّ المسؤولية على عاتقه ويلوم نفسه إن قصَّر فيها .

فهو يبدي تخوفاً من البطنة بطريقة أو أخرى ، لأنها مدعاة للذم ، والخزي في رأيه .

فهو يقول[1] :

أما والذي لا يعلم الغيب غـــيره ويحيي العظام البيض وهي رميم

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٨٦ .

– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٥م ، ج١ ، ص ٩٦ .

لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهى مخافة يوماً أن يقال لئيـــم

وما كان بي ما كان والليل مبلـــــــــــــــــــــــس رواق له فوق الإكام بهيـــم

ألف بحلسي الزاد من دون صحبتي وقد آب نجم واستقل نجـــوم

فهو يقسم بالله أنه يطوي بطنه ، ولا يَطْعَم طعام أضيافِه أبداً ، وهو في زمن جدب، وليالٍ موغلة في الظلمة حتى لا يقال عنه لئيم يحب نفسه ، وصرح بخوفه هذا قائلاً[1] : " .. أخاف مذمات الأحاديث من بعدي " .

وتناول في فخره بنفسه ، وكرمه معاني وصوراً مختلفة ، وهنا صور لنا كبر نفسه ، وازدراءه الشهوات ، بل ذهب إلى ذمها ، واحتقارها ، وعلى المرء ألا يتبع النفس فإنَّها أمّارة بالسوء جلَّابة للمهالك .

وتحدث النمر عن النفس مقسماً لها في الذم والتعريض برجل بخيل – سيذكر في الذم –[2] :

أما خليلي فإنِّي غير معجلـــــــــــــــــــــــــــــــــه حتى يؤامر نفسيه كما زعمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

نفسٌ له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

فوسم النفس التي تعطي ، وتبذل دونما حساب بـــ " النفس الصالحة " ، والأخرى بالنفس " التي ترضع الغنما " أي الدنيئة الضعيفة عن قدرة العطاء ، وشجاعة الإنفاق ،

---

[1] ديوان النمر بن تولب ، ص ١٢٢ .

[2] الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٢٨٣ .

وثقة الرد ، والتعويض من الله جلَّ وعلا في الدارين الأولى والآخرة . وهذا التقسيم شاركه فيه حاتم الذي يقول عن نفسه[1] :

أشاور نفس الجود حتى تطيعني وأترك نفس البخل لا أستشيرها

وحاتم أشار إلى أن للإنسان نفسين " نفس الجود " وتقابل عند النمر " النفس الصالحة " ، ونفس البخل وتقابل عند النمر " النفس التي ترضع الغنما " ، قال النمر (رضي الله تعالى عنه)[2] :

أعذني ربِّ من حصر وعـــــــــــــــي ومن نفس أعالجها علاجـــــــــــــــا

ومن حاجات نفسي فاعصمني فإن لمضمرات النفس حاجـــــــــــا

وأنت وليها وبرئت منهـــــــــــــــــــــــــــا إليك وما قضيت فلا خلاجـــــــــا

وأنت وهبتها كوماً جـــــــــــــــــــــــــــلادا أرجي النسل منها والنتاجـــــــــــــــــا

فلست بحارم الأضياف منهـــــــــــــــا وجاعل دونهم بابي رتاجـــــــــــــــا

كانوا يعيبون التنحنح ، والارتعاش ، والحصر ، والتعثر في الكلام ، لذلك استعاذ منها النمر ، ولم يكتف بأن قسمها بل راح مستعيذاً من أمراض النفس المختلفة وقال : اعصمني من حاجاتها وشهواتها فإنّها تضمر الكثير من المطالب التي لا تنتهي ، فأنت

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٣ .
[2] ديوان النمر ، ص ٥٠ .

صاحبها وبارؤها وقد برئت منها إليك ، وأنت من ترزقني بلا حساب فكيف أجعل بابي مغلقاً دون خلقك وأضيافي .. أرزُقُهُم ما رزقتنيه بلا مقابل ، وأظنه قالها بعد إسلامه .

ويقول حاتم فيما يلي أبياته السابقة[1] :

وليس على ناري حجاب يكنها لمستوبص ليلاً ولكن أنيرهـــــــــــــــــــا

فلا وأبيك ما يظل بن جارتـــــــــــــــــــي يطوف حوالي قدرنا ما يطورها

فهو لا يواري ناره بل يوقدها كي يراها كلُّ ظاعن ، ويتهدي إليها كلُّ راحل ، فهو القائل ، لغلامه – يساراً[2] :

أوقد فإنَّ الليل ليل قـــــــــــــــــــــــــــــــرْ والريح يا موقد ريح صـــــــــــــــــــــــرْ

عسى يرى نارك من يمرْ فإن جلبت ضيفا فأنت حرْ

ولا حاجة لأن يطَّوَّف ابن جارته بقدره فهو يجزيه ، ويكفيه ، ولا يطعم شيئاً ما لم يشاركه فيه أحد ، وقال– في معنى ما سبق –[3]:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلاً فإني لست آكله وحـــدي

أخا طارقاً ، أو جار بيت فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

وإنِّي لعبد الضيف مادام ثاويـــــــــــــــــــاً وما في إلا تلك من شيم العبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــد

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٣ .

[2] السابق نفسه ، ص ٥٩ .

[3] السابق نفسه ، ص ٤٣ – ٤٤ .

وقال مخاطباً زوجه[1] :

لا تستري قدري إذا ما طبختهـــــــا علي إذاً ما تطبخـــــــــين حـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرام

ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي بجزل إذا أوقدت لا بضرام

فهو يأمر زوجه ألا توارى طبخها عن الزوار ، بل توقد الحطب الجزل بمكان مرتفع حتى يهتدي إليه الأضياف ، ونراه مفتخراً بذلك في قوله[2] :

قدوري بصحراء منصوبة وما ينبح الكلب أضيافيه

وإن لم أجد لنزيلي قـــــــــــــرىً قطعت له بعض أطرافيه

يفتخر بأنه يبرز قدره بالفناء ، ولا يحجب طعامه ولا ناره ، وهذه المعاني ما زال يرددها في أبياته . وقال : إنَّ كلبه لا ينبح الزوار فهو معتاد عليهم . وبالغ أيما مبالغة في بيته الأخير الذي يقول : بإمكانه قطع أطرافه إن لم يجد لضيفه قرى .

ولكني أجد تناقضاً فيما جاء في أبياته السابقة وما سأذكره له من أبيات هنا – إن صح إسنادها له – فهو يقول[3] :

ولا أزرِّف ضيفي إن تأوبنـــــــــــــــي ولا أداني له ما ليس بالداني

له المؤاساة عندي إن تأوبني وكلُّ زادٍ وإن أبقيته فـــــــــــــــــــــــــــــــانـي

قال هنا أنه لا يقصي ضيفه ، وكذلك لا يجتهد في أن يأتيه ما ليس بسهل ، فهو يكرمه إن جاءه فكل زاد وإن حفظه لابدَّ ماض وزائل .

---

[1] السابق نفسه ، ص ٨٨ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٧٢ .

[3] السابق نفسه ، ص ٩١ .

وهذا إذا ما ترجمنا الصدور والأعجاز ترجمة حرفية ، وإنما ترجمناها ترجمة عامة رأينا المضمون العام فلا اختلاف – أيضاً – في المراد . فهذه الأبيات لا تناقض الأبيات الفائتة فحسب بل كلُّ أبيات هذا الغرض – الفخر– من الديوان والبون بعيد جداً ، وواضح أيما وضوح بين هذي وتلك .

١. فإما ليست له .

٢. وإما سبقتها أبيات سقطت بطول الفترة ، يتحدث فيها بلسان أحدهم ، كأن يقول: " وقال فلان .. " ثم عقبها بهذه الأبيات التي وصلتنا وأوهمنا أنه يتحدث فيها عن نفسه بهذا التناقض – والله أعلم – .

هذه مجرد احتمالات وربما هناك غيرها ، والذي رأيناه هنا يناقض رجلاً يفخر ويقول[1] :

نِعِمَّا محلّ الضيف لو تعلمينـــــه بليل إذا ما استشرفته النوابح

تقصى إلىّ الحيّ إما دلالة علي وإما قاده لي ناصـــــح

فهو يقول إنه مقصد الناس وقبلة الزوار ، وهذا يجافي ما ورد هناك .

ومما ذكرناه نصل إلى أنه عاش في الحالين ، وذاق يسر العيش ، وعسره . وقال مفتخراً[2] :

وإنِّي لعفُّ الفقر مشترك الغنـــــى ووُدُّك شكل لا يوافقه

---

[1] ديوان حاتم ، ص ١٩ .

[2] السابق نفسه ، ص ٦٣ .

شكلـــ

ـــــــــي

وشكلي شكل لا يقوم

لمثلـــ

ـــــــــــــــــــــــه من الناس إلا كل ذي نيقة

مثلـــي

ولي نيقة في المجد والبذل لم تكـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــن

تأنقها فيما مضى أحد

قبلـــ

ـــــــــي

وأجعل مالي دون عرضي

جنـــة لنفسي

فأستغنى بما كان فضلـــي

ولي مع بذل المال والبأس صولـــــــــــــــــــــــــــــــــــــة

إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصـــــــل

وما ضرني أن سار سعد

بأهلـــه وأفردني في

الدار ليس معي أهلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي

سيكفيني ابتناي المجد سعد بن حشرج وأحمل عنكم كل ما حل من

أزلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي

وما من لئيم عاله الدهر

مـــرة

فيذكرها إلا استمال إلى

ومع ما ذكرناه من افتخاره بذاته ، وعطائه ، وإشراكه غيرَه في ماله إلا أنَّه يعفُّ عن مال غيره ، ولا يظهر فقره وعوزه ولا يطالب بأن يعامَل كما يعامِل .

ويفخر بأنه تأنَّف ، وتخلَّق بما لم يشابهه فيه أحد ، وهو لا يقصد الصفة " الكرم " ولكنه يقصد " درجته والإغراق فيه " ، وليس الكرم ما فخر به وحده بل له في مواطن الحرب صولات ، وجولات ، تنبئ عن شجاعته ، وإقدامه ، والبذل عنده تعدى الأموال إلى الذات ، فدفع بها في حياض الموت بكل جسارة ، وبسالة .

وفي قوله : " وما ضرني أن سار سعد بأهله .. " أراد أباه (سعد بن الحشرج) وله معه قصة – ذُكِرت في التمهيد – .

وقال مفتخراً بشجاعته[1] :

وخيل تهادى للطعان شهدتهـــــــــــــــا ولو لم أكن فيها لساء عذيرهـــــــــــــــا

وغمرة موت ليس فيها هـــــــــــــوادة يكون صدور المشرفي جسورهـــــــــــــا

صبرنا لها في نهكها ومصابهـــــا بأسيافنا حتى يبوخ سعيرهـــــــــــــــا

وعرجلة شعث الرؤوس كأنَّهـــــــــــم بنو الجن لم تطبخ بقدر جزورهـــــــــا

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٣ – ٦٤ .

شهدت وعواناً أميمة

إننـــــــــــــــــــــــــــــــــا بنو الحرب نصلاها

إذا اشتد نورهـــــــا

وخيل أي " ربَّ خيلٍ " يفخر بأنه تهادى ، وعدى بخيله نحو القتال بلا تردد وتخاذل، ولو لم يكن فيها لساء الأمر، وخاض غمار الموت في غاية الجسارة ، وصبر على شدة الحروب مستعيناً بسيفه الحسام ، ومعه " عرجلة " أي " رجال " مغبرو الرؤوس، منكرو الأشكال كأنهم في قوتهم ، وشراستهم الفائقة ، واندفاعهم لحياض الموت " بنو الجن " .

ويقول : إنه شهد تلك الحروب بصحبة " عوان " مخاطباً محبوبته " أميمة " بأنه لا يخاف ، ولا يهاب الحرب مهما اشتدت وسعرت . ويواصل قوله واصفاً المهرة التي امتطاها :

على مهرة كبداء جرداء ضامـــــــــــرٍ أمين شظاها مطمئن نسورهـــا

وأقسمت لا أعطي مليكاً ظلامه وحولي عدي كهلها وغريرهـــــــــا

أبت لي ذا كم أسرة

ثعليـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــةٌ كريم غناها مستعفٌّ

فقيرهـــــــــــــــــــــا

وخوص دقاق قد حدوت لفتيـــــــــــــــــــــــة عليهن إحداهن قد حلَّ كورهـــــا

يصف مهرته بتلك الصفات – ستذكر في الوصف – دلالة على أصالتها ، وهو يقسم أنه لن يعطي المليك أو الملك مالاً أُخذ ظلماً ، ففي بيت له يقول[١] :

---

[١] ديوان حاتم ، ص ٢٣ .

ولا أشتري مالاً بغدر علمته   ألا كل مال خالط الغدر أنكـــــــــــــد

وحوله قبيلة عدي صغارها ، وكبارها . فنفسه وأصله يأبيان عليه ذلك فهو من أسرة ثعليَّة " بنو ثعل " ، فهم يبذلون في الإيسار ، ويعفون عند العوذ . والمعنى الأخير " أبت لي ذاكم .." يشبه قوله : " وإنِّي لعفٌّ الفقر مشترك الغنى ... " – ذكر آنفاً – ، ولكن هناك فَخِر بذاتِه ، وهنا استدرك في وصفه أسرتَه " ثعَل " ولا غرابة أن يتصف بهذه الصفة طالما أنَّ أسرته اتصفت بها .

وفخرُه بشجاعته وقوته قليل إذا ما قورن بفخره بالعطاء والإنفاق ، والإكرام ، والإغراق ، وأقل منه في البابين – الفخر بالشجاعة والعطاء – النمر بن تولب " رضي الله عنه " ، ولا نعني أنه لم ينظم فيه ، فقد كان من المجيدين في هذا الجانب وحسبنا قوله – مخاطباً جمرة مفتخراً ومعتزاً –[1]:

هل تذكرين جزيت أحسن صالح   أيامنا بمليحة* فهرارهـــــــــــــــــــا*

أزمان لم تأخذ إلي سلاحهـــــــــــــا*   إبلي بجلتها ولا أبكارهـــــــــــــــا

---

[1] السابق نفسه ، ص ٧٠ – ٧٣ .

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٠٣ ه ، الباب : أعفر .

* مليحة : اسم موضع في بلاد بني يربوع . * الهرار : موضع متصل بمليحة ، الباب : الهرار– السابق نفسه – . * أخذت الإبل سلاحها : إذا حسنت في عين صاحبها فمنعه ذلك من نحرها .

– المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧ه – ١٩٩٦م ، الباب : القوية الشداد .

* أساود ربها : أي أساره . شبه سنام الناقة بالولية لعظمه وهي البرذعة .

– حاشية الديوان ص ٧٠ .

أعتزها ألبانها

ولحومهــ

ـــا فأهين ذاك لضيفها ولجارهـــــــــا

ولرفقة في ليلة

مشمولـــة

نزلت بها فعدت على آسارهـــــــــا

وأضاع أقوام فسبت

أمهـــم وأبوهم حتى

يمت بعادهــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

كانوا يسيمون المخاض أمامهـــــــــــــــا ويغرزون بها على

أغبارهـــــــــــــــــــــــا

ولقد شهدت إذا القداح توحـــــــــــــدت وشهدت عند الليل موقد

نارها

عن ذات أولية أساود* ربهـــــــــــــــــــــــــــــا وكأن لون

الملح فوق شفارهـــــــــا

فمنحت بدأتها رقيباً جانحـــاً

والنار تلفح وجهه بأوارهـــا

كانت عقيلة ماله

فأذلـــه

عن بعض قنيتها رجاة بكارهـــــــــا

حتى إذا قسم النصيب وأصفقت يده بجلدة ضرعها

وحوارهــــــــــــــــــــــــــــــــا

ظهرت ندامته وهان بسخطــــــــــــــــــــــــه ثنيا على مربوعها وعذارهــــــــــــــــــــــا

ولقد شهدت الخيل وهي مغيـــــــــــــــــــرة وشهدتها تعدو على آثارهــــــــــــــــــــــا

وحويت مغنمها أمام جيادهـــــــــــــــــــــــــا وكررت إذ طُرَّت على أدبارهـــــــــــــا

ولقد شفيت من الركاب ومشيهـــــا وزفيفها نفسي ومن أكوارهـــــــــــــــــــــــــــا

وكأنما انطمرت جنادب* حـــــــــــــــــــــرَّةٍ في سردها فرمتك عن أبصارها

فالشاعر يفخر بكرمه ، وأنه ينحر لضيفه ولا يهمه شحم الناقة ولحمها ، يهينها لزواره دون نفسه ، وهو القائل : " وفي جسم راعيها هزال وشحبة .. " ، وذم البخلاء أيما ذم قائلاً : " وأضاع أقوام .. " ، أي : أضاعوا الفضل ، فذُمُّوا وسُبُّوا ، وراح واصفاً سلوكهم، ثم افتخر مرة أخرى بنفسه ، وشجاعته على أعدائه ، فإن التقى العدو فاز بالغنيمة ، وإن جَبُنَ واستسلم رجع عنه . والنمر يصل إلى ما يريد من المعاني بأسهل الطرق ، ويعبر عن نفسه بأيسر العبارات ، ففي قصيدته السابقة أفصح عن أحاسيس كثيرة في نفسه ، وببغضِ ما لا يوافقُه من الصفات الذميمة ، وأشنعُها عندهم الشحُّ .

ويقول – مفتخراً بنفسه –[1] :

فإن تك أثوابي تمزقن عن بِلىً فإنِّي كنصل السيف في خلق الغمد

---

* الجنادب : ضرب من الجراد .
– حاشية الديوان ، ص ٧١ .
[1] ديوان النمر ، ص ٢٥ .

أي أنّه كنصل السيف القوي القاطع وإن هلك الغمد واهترأ فالنصل باقٍ لا يغيره عن حاله مغيِّر .

وقال حاتم مفتخراً[1] :

وخرق كنصل السيف قد رام مصدفي تعسفته بالرمح والقوم شـــهدي

فخرَّ على حر الجبين بضربـــة تقط صفاقا عن حشا غير مســـــــــــــــــــند

فمارمته حتى تركت عويصـــه بقية عرف يحفز التُّرب مـــــــــــــــــــــــــــــــــذود

وحتى تركت العائدات يعدنـــه ينادين لا تبعد ، وقلت له : ابعـــــــــــــــــد

[1] ديوان النمر ، ص ٣٧ .

أطافوا به طوفين ثم مشوا

بــه إلى ذات إلجاف

بزخاء قـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرِدد

ومرقبة دون السماء

طـــمـــــــــــــــــــــــ

رَّة سبقت طلوع الشمس منها بمرصد

وسادي بها جفن السلاح وتـــــــــــــــــــــــــــــــــــارةً

إلى عدواء الجنب غير موسَّـــــــــــــــــــــــد

أي وربَّ سيد جريء أراد النيل مني ، فتصديت له ، وأوزعته ضربة قطعته فقسمته ضربة أناحت نساء أهله ، ضربة ألحقته بالقبر . وفي قوله : " مرقبة " يعني المكان المرتفع الذي يراقب من عليه العدو ويقول : إنه يرقب أي عدو من ذلك المكان المرتفع ، بأرض صلبة صلدة لا يتوسد فيها إلا سلاحه وأحيانا لا يتوسد فيها شيئاً .. فهو دائماً في حالة تأهب ، وترقب في كل جرأة وجسارة .

فالنمر شبه نفسه بنصل السيف ، أما حاتم فشبه عدوه بنصل السيف ، وقوة وشدة عدوه تدل على قوته لأنَّه وبقوته تغلَّب عليه وانتصر .. إذن هو مفتخر بشجاعته هنا بطريقة غير مباشرة .

ولما أحسَّ النمر بأنه أكمل دروب الشجاعة ، وأبواب الكرم راح قائلاً لعاذلته[١] :

وهازئة منِّي تودُّ لو ابنهـــــــــــــــــــــــــــــــــــا

على شيمتي أو أن قيِّمها مثلـــــــــــــــي

والمرأة لا تتمنى إلا أن يكون ابنها حسن الخُلُق ، والخَلْق ، جسور، معطاء ، يحفظ أهله ويرعاهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فينشأ على هذه الصفات ، فها هو ذا حاتم يقول[١]:

---

[١] السابق نفسه ، ص ١١٠ .

فمهلاً فداك اليوم أمى وخالتـــــــــــــي فلا يأمرني بالدنيَّة أســـــــــــــــــــــــــــــــــودُ

على جبن إذ كنتُ واشتد جانبي أسام التي أعييتُ إذ أنا أمـــــــــــــــــــــــردُ

فهل تركت قبلي حضور مكانها وهل من أبى ضيماً وخسفاً مخلد

ومعتسف بالرمح دون صحابـــــــــــه تعسفته بالسيف والقوم شهـــــــــــــــــــــــــــــــد

فخرَّ على حرِّ الجبيـــــــــــن ، وذاده إلى الموت مطرور الوقيعة مذود

فما رمته حتى تركت عويصـــــــــــة وحتى علاه حالك اللون أســـــــــــــــــــــود[1]

يترفع عن الخوض في الرذائل ، ويفخر بأنه تصدر أعالي الأمور ، وتكلَّف بها منذ صغره وهو صبي أمرد ، وهو لا يرضى الظلم أبداً ، فإن ظلمه أحدهم قام بالسيف دونه فقضى عليه ولم يتركه حتى علاه الدم المختلط بالغبار ، الدم الأسود ، والقوم حضور لهذا الموقف شهَّد عليه .

فهو يجمع ثلاث خصال " الشجاعة ، والحلم ، والترفع " أما الشجاعة فعند اللقاء ، والحلم والمسامحة فللكرماء ، وأما الترفع عن اللؤماء ، وأمثلة الشجاعة ذكرت ، وفي الآخَرَين يقول[2] :

تحمَّل عن الأدنين واستبق ودهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلمـــــــــــــــــــــــــــــا

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٣٤ .

[2] السابق نفسه ، ص ٨١ .

وما ابتعثتني في هواي لجاجـــــــــــــــــــــــة إذا لم أجد فيها
إمامي مقدمـــا

إذا شئت ناويت امرأ الســـوء
ما نزا إليك ولا طمت اللئيم الملطَّما

وذو اللب والتقوى حقيـــــــــــــــــــــــــــــــــق إذا رأى
ذوي طبع الأخلاق أن يتكرمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

فجاور كريما واقتدح من
زنــاده واسند إليه إن تطاول
سلمـــا

وعوراء قد أعرضت عنها فلم يضـــر وذي أود قومته
فتقومـــ
ـــــــــــــــــــــــــا

وأغفر عوراء الكريم
ادخـــاره وأعرض
عن شتم اللئيم تكرمـــا

ولا أخذل المولى وإن كان خـــــــــــــــــــاذلاً ولا أشتم ابن العم إن
كان مفحمــــــــــــــــــــــــــا

ولا زادني عنه غنائي
تباعـــداً وإن كان ذا نقص من
المال مصرما

" تحمل عن الأدنين " هكذا جاءت وأظنها " تحمل عنا الأدنين " أي " عناء " فقصرت ولا اختلال في هذا ، والمعنى واضح جلي ، وتتاول في هذه الأبيات أشياء عدة ، تدور أغلبها في الحلم ، والتحلم ، والتكرم ، واللحاق بالكرماء ، والسير معهم ،

ولكنه في البيت الأول قال : " تحملهم واستبق ودهم " أي أن البقاء على ودهم شيء مهم ففيه البركة ، والراحة النفسية وغيرها ، فهم عضده ، وسنده ، وقال النمر في مثل هذا[1] :

فدعوا الضغائن لا تكن من شأنكم إن الضغائن للقـــــــــــرابة تقـــــــــــــــــــــــــــــذع

وهذا قول معناه ومراده خير، يدعو فيه الشاعر لترك الضغائن المضرة بالقربى ، المشتتة للشمل وغيره ، إلا أنني أنعته بالسطحية في مناقشة مثل هذا الأمر بخلاف حاتم في أبياته السابقة .

فترك الضغائن لا يعني " تحمل الأذى " الذي دعا إليه حاتم ، وليس يعني الحلم أو التحلم . فبعد أن دعا حاتم إلى " تحمل الأذى " دعا إلى غفران الذلل والخطأ ، فمن الكريم إدخاراً له ، ومن اللئيم ترفعاً عنه . إذن حاتم أبعد في مناقشة هذا الجانب – سنأخر الحديث عن البيتين الأخيرين قليلاً – ، وقال حاتم أيضاً[2] :

وعوراء جاءت من أخ فرددتهـــــــــا بسالمة العينين طالبة عـــــــــــــــــــــــذراً

ولو أنَّني إذ قالها قلت مثلهـــــــــــــــــــــــــــــا ولم أعف عنها أورثت بيننا غمرا

فأعرضت عنه وانتظرت به غداً لعل غداً يبدي لمنتظر أمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرا

وقلت له : عد بالأخوة بينـــــــــــــــــــــــــــــــــــا ولم أتخذ ما كان من جهله قمـــــــــــــــرا

---

[1] ديوان النمر ، ص٨١ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٤٠ .

لأنزع ضبّاً كامناً في فـــــــــــــــــــــــــــــؤاده
وأقلم أظفاراً أطال بها الحفـــــــــــــــــــــــــــــرا

" العوراء " الكلمة التي تهوى جهلاً في غير عقل ولا رشد ، فحينما سمع هذه العوراء ما كان منه إلا أن سامحها ونظر إلى قائلها ليس نظر غيظ ولا حقد ، ولا نقد ، ولكنه نظر إليه نظرة انتظار اعتذار ، لماذا فعل هذا ؟

أولاً : لأنه يدري بأنها سقطت من غير قصد .

ثانياً: لو ردَّها لطال الكلام بينهما ، ونتج عن هذا شيء في النفوس .

ودعاه لمبادلة الود والأخوة ، ولم يؤاخذه بقوله حتى لا ينمو الحقد في نفسه ، ولا تشتعل الضغائن بداخله .

وقال حاتم – سابقاً –[1] :

ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً ولا أشتم ابن العم إن كان مفحمـــــــــــــــــــا

ولا زادني عنه غنائي تباعـــــــــــــــــــــــــــــــداً وإن كان ذا نقص من المال مصرما

يقول : إنه لا يخذل المولى ، وكلمة المولى ، لها معان عدة إما النصير أو القريب أو ابن العم ، فمهما أخذت من المعاني السابقة ، فهو لا يخذله أبداً ، لأن هذا ليس من شيمته ، فهو كريم أصيل لا يرضى مثل هذه الخصال الدنيئة ، ولا يسب ولا يلعن ابن عمه ففي ذلك شتم لنفسه وأهله ، فيفخر بأنه طيب اللسان ليس بمسابب ولا ملاعن بل يكون معه دائماً حتى إذا كان ذا مال وجاه وكان ذاك فقيراً عديماً فهو لا يبتعد عنه أبداً .. ينصره .. ويسنده فهو القائل في معنى ما سبق[2] :

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٨١ .
[2] ديوان حاتم ، ص ٧١ .

وأغفر إن زلَّت بمولاي نعلـــــــــــــــــــــــــه ولا خير في المولى إذا كان يقرفُ

سأنصره إن كان للحق تابعـــــــــــــــــــــاً وإن جار لم يكثر علي التعطـــــــــــــــفُ

وإن ظلموه قمت بالسيف دونه لأنصره إن الضعـــيف يؤنَّفُ

وقال أيضاً[1] :

ولا آخذ المولى لسوء بلائـــــــــــــــــــــــــــــــه وإن كان محني الضلوع على غمـــــــــــر

إذن لمولاه وابن عمه حقان :

أولهما : نصرتهما إن كانا معه أو لم يكونا فهو القائل[2] :

الله يعلم أنِّي ذو محافظــــــــــــــــــــــــــة ما لم يخني خليلي يبتغي بدلا

فإن تبدَّل ألفاني أخا ثقـــــــــــــــــــــــة عفَّ الخليفة لانكسا ولا وكـــــــــــــــــلا

ويقول[3] :

ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي شهودا وقد أودى بإخوته الدهـــــــــر

[1] السابق نفسه ، ص ٤١ .

[2] السابق نفسه ، ص ٧٤ .

[3] السابق نفسه ، ص ٩٠ – ٩١ .

ثانيهما : عدم شتمهما ومسامحتهما دائماً ، فهو يقول[1] :

وما من شيمتي شتم ابن عمـــــــــــــــــــــــي وما أنا مخلف من يرتجينـــــــــــي

سأمنحه على العلات حتـــــــــــــــــــــــــــــى أرى ماويّ ألّا يشتكينـــــــــــــــــــــــــي

وكلمة حاسد في غير جـــــــرم سمعت وقلت : مرّي فانقذينـــــــــي

وعابوها علي ولم تعبنـــــــــــــــــــــــي ولم يعرق لها يوماً جبينـــــــــــــــــــــــي

وذي الوجهين يلقاني طليقـــــاً وليس إذا تغيَّب يأتسينـــــــــــــــــــــــــــي

نظرت بعينه فكففت عنـــــــــــــــــــــه محافظة على حسبي ودينـــــــــــــــــــــي

فلوميني إذا لم أقر ضيفـــــــــي وأكرم مكرمي وأهن مهينـــــــــــــــــــــــــي

عدم الشتم ، والوفاء بالوعد ، والعطاء صفات ذكرها في بيتيه الأول والثاني ، وفي البيت الثالث يقول : إنه لا يقف على كلام الحساد ، وقوله : " مري فانقذيني " يخاطب كلمة الحاسد ، وكأنه لو وقف عليها ، وردها بمثلها أو أكثر تنقص منه الكثير فجعل عدم الوقوف عندها والصفح عنها من أفضل الأمور .. فمثل هذا الحديث لا يهمه أبداً ، ثم يتحدث عن " ذي الوجهين " الذي يقابلك مقابلة تحسبها نقية خالصة ، أما إذا غبت حمد غيابك ولم يأتسيه ، فيقول : إنه يعلمه جيِّداً ولكن يكف عنه النظر ولا يوليه

---

[1] السابق نفسه ، ص ٥١ .

اهتماماً ، والتفت قائلاً : لوميني إذا لم أكرم ضيفي وأكفيه ، وإذا لم أكرم وأرعى من أكرمني ، وأهن وأذل من أهانني ، وحاول إذلالي .. فهو حرٌّ كريمٌ لا يرتضي الذلّ والمهانة أبداً إلا مع ضيفه فهو يقول[1] :

وإنِّي لعبد الضيف ما دام ثاوياً   وما في إلا تلك من شيم العبد

ورغم إكرامه ، وإغداقه للأضيافَ إلا أنَّه عفيف النفس ، لا ينظر لما عند غيره أبداً فهو القائل لوهم* بن عمرو[2] :

إذا كنت ذا مال كثير موجهـــــــــــــــــــــــــاً   تُدقُّ
لك الأفحاءُ في كل مـــــــــــــــــــــنزل

فإن نزيع الجفر يذهب عيمتـــــــــــــــــــــــــي   وأبلغ
بالمخشوب غير المفلفـــــــــــــــــــــــل

وقال حاتم أيضا[3] :

وليل بهيم قد تسربلت
هولـــ
ـــــــــــــــــــة   إذا الليل بالنكس الضعيف تجهما

ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنـــــــــــــــــــــــــى   إذا
هو لم يركب من الأمر معظما

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٤٤ .

* وهم بن عمرو حويص بن مالك بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم ، وهو ابن عم حاتم .

– الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، ج١٧ ، ص ٣٧٢ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٧٨ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٨٢ .

يرى الخمص تعذيباً وإن يلق شبعـــــــــــــــــــــــــــــــــة
يبت قلبُه من قلَّة الهم مبهمـــــــــــــــــــــــــــــــــــا

لحى الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوساً
ومطعمـــ
ـــــــــــــــا

ينام الضحى حتى إذا ليله
استـــــــــــــــــــــــــــوى تنبه مثلوج الفؤاد
مـــــــورمـــ
ـــــــــــــــا

مقيما مع المثرين ليس
ببــارح
إذا كان جدوى من طعام ومجثمـــــــــــــــــــا

أي " وربَّ ليل مظلم حالك سرت فيه رغم ما به من مخاطر ، وصعاب يهابها الضعفاء ، ويخشاها الجبناء ، فلن يحمد الصعلوك الفقير ما لم يتحلَّ بشجاعة تتصهر أمامها الصعاب ، وتتذلل في وجهها المكاره . وبعد افتخاره استرسل متحدثاً عن الصعاليك، ففي الأبيات هذه ذَكَرَ قِسْمَهم الأول ألا وهو " الصعلوك الذميم المذموم " ، وهو صاحب الصفات المذكورة أعلاه " الجزع وقت الجوع ، الخامل عند الشبع ، قليل الهمِّ ، عديم الهدف ، صاحب الآمال القصيرة " والتي لا تتعدى المأكل والمشرب والملبس" ، الناعم الجسم ، نؤوم الضحى حتى إذا ما استيقظ وجد اليوم فاته ، يتكلُ على ذوي المال لا يفارقهم أبداً ويجد عندهم المطعم والمشرب ، فهم يكفونه عناء البحث عن الرزق .

ومثل هؤلاء شر أناس لا هم يخدمون أهلهم وذويهم ، ولا هم يعتمدون على أنفسهم لكي يكفوها ، ومايعد هذا إلا تخاذلاً ودناءة ، ودعا عليهم الشاعر بعدم الحياة ،

لأنَّ حياتهم لا هدف فيها ولافائدة قائلاً : " لحى الله " ، بخلاف القسم الآخر الذي قال فيه[1] :

وللهِ صعلوك يساور همـــــــــه ويمضي على الأحداث والدهر مقدما

فتى طلبات لايرى الخمص ترحة ولا شبعة إن نالها عد مغنمـــــــا

إذا ما رأى يوما مكارم أعرضـــــت تيمم كبراهن ثمت صممـــــــا

ترى رمحه أو نبله ومجنـــــــة وذا شطب عضب الضريبة مخذمـــــــا

وأحناء سرج فاتر ولجامـــــه عتاد فتى هيجا وطرفا مسوَّمـــــــا

فذلك إن يهلك فحسنى ثنـــــــاؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذممـــــــا[2]

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٨٢ – ٨٣ .

[2] ذكر في " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٤ ، ١٤١٨ – ١٩٩٧– الباب : وتروي لمحمد بن عوف الأزدي ، ج١ ، ص١١٦. ، المفعول له ، ج٣ ، ص ١٢٤ " .

فهذا الصعلوك له رسالة وهدف في هذه الحياة يجتهد لأجله ، ويتصدر كل أمور الزمان ولا يهاب منها شيئاً ، ولا يهمه جوع ولا عدم ولا يغريه مال ولا حشم ، وإن حاد وقومه عن مكارم ضيعوها قام في هذا الأمر ، فهو المحافظ والباقي عليها حتى لا يضيع مجده ومجد قومه ، فترى عدته وعتاده من رمح ، ونبل ، ومجن ، وسيف حسام ، وغيره فهو في هيأة المتأهب المتهيء بكامل ما يملك دفعاً للقبيلة ، ودرءاً للفساد ، وحفاظاً على مكارم الأهل والأجداد .. وأمثال هؤلاء جديرون بالذكر والشكر – حقاً – ولله درهم .

ونراه يأخذنا لعرف آخر ، وقضية أخرى ألا وهي " الجار " ، فللجار حقٌّ عليهم حاضراً أم غائباً ، محسناً أم مسيئاً امرأة أم رجل ، حقٌّ فرضته عليهم أنفسهم الشريفة النقيَّة ، المحبَّة للخير ، المبعدة في مذاهب الإحسان ، فحاتم يقول مفتخراً بشجاعته وعفته[1] :

ومرقبة دون السماء علوتهــــــــــــــــــــــــــا   أقلِّب طرفي في سماء سباسب

وما أنا بالماشي إلى بيت جارتي   طروقاً أحيِّيها كآخر جانــــــــــــــــــــب

وقال[2] :

بعيني عن جارات قومي غفلــــــــــــــــــــــة   وفي السمع منِّي عن حديثهم وقر

وما ضر جاراً يابنة القوم فاعلمي   يجاورني ألا يكون له ســــــــــــــــــــــــــــتر

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٢٩ .

[2] السابق نفسه ، ص ٥١ .

أي لا أترصد تحركاتهن ، ولا أراقبهن واسترق منهن السمع ، حتى إن لم يكن بيني وبين جاري ستر ساتر ، أو حائط فهو في مأمن ، ونساؤه كذلك فأنا أصونهنَّ ، وأرعاهنَّ ، وأدافع عنهنَّ ففي حضور أزواجهنَّ أمنحهنَّ الهدايا ، وفي غيابهم أكفلهنَّ بكامل الرعاية فهو يقول : " إذا حاتم قد ادعى أنَّ جارته لا تحتاج معه إلى ستر فطرفه أبداً مغضوض[1] " ويقول أيضا[2] :

لا نطرق الجارات من بعد هجعة   من الليل إلا بالهدية تحمـــــــــل

ولا يلطم ابن العم وسط بيوتنـــــــــــــــــــا   ولا نتصبى عرسه حين يغفل

وقال[3] :

ولست إذا ما أحدث الدهر نكبـــــــــــــة   بأخضع ولَّاج بيوت الأقـــــــــــــــارب

ويقول[4] :

وما تشتكيني جارتي غير أنها   إذا غاب عنها بعلها لا أزورها

سيبلغها خيري ويرجع بعلهـــــــــــــــا   إليها ولم يقصر على ستورهـــــــــا

وبلغ من رعايتهن أن قال: " أنا أخذل وأذل إن ظهرت علي نعمة وجاراتي حالهنَّ يائس بائس " وهذا في بيته الآتي[1] :

---

[1] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج ٣ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٠م .

[2] ديوان حاتم ، ص ٧٦ .

[3] السابق نفسه ، ص ٣٠ .

[4] ديوان حاتم ، ص ٦٣ .

وإنِّي لأخزى أن ترى بي بطنة   وجارات بيتي طاويات ونحف

وهو لا يخص بهذا جاراته فحسب بل كل العشيرة ، يحفظها ، ويخاف عليها ويقوم عليها فيتصدر أمور العشيرة ، وكأنه مكلَّف بذلك وحده فيقول[2] :

وألفي لأعراض العشيرة حافظاً   وحقِّهم حتى أكون المسوَّدا

وقال[3] :

فأقسمت لا أمشي إلى سرِّ جارة   مدى الدهر مادام الحمام يغرِّد

وقال من الوافر ، معرباً عن عفته ، وشهامته ، وترفعه عن السكر أو الخيانة أو التعرض للجارات من النسوة[4] :

إذا ما بتُّ أشرب فوق ريٍّ   لسكرٍ في الشرابِ فلا رويتُ

إذا ما بت أختل عرس جاري   ليخفيني الظلام فلا خفيتُ

أأفضح جارتي وأخون جاري!   معاذ الله أفعل ما حييتُ

فهو يتعجب ، ويتعوذ بالله من أن يكون أمثال أولئك الدنيئين ، والذين يرقبون الجار حتى يحققوا مفاسدهم ، وأباطيلهم .

---

[1] السابق نفسه ، ص ٧٠ .

[2] السابق نفسه ، ص ٤١ .

[3] السابق نفسه ، ص ٣٥ .

[4] السابق نفسه ، ص ٣١ .

وخلاصة تلك الأبيات :

١- إنه لايكثر زيارة جيرانه من غير حاجة ، خاصة في غياب أزواجهن ولا سيما زيارة يحمل فيها هدية .

٢- لا يغتنم فرصة غيابهم فيغويهن ، ويراودهن .

٣- يقسم لهن رزقه فلا يطعم وحده أبداً .

٤- لا يرقبهن فيفضح لهن سراً .

هذا مراد الشاعر حاتم مما ذكره من أبيات ، وإذا أخذنا هذا الجانب عند النمر (رضي الله عنه) نجد هدفه فيه واضحاً ، فهو يفخر بشرفه وعفته ، وأنه لا يخون قريباً أو بعيداً "أهله ، جيران ، الأغراب عنه " ، لماذا ؟ ليس للسيادة التي أرادها حاتم بل لشيء أرفع ، وأقيم ، وأنبل ، وأشرف من ذلك الغرض المحدد ألا وهو تخليد ذكرٍ نقيٍّ ، وسيرةٍ نظيفةٍ ، واسم بعيد عن الرزايا والرذائل فهو يقول[1] .

لا يعلم اللامعات اللامحات ضحىً ما تحت كشحي ولا يعلمن أسراري

ولا أخون ابن عمي في حليلتـــــــــه
ولا البعيد نوى مني ولا جـــــــــاري

حتى يقال إذا ورِّيت في جدثـــــــــي
لقد مضى نمر عارٍ من العـــــــــارِ

ومضى النمر كما أراد " عار من العار " ، فزيَّن حياته بالإسلام ، واهتدى بهدية ، وتنور بنوره ، فنعمت الخاتمة ونعم السبيل .

وأغلب من يلومهما هنَّ زوجاتهما ، فهذا لأنهنَّ الأحرص على أموالهن وأموال أولادهنَّ ، وأحياناً يأتي اللوم من جهات أخرى ، ولكن لم يصرحا بذكر أسماء غير

---

[1] ديوان النمر بن تولب ، ص ٧٤ .

زوجاتهما ، وأحياناً يقول حاتم " وعاذلة " و" وقائلة " فإما أن تكون هذه " القائلة " وتلك " العاذلة " زوجته ، وإما أخرى لم يُرِد ذكر اسمها ، ومثال ذلك قوله[1] :

وعاذلة هبَّت بليلٍ
تلومنـــــــي وقد غاب
عيوق الثريا فـــــــعردا

تلوم على إعطائي المال ضلـــــــة إذا ضنَّ بالمال
البخيل وصـــــــردا

تقول : ألا أمسك عليك فإننـــــــي أرى المال عند
الممسكين معبَّـــــــدا

ذريني وحالي إنَّ مالك وافـــــــر
وكل امرئٍ جاري على ما تعـــــــودا

أعاذل لا آلوك إلا
خليقتـــــــي فلا تجعلي فوقي
لسانك مبـــــــردا

ذريني يكن مالي لعرضي جنـــــــة يقي المال
عرضي قبل أن يتــبـــــــددا

أريني جواداً مات هزلاً لعلَّنـــــــي
أرى ما ترين أو بخيلا مخلـــــــدا

وإلا فكفي بعض لومك واجعلـــــــي إلى رأي من تلحين
رأيك مسنـــــــدا

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٠ .

ألم تعلمي أنِّي إذا الضيف نابني وعزَّ القرى أقري السديف المســــــــــــــرهدا

والأرجح أن يكون الخطاب في الأبيات السابقة مع زوجته ، وذلك لأسلوب حواره معها فهو يقول : " هبَّت بليل تلومني وقد غاب عيُّوق .. " ، ولا أظن أن امرأة تعذله في مثل ذلك الوقت إلا إذا كانت زوجته .

وقيل : لأنه يسكر بالعشي فإذا صحا من سكره بالليل لامته[1] . وفي قوله " إن مالك وافر" أي إنَّ ما أرعاك به موجود ، مخصص معلوم موفور فلم القلق والعذل ! .

وقوله : " فلا تجعلي فوقي لسانك مبردا " وقوله : " ذريني " و" أريني جواداً " و" فكفى بعض لومك " كل هذه العبارات تدل على أنه يردُّ على امرأة ترافقه دائماً ، وتلومه كثيراً .. امرأة عذَّالة لذلك جاء رده لها بهذه الطريقة المردعة ، ونقرأ فيها شخصاً مضجراً من تلك " العاذلة " التي دعاها بألا تجعل لسانها عليه مِبْرَدَاً .

وقال النمر يصف نفسه بالكرم ، ويعاتب زوجته على لومها وكان أضاف قوماً في الجاهلية ، واشترى لهم زقَّ خمر فلامته على ذلك[2] فقال هذه القصيدة[3] :

قالت لتعذلني من الليل اسمـــــــــــــع سفهاً تبيتك الملامة فاهجعـــــــــــــــــــــــــــي

لا تعجلي لغدٍ وأمر غدٍ لـــــــــــــــــــــــــــــــــــه أتعجلين الشر ما لم تمنعـــــــــــــــــــــــــــــي

---

[1] المعاني الكبير، في أبيات المعاني ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند ، ط١ ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م ، الباب : أبيات في ذكر النار ، ج ١ ، ص ٤٣٠ .

[2] خزانة الأدب ، للبغدادي ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

[3] ديوان النمر بن تولب ، ص ٨٢ – ٨٧ .

قامت تبكّي أن سبأت لفتيـــــــــــــــــــــــــــــــــة زقاً وخابية بعود

مقطـــع

لا تجزعي إن منفسا أهلكتـــــــــــــــــــــــــــــــــه وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعـــــــــــــــــــــــي

وقريت في مقرى قلائص أربعـــــــــا وقريت بعد قرى قلائص أربـــــــــــــــــــــــــع

أتبكياً من كل شيء هيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــن سفه بكاء العين ما لم تدمـــع

فإذا أتاني إخوتي فدعيهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــم يتعللوا في العيش أو يلهو معـــــــــــــي

لا تطرديهم عن فراشي إنـــــــــــــــــــــــــــــه لابدَّ يوما أن سيخلو مضجعـــــــــــــــــــــــي

هلا سألت بعادياء وبيتـــــــــــــــــــــــــــــــــــــه والخل والخمر التي لم تمنـــــــــــــــــــــــــــــــــع

وفتاتهم عنز عشية آنســـــــــــــــــــــــــــــــت من بعد مرأى في الفضاء ومسمع

قالت : أرى رجلاً يقلب نعلـــــــــــه أصلاً وجوٌّ آمن لم يفـــزع

فكأن صالح أهل جو غـــــــــــــــــدوة صبحوا بذيفان السمام المنقـــــــــــــــــــــــــــــع

كانوا كأنعم من رأيت فأصبحوا يلوون زاد الراكب المتمتـــع

ورأت مقدمة الخميس وقبلـــــــــــــــــــــــــــــــه رقص الركاب إلى الصباح بتبع

قالت يمامة احملوني قائمـــــــــــــــــــــــــــــاً إن تبعثوه باركا بي أضـــــــــــــــــــــــــــــــــــــرع

يقول : سفه لك أن تهيجي ملامة ليلاً . قال الأصمعي : " اسمعي" أي : اسمعي ما يقال لك .

وكل منهما يتحدث مع عاذلته ليلا " قالت لتعذليني من الليل اسمعي " وهذا دليل على أنهنَّ نساؤهما . وحاتم يقول : " إن مالك وافر ، وهذا يدل على أنه يجود بما لديه ولكن يترك منه لها وبنيها " ، أما النمر فيقول : " لا تعجلي لغد وأمر غد له " ، قال عوج[1] : أي لكل غد أمر . أنت الآن في خير فلم تعجلين الشر ما لم تمنعي من ذاك ، ويصاح عليك .

إذا هو لا يترك من أمواله شيئا للغد سواء كان له أولها ، وذلك لأنَّه يرى أن لكل يوم رزقه ، وبهذا يفوق حاتماً في التعبير ، وهما يرددان أنهما المسؤولان عنهن فلم الخوف ! ، فيقول النمر[2] :

دعيني وأمري سأكفيكـــــــــــــــــــــــــــــــه وكوني قعيدة بيت ضباعـــــــــــــــــــــــــــــــا

---

[1] الإختيارين ، أبو المحاسن على بن سليمان بن الفضل ، المعروف بالأخفش الصغير ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـــ – ١٩٩٩م ، الباب : ٤٩ وقال النمر بن تولب .

[2] ديوان النمر بن تولب ، ص ٨٨ .

فإنك لن ترشدي غاويـــــــــــــــــــــــا ولن تدركي
لك حظاً مضاعـــــا

وقال حاتم[1] :

يقولون لي: أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون
ســــــــــــــــيدا

كلوا الآن من رزق الإله وأيســـــروا فإن على الرحمن رزقكم
غــــــــــدا

سأدخر من مالي دلاصاً وسابحا وأسمر خطياً وعضبا
مهنــــــــــــــــــــــدا

وذلك يكفيني من المال كلـــه
مصونا إذا ما كان عندي متلدا

نجده نال مراده بأن صار " سيداً " بذل دون خوف من فقر ، ولم يترك سوى درعٍ ، وفرسٍ ، ورمحٍ ، وسيفٍ .

وقوله : " كلوا الآن من رزق الإله " يشبه ما قاله النمر – سابقاً – : " لا تعجلي لغدٍ وأمر غدٍ له .. " ، إلا أن حاتماً أجاد ، ففي قوله إيمان فائق بأن الله هو الرازق فمن بذل سيعطيه الله من خزائنه غداً وصرح بلفظ " الرحمن " ، أما النمر رغم اشتراكه مع حاتم في المعنى ، ولكن حاتماً أحسن إخراجه وصياغته .

ورغم عذلهن إلا أنه ليس للإنسان إلا ما اعتاده كما يقول حاتم : " وكل امرئٍ جاري على ما تعودا " و " أعاذل لا آلوك إلا خليقتي " ، ويقول في ذلك[2]:

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٤١ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٤٤ .

* غور : دنا من المغيب . * ضلة : ضلالا .

وقائلة : أهلكت بالجود مالنـــــــــــا ونفسك حتى ضر نفسك جودها

فقلت: دعيني إنما تلك عادتي لكل كريم عادة يستعيدهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وقال حاتم في رده على عاذلتين عذلتاه على عطائه وكرمه[1] :

وعاذلتين هبتا بعد هجعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــة تلومان متلافا مفيداً ملومـــا

تلومان لما غور* النجم ضلة* فتى لايرى الإتلاف في الحمد مغرما

فقلت وقد طال العتاب عليهما ولو عذراني أن تبينا وتصرمـــا

ألا لا تلوماني على ما تقدمـــــــــــــــا كفى بصروف الدهر للمرء محكمــــــــــا

فإنكما لا ما مضى تدركانـــــــــــــــــــــــه ولست على مافاتني متندمـــا

فنفسك أكرمها فإنك إن تهـــــــــــــــــن عليك فلن تلفى لك الدهر مكرمـــــــــــــــــــــا

– ديوان مختارات شعراء العرب ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسيني ، طبعة مصر، ١٨٨٢م ، ص ١٣ .

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٨٠ .

لا أدري لماذا ربطا العذل بكونه في الليل ! ، هل لأنهما بالنهار يكونان في العمل ، والكد في الرزق ؟ أم لأنهما في النهار يكونان مع أضيافهما فلا تجد النسوة وقتاً تلمنهن فيه ؟ أم لأن الليل ستر لهن من النهار ؟ .

وشارك حاتم في بيته الثاني " .. فتى لا يرى الإتلاف في الحمد مغرماً " النمر الذي يقول – مخاطباً محبوبته (دعد) ومفتخراً بعطائه –[1] :

وإني كما قد تعلمين لأتقي تقاي وأعطي من تلادي* للحمد

فكلاهما يعطي ابتغاء الحمد .

أما النمر فابتدأ قصيدته متعوذاً من أمراض النفس المختلفة ، ثم ردَّ على امرأته التي تلومه فقال[2] :

أعذني رب من حصر وعـــــــــــــــــي ومن نفس أعالجها علاجــــــــــــــــا

ومن حاجات نفسي فاعصمني فإن لمضمرات النفس حاجــــــــــــا

وأنت وليها وبرئت منهـــا إليك وما قضيت فلا خلاجــــــــــــا

---

[1] ديوان النمر ، ص ٥٧ .

* التلاد : كل ما ترثه عن أبيك .

– العين ، عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، الباب : باب الدال واللام والتاء معهما (ت ل د) ، ج ٨ ، ص ١٧ .

[2] ديوان النمر تولب ، ص ٥٠ – ٥١ .

وأنت وهبتها كوما

جـــلاداً أرجِّي النسل منها

والنتاجـــا

فلست بحارم الأضياف منهـــــــــــــــــــــــــــا وجاعل دونهم

بابي رتاجـــا

وتأمرني ربيعة كل

يـــوم

لأشريها وأقتني الدجاجـــا

وما تغني الدجاج الضيف عنِّى وليس بنافعي إلا

نضاجـــا

أأهلكلها وقد لاقيت

فيهـــا مرار الطعن

والضرب الشجاجـــــا

وتذهب باطلاً غدوات صهبـــــــــــى على الأعداء تختلج

اختلاجـــــــــــــــــــــــــا

جموم الشدِّ شائلة الذنابـــى

تخال بياض غرتها سراجــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وشدي في الكريهة كل يـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوم إذا

الأصوات خالطت العجاجــــــــــــا

فهو هنا يرد على تلك المرأة " ربيعة " ، ويلومها على ذلك ، فكيف تأمره بأن يبتاع ناقته التي لقي فيها ومعها مالقي ، ويشتري الدجاج ! ، وبدأ يصفها معدداً محاسنها ، وهنا يبرز وفاؤه وإخلاصه ولا سيما للحيوان ، وراح يصف فرسه – أيضاً

– التي يقال لها " صُهْبَى " ، ويحكي أنه لاقى فيه ما لاقى في صفوف الحروب ، فكيف له بالتخلي عنهما وهما صاحبا الفضل الكبير عليه .

وذكر النمر حواره مع زوجته أيضا قائلاً[1] :

رأت أمنا كيصا* يلفف وطبـــــــــــــــــــــــــــة إلى الأنس
البادين وهو مزمـــــــــــــــــــــــــــــل

فلما رأته أمنا هان
وجدهـــا وقالت :
أبونا هكذا سوف يفعـــــــــــــــــــــل

أرى أمنا أضحت علينا كأنمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا تحللها
من نافض الورد أفكـــــــــــــــــــــــــــــل

فقالت : فلان قد أعاش عيـــــــــــــــــــــــــاله وأودى
عيال آخرون فـــهزلوا

ألم يك ولدان أعانوا ومجلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــس
قريب فنخزى إذ يكفُّ ويحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــل

---

[1] ديوان النمر بن تولب ، ص ١٠٢ – ١٥٠ .

*الكيص : اللئيم – لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، الباب : كيص .

وقيل : ضيق الخلق . – معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، الباب : كيل .

* الدهنا : الدهناء وهي اسم موضع. * الحزن : وهو الصلب من الأرض ، وهو موضع بتهامة معروف .

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبيد البكري الأندلسي ، الباب : قلمون .

لنا فرس من صالح الخيل نبتغي   عليها عطاء الله والله ينحـــل

يرد علينا العير من بعد إلفـــــــــــــــــــــــــــــــــــه
بقرقرة والنقع لا يتزيـــل

وحمر تراها بالفناء
كأنهـــا   ذرى
كثب قد مسها الطل من عل

عليها من الدهنا* عتيق ومـــــــــــــــــــــورة   من الحزن* كلًّا بالمرابع تأكـــــــــــــــــــــــــــل

فقد سمنت حتى تظاهر نيُّهـــــــــــــــــــــــــا   فليس عليها للروادف محمـــــــــــــــــــــــــــــل

إذا وردت ماء وإن كان صافيـــــــــــــــــــاً   حدته على دلو يعل وينهـــل

ففي جسم راعيها هزال وشحبـــــــــــــــــة   وضرٌّ وما من قلة اللحم يهـــــــــــــــــــــــزل

فلا الجارة الدنيا لها تلحينهـــــــــــــــــــــــا   ولا الضيف فيها إن أناخ محـــــــــــــــــــــول

إذا هتكت أطناب بيت وأهلـــــــــــــــــــــــه   بمعطفها لم يورد الماء قيلـــــــــــــــــــــــــــوا

عليهنَّ يوم الورد حقٌّ وذمَّـــة
وهنَّ غداة الغبِّ عندك حفـــــــــــــــــــــــــــــل

وما قمعنا فيها الوطاب* وحولنا بيوت علينا كلها فوه مقبـــــــــــــــــــــــــــــــــــل

فإن تصدري يحلبن دونك حلبـــــــة وإن تحضري يلبث عليك المعجل

أمهم وسيدة منزلهم هي " زوجته " ولم يذكر لها اسم إنما أشار عليها بـــ " أمناء " حينما رأت رجلاً شحيحاً مغطى ، يحمل الطعام خفية من الناس فرحت ، وأضمرت في نفسها أن زوجها سيفعل مثله ، وحينما لم يفعل ما ظنت غضبت عليه ووردت حتى ارتعدت . وأظن امرأته هذه فاقت نساء حاتم شحاً ، ولربما نساء حاتم لم يكن شحيحات إلا أنهن يبغين الاعتدال ، ويبغين القليل سواء لهن أو لأولادهن ، ولكن هذه المرأة لا يأتي ما فعلته إلا من شحيحة[١] .

ولم تمنعها الحمى من الحديث إذ قالت : " فلان – الكيص – قد أعاش أبناءه ، وأنت تسقي الناس اللبن وتغدقهم ، وتنسى أبناءك " نحَّفاً هزَّلاً " ؟ .

فرد عليها النمر مستنكراً : " ألم يك ولدان أعانوا ومجلس .. " ، أي : كيف لا أسقيهم وهم من يساعدوني إذ أنهم بمجلس قريب ، فكيف لي أن أسقى بدونهم ؟ وبدأ يطمئن زوجته معدداً لها ما عندهم من أموال فقال لها : " لنا فرس من صالح الخيل .. " أي لنا فرس ، نشيطة ، سريعة تعيننا في الحروب ، ولنا إبل حمر تملأ فسحة دارنا ، وشبهها في كثرتها ، وحمرتها ، وامتلاء أسنمتها شحماً بتلال الرمال التي مسَّها مطرٌ رذاذ، فهي ذات شحم قديم عتيق ، فهي تربع في الدهناء والحزن . أي تقضي فصل الربيع بتلك المناطق ، وواصل وصفه إذ قال : " فقد سمنت حتى تظاهر نيُّها .. " أي تنعمت وتغذت حتى سمنت ، وترادف عليها الشحم حتى خشيت ألا تستطيع روادفها

---

* الوطاب : الوعاء .

– القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦هــ – ٢٠٠٥م ، الباب : مقدمة المؤلف ، ج١ ، ص ٢٧ .

حمله، ثم قال واصفاً لها : " إذا وردت ماء وإن كان صافياً .. " ويريد أنها قوية تستطيع حمل دلو " ينهل ويعل " أي دلو كبير يسقي ويروي ، وعليها راع يهتم .

وقوله : " ففي جسم راعيها .. " ، يقصد شخصه ، ويصف نفسه بالهزال ، والشحوب ، والفتور ليس لعدم ، ولا لفقر ولكنه يؤثر غذاءها ، والاهتمام بها على نفسه ، فهي إبل أصيلة عظيمة مكتنزه ، لا تستحق التقصير ، وبها يكون الإكرام .

وربما أراد أنه يبذل لحومها وألبانها للغير فلا يبقي لنفسه شيئاً ، حتى ظهر عليه الضعف والوهن .

وفي قوله : " فلا الجارة الدنيا .. " ، ويقول أن الجارة لا يذمها ، وإن الضيف لا يحول عنها[1] ، وقوله : " إذا هتكت أطناب .. " ، أي : إذا كان هناك أناس من جيرانهم أو غيرهم لم يكن لهم لبن حلبنا فسقيناهم قيلاً* ، وقوله : " عليهن يوم الورد .. " أي أنه يسقي أهل الورد يوماً ، ويسقي أهله اليوم الثاني ، فقال لأهله اصبروا يوماً واستقوا يوماً .

وقوله : " وما قمعنا فيه الوطاب .. " ، أي أنهم لا يغطوا ضروعها وقربهم جيران عليهم حقوق ينبغي أن تؤدى .

وقوله : " فإن تصدري .. " فهو يخاطب زوجه ويقول[2] : أصدرت بالإبل للمراعي حلبتها للأضياف والمحاويج ، وإن حضرتَ الماء لبث عليك المعجَّل : أي مكث عندك . والمعجَّل : الذي يجيء بالوطاب قبل الورد بيوم أو يومين . وأخذ مسهباً في حديثه مع عاذلته قائلاً[3] :

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٠٥ .

[2] السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

* والقيل : شرب نصف النهار .

– السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

[3] السابق نفسه ، ص ٤٣ .

أعاذل إنَّ يصبح صداي بقفـــــــــــــــــــــــــــرة بعـــــــــــيداً

نآني صاحبي وقريـــــــــــــــبـــــــــــــــــــي

ترى أنَّ ما أبقيت لم أك ربـــه

وأنَّ الذي أمضيت كان نصـــــــــــــــــــــــــــــيبي

وذي إبل يسعى ويحسبها لـــه

أخي نصب في ســـــــــــــــــــــــــــــــــقيها ودؤوب

غدوت وغدا ربٌّ سواه يسوقـــــــــــــــــــــــهـــــــــــا وبدل أحجاراً

وجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــال

قليـــبُ

وحثَّت على جمع ومنع ونفســـــــــــــــــــــــــــــها لها في صروف الدهر

حق كـــذوب

وكائن رأينا من كـــــــــــــــــــــــــــــــــريم

مـــرزأ أخي ثقة* طلق اليدين

وهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوب

شهدت وفاتوني وكنت حسبتنـــــــــــــــــــــــــــي فقلت : إلى أن يشهدوا

وتغـــــــــــــــــــــــــــــــــــــيبي

وقالت: ألا فاسمع نعظك بخطبة فقيرا سمعنا فانطقي

وأصـــيبي

فلن تنطقي حقاً ولست بأهـــله فقبحت

مما قائل

وخـــطيب

فهنا فاض به الكيل ، وبلغ من لدنه صبرا ، فقال لها : لن تنطقي بقول سديد ، ولست بأهل لذلك ، فقبحت وسؤت أيتها العاذلة . ورغم هذا إلا أنني أجد فيه شيئاً من

اللطف في حواره مع عاذلته ، مقارنة بحاتم الذي قال لها : لا تجعلي فوقي لسانك مبرداً ، له أن يتضجر ولكن وصف لسانها بالمبرد يشعل في نفسها البغض فتعنفه أكثر .. وأكثر هذا من جانبها . أما من جانبه فهذا له أثره النفسي البالغ في الإيلام ، ومن جهة أخرى لن يكون قد علمها شيئاً فلن تفهمه ولن تتفهمه . وهذا الجانب الإرشادي التعليمي وفره النمر مع اشتراكهما في التضجر قائلاً[1] :

بكرت باللوم تلحانـــــــــــــــــــا في بعير ضل أوحـــــــــــــــــانا

علقت لوًّا تكررهـــــــــــــــــــــــــــــــــــا إنَّ لواً ذاك أعـــــــــــــــــــــــــــــــــــيانا

إعلمي أنَّ كلَّ مؤتمر * مخطئ في الرأي أحيانـــا

فإذا مالم يصب رشدا كان بعض اللوم ثنيـــــــــــــــــانا

وخطاب النمر هنا خطاب غيبة ، فهو يشكو ويتضجر من ابتدارها العذل واللوم ، وراح يؤنبها على كثرة حديثها ، وقال : إن لكل " مؤتمر " أي لكل صاحب أمر وقائم عليه لابد من الوقوع في الخطأ ، فإن أخطأ يلام ، ليس لوم تعنيف وتضييق ، إنما لوم تصويب ، وهو هنا يريها كيف تعامله إن أخطأ ؟ وهذا جانب إيجابي .

---

* أخى ثقة : يوثق لما عنده من خير شهادة بالجود والكرم .
– نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط ٥ ، ص ٩٧ .

[1] ديوان النمر ، ص ١٣٥ .

وهو وصاحبه – عادة – يمزجان كلامهما في هذا المقام بالحكمة ، ولكنه استخدم أسلوباً آخر ، وهو أنه علَّمها كيف تتعامل في مثل حالته ، بحيث لا تضايقه ولا تضايق نفسها فيتكدَّر صفوهما .

وقال حاتم مخاطباً زوجته النوار – حين عذلته – [1] :

مهلاً نوار أقلي اللوم والـــــــــــــــعذلا   ولا تقولي لشيء فات ما فـــــــــــــــــــــعلا

ولا تقولي لمال كنت مـــــــــــــــــهلكه   مهلاً ، وإن كنت أعطي الجن والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة   إنَّ الجواد يرى في ماله ســـــــــــــــــــــبلا

إنَّ البخيل إذا ما مات يتبـــــــــــــــعه   سوء الثناء ويحوي الوارث الإبـــــــــــــــلا

فاصدق حديثك إن المرء يتبعه   ماكان يبني إذا ما نعشه حمـــــــــــــــــــــلا

ليت البخيل يراه الناس كلـــــــــــــــــهم   كما يراهم فلا يقرى إذا نـــــــــــــــــــزلا

لا تعذليني على مال وصلت بـــــه   رحماً وخير سبيل المال ما وصـــــــــلا

---

* مؤتمر : الذي يهم بأمر يفعله .

– لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ، فصل الألف .

[1] ديوان حاتم ، ص ٧٣ .

يسعى الفتى وحمام الموت يدركه   وكل يوم يدنَّى للفتى الأجـــلا

إني لا علم أني سوف يدركـــــــــــــــــــــــــــــــني   يومي وأصبح عن دنياي مشتغـــــــــــــــــــــلا

دعا زوجته " النوار" بأن تكفَّ لومها عنه ، فهو قانع بأنه مرزوق لا من جهة واحدة بل نجده متفائلاً بطرق عدة يسترد بها ما أنفق ، ودعا إلى الصدق ثم إن الصفات الحسنة تتبع صاحبها حياً وميتاً ، كما الحال في السيئة ، وما الإنسان إلا ذكرى فليخلِّد الذكر الحسن . ودعا للبخيل بسوء المعاملة ، وقبح المقابلة وذلك بالضن بالابتسامة ، والإكرام أي كما يفعل هو مع زواره حتى يذوق وبال ما يفعل والتفت إليها مرة أخرى مانعاً عذلها ، وفي البيت هذا يُظهر لنا جانباً آخر وهو " صلة الرحم " وموقف أولئك الأقوام منها ، فهو هنا يجعل المال وسيلة يحفظ بها رحمه ، وصلة بينه وبين أقربائه .

فهو لا يدري متى ستدركه المنية ، لذلك يسعى في حياته لإصلاح سيرته ، وإصلاح صلته مع أهله وذويه .

وانتقل من تلك المقدمة متحدثاً إلى قومه " بني ثعل " ، موصياً إياهم بأن يحموا أنفسهم ، ويرعوا أهلهم ، وألا يبكوا على من توانى ، وتراجع فليس جديراً بالبكاء ، ولكنه خلص من المقدمة لهذه الأبيات بطريقة جميلة إذ ذكر أبيات الموت ، والفناء ، وأنَّ الأجل يأتي للإنسان بغتة فعليه إصلاح أمره ، فيترك السيرة المثلى ، وعليه تدبير أمر رعيته فهذا البيت : " يسعى الفتى وحمام .." ، خدم القضيتين إذ كان خاتمة لأبيات اللوم السابقة ، وكان مفتتحاً لوصيته اللاحقة ، وهو أجدر أن يقال عنه أحسن التخلص .

وختم أبياته بأبيات " فخر ذاتي " فخر فيها بوفائه وإخلاصه وعفته ونراه هنا يرد على عاذلته رداً لطيفاً مادحاً لها في مطلع الأبيات قائلاً[1] :

يابنة عبد الله وابنة* مـــــالك ويابنة ذي البردين والفرس الــــورد

إذا صنعت الزاد فالتمسي لــــه أكيلا فإني لست آكله وحــــدي

أخا طارق أو جار بيت فإننـــي أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

وإنِّي لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما فيَّ إلا تلك من شيم العـــبد

ورد عليها مصرحاً باسمها عدة مرات قائلاً[2] :

أماوي ! إن المال غادٍ ورائـــح ويبقى من المال الأحاديث والذكـــر

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٣ – ٤٤ .

* كرر لفظة " ابنة " مع أن المراد واحد لاختلاف المضاف إليه ، والقصد من ذلك تفخيم أمرها وعلى بذي البردين " عامر بن أحيمر بن بهلة " لقب بذلك يوم اجتمعت وفود العرب عند المنذر بن ماء السماء ، وأخرج المنذر بردين يبلو الوفود، وقال: ليقم أعز العرب قبيلة . قال: العز والعدد في معد، ثم نزار ، ثم مضر ، ثم خندف ، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ثم في عوف ، ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا فلينافرني . أي يفاخرني . فسكت الناس ، فقال المنذر: هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك ؟ فقال: أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وخال عشرة ، وعم عشرة ، وأما في نفسي فشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الأرض فقال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل . فلم يقم إليه أحد من الحاضرين . ففاز بالبردين .

[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٣ .

أماوي ! إني لا أقول لسائـــــــــــــــــــــل إذا جاء يوماً : حل في مالنا نـــــــــــــــــــــزر

أماوي ! إما مانع فمبـــــــــــــــــــــين وإما عطاء لا ينهنهه الزجـــــــــــــــــــــر

أماوي ! ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصـــــدر

عاش حاتم برؤى وأفكار بات يذكرها ويعددها في أبياته المختلفة سواء في فخره الخالص بنفسه ، أو في رده على عاذلاته ، وكل شعر هو لسان صاحبه ومرآته ، إلا أننا لا نلحظ تطوراً في الأفكار وربما كان يعيش حياة استقرار مادي ، ومعنوي فلم يكثر من الترحال ، والحروب ، لذلك دار شعره في أفكاره ورؤاه الذاتية ، والقبلية في قليل من الأحايين .

ونلحظ في هذه الجزئية اعتداده الفائق بنفسه ، وثقته الكبيرة بشخصيته ، وفخره الزائد بصفاته ، وله في الفخر أسلوب خاص ، وصياغة خاصة تميز فيها بالجرأة ، والدقة فأرانا كيف كانت صفاته وكيف يتهيأ لضيفه ، وكيف يكرمه ، متناولاً التصويرات التي تذم البخل ، والبخلاء ، وتمدح ، وتؤيد ، وتحفز على الخير بمختلف توجهاته من إكرام ، وإحسان وغيره .

وتحدث عن الصعلكة ، والصعاليك وقسمهم إلى قسمين : " خير ، وسيء " ولم يفخر بالإكرام فحسب بل بالعفة ، فهو يحمي جيرانه ، ويعولهم ، ويحفظهم ، ويصونهم في غياب ذويهم ، فذكر ذلك في أبياته واستنكر وتعوذ بالله من الخيانة ما دام حياً .

كما أنه رد على عاذلاته ، ولائماته اللائي يرين في إنفاقه إهدار لماله ، ومالهن .

وكذلك النمر بن تولب (رضي الله عنه) له باع في هذا الغرض " الفخر الذاتي " وتحدث فيما تحدث فيه " حاتم " من موضوعات ولكن بأسلوبه هو ، فاشتركا في مزج فخرهما بالحكمة ، ويلجآن للتصوير في العديد من حالاتهما .

ولكن النمر لم يدر موضوعاته في نفسه أو قبيلته وحسب ، كما نراه تمثل بالقصص التاريخي القديم ، وهو يحمل وفاء خاصاً للحيوان فهو حينما رد على ربيعة قال بأنه لن يبيع ناقته ويشري الدجاج وذلك في قوله[1] :

أأهلكها وقد لاقيت فيهـــا مرار الطعن والضرب الشجاجـــــا

وتذهب باطلاً غداوت صهبــــــــــى على الأعداء تختلج اختلاجــــــــــــــــــــــــا

جموم الشد شائلة الذنابـــــــــــــــــــــــــــــــــــى تخال بياض غرتها سراجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وشدي في الكريهة كل يـــــــــــــــــــــوم إذا الأصوات خالطت العجاجــــــــــــــــــــــا

فهو يعدد مآثرها عليه ، ويستنكر أن يقابل فضلها عليه بالنكران ، وكأنَّما هي إنسان يعقل ويعي .. نعم هي ليست بإنسان ولكن صاحبها كان إنسانا . وهذا الأسلوب الاستنكاري وجدناه عند " حاتم " – سابقاً – حين قال[2] :

أأفضح جارتي وأخون جاري معاذ الله أفعل ما حييـــت

---

[1] ديوان النمر بن تولب ، ص ٥١ – ٥٢ .

[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٣١ .

والأسلوب الإستنكاري من أروع الأساليب إذ أنه أكثرها تنفيساً لدى المخَاطِب ، وأوقعها في نفس المخَاطَب .

ونرى الشاعرين اتفقا لفظاً ومعنى في قولهما : " ترى أن ما أبقيت لم أك ربه .. " ومن هذا نخلص إلى أنَّ الشاعرين لم يتفقا في الأغراض فحسب بل كان للألفاظ والمعاني الحظ ذاته من ذلك الإتفاق .

وحظى " النمر" بقدر أقل في هذا الغرض في الوقت الذي تفوق فيه حاتم كمَّاً ومعنىً وهذا مفصَّل فيما سبق من حديث .

المبحث الثاني

الفخر القبلي

لا يختلف في مضمونه عن الفخر الذاتي إلا أنَّ الثاني يفخر بالقبيلة كلها ويعدد ما بها من صفات جليلة ، وخلال جمَّة ؛ فيتغنى الشاعر بالشجاعة ، والبطولات التي حققوها، ويذكر أصلهم ، وشرفهم وسؤددهم ، ويقارنه بما دونهم . ولم يكثر الشاعران من هذا الضرب ومما قاله حاتم هنا – مفتخراً بقومه –[1]:

بنو ثعل قومي فما أنا مـــــــــــــــــدعٍ سواهم إلى قوم وما أنا مسند

بدرئهم أغشى دروء معاشــــــــــــــــــر ويحنف عني الأبلج المتعمـــــــــــــد

فمهلا فداك اليوم أمي وخالتي فلا يأمرنِّي بالدنيَّة أســــــــــــــــــــــــــــود

فهو ينتمي إلى بني ثعل ولا حاجة له بأن يدعي إلى سواهم فهم أهل العزِّ والسؤدد والمجد ، فهو يعتز بهم ويدافع عنهم بكل ما يملك من عدة ، وقوة حتى يتهيبهم الناس ، ويتجنبوا الإساءة إليهم ، وهو ترفع من فعل الدنايا ، ولما درج هذا تحت الفخر بقومه ففي هذا دلالة على أنه يؤكد أن أصله وانتماءه لـــ " بني ثعل " وترفعهم عن الرزايا ، والدنايا يأبى عليه أن يتلطخ بها أو يقترب منها .

وقال حاتم[2] :

ألا أرقت عيني فبت أديـــــــــــــــــــــــــــــــــــرها حذار غد أحجى بأن لا يضيرها

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٣٤ .

[2] السابق نفسه ، ص ٦٢ .

إذا النجم أضحى مغرب الشمس مائلاً   ولم يك بالآفاق بون ينيرهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

إذا ما السماء لم تكن غير حلبـــــــــــــــــــــــــــــــــة   كجدة بيت العنكبوت ينيرهـــــــــــــــــــــــــــــــــا

فقد علمت غوث بأنَّا سراتـــهـــــــا   إذا أعلمت بعد السرار أمورهـــــــــــــــــــــــــــا

إذا الريح جاءت من أمام أخائف   وألوت بأطناب البيوت صدورهـــــــــــــــــــــــــــــــــا

وإنَّا نهين المال في غير ظنــــــــــــــــــــــــــــــــــه   وما يشتكينا في السنين ضريرهـــــــــــــــــــــــــــــــــا

يقول بأنَّ المنام قد جافى عينيه وقال: إذا هوى النجم ، وأظلم المكان وشحَّ المطر ، وعمَّ الجدب ، كل هذا كناية عن فقر أصاب الناس ، فإذا ضاق حال الناس بهذه الطريقة فقد علمت " غوث .. " ، يفخر بقومه وأنهم سادة القوم ورعاتهم إذا ما تفشَّى الفقر عندهم وانتشر .

وهم يهينون المال من غير خوف ، ولا يخفى هذا على أحد من الناس حتى إن كان أعمى .

وقال النمر بن تولب[١] :

سمونا ليشكر يوم النهـــــــاب   نهزُّ قنا سمهريا طـــوالاً

---

[١] ديوان النمر بن تولب ، ص ١٠٨ .

فلما التقينا وكان الجـــــــــــــــلاد أحبُّوا الحياة فولوا
شـــــــــــــــــــــــــــــــــــــلالا

يفخرون ، ويتسامون ، ويتبارون ، وقيل* أنهم يتداعون بأسمائهم ، رافعين أسلحتهم عالياً ، وهذا يكون في حالة النصر دائماً .

ويصف يوم اللقاء ، قائلاً بأنهم تركوا أعداءهم يتبارون في الهروب والانسحاب ، لما وجدوه من قوة ساحقة أمامهم ، ومن فرط حبهم للحياة فروا متفرقين .

وقال النمر[1] :

ويوم الكلاب رأسنا الجموع ضراراً وجمع بني
منقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

أي أنهم في ذلك اليوم " يوم الكلاب " كانوا في مقدمة الجيش الذي تكون منهم ، ومن ضرار ومن " بني مِنْقَر " ، وكانوا هم القادة لهؤلاء وفي هذا دلالة على الشجاعة ، والجرأة على ملاقاة الأعداء ، والحكمة والتدبير فكلا الشاعرين يفخر بقبيلته إلا أن النمر ذكر لنا موقعة أبلى فيها قومه بلاءً حسناً .. وأودعوا في قلوب أعدائهم الهلع والرعب . أما حاتم فهو يفخر بشجاعتهم ، وعزمهم ، ومضائهم ، ولم يعرض لذكر معركة بعينها .

وقال حاتم – فيما يلي أبياته السابقة –[2] :

فأقسمت لا أعطي مليكاً ظلامة وحولي عدي كهلها
وغريرهـــــــــــــا

أبت لي ذاكم أسرة
ثعلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــية كريم غناها
مستعفٌّ فقيرهـــــــــــــــا

[1] السابق نفسه ، ص ٧٥ .
[2] ديوان حاتم الطائي ، ص ٦٤ .

وخوص دقاق قد حدوث لفتيـــــــــــــة عليهن إحداهن قد حل كورهـــــــــا

المليك " الملك " ، والظلامة " ما أخذ من الشخص ظلماً " ، أي أنه على الحق ومع الحق دائماً وإن كانت المواجهة على الملوك ، والأمراء فهو لا يخشى في الحق لومة لائم .. يتصدى للظلم ، وتسنده في ذلك قبيلته بأكملها ، فنفسه تأبى عليه مثل ذلك وكذلك أصله فهو يعطي من حر حقه ، ولا يأخذ حقَّ غيره ، ولا يساعد على أخذه بل يحمي صاحبه بما عنده ويدافع عنه ، وقال يفخر بكرمهم[1] :

ولو شهدتنا بالمزاح لأيقنـــــــــــــــــــــــت على ضرنا أنا كرام الضرائب

أي رغم بؤسنا وعدمنا إلا أنا كرماء سجية وطبيعة نعطى من العدم . وهذا يدل على أنه ورث الكرم أبا عن جد ، من نسل كرماء وأجواد .

وهذا في حالة بؤسهم وعوذهم ، أما إذا أيسروا فيقول[2] :

فما زادنا بأوا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفـــــــــــــــــــــقـــــــــــــــــــــــــــــــر

وبيته هذا يشبه كثيرا بيته الذي يخاطب فيه ابن عمه[3] :

فما زادني عنه غنائي تباعـــــــــــــــــدا وإن كان ذا نقص من المال مصرما

فهم لا يجعلون للمال وزناً ، ولا قيمة ، وماهو إلا أداة مساعدة إن وجدت ساعدوا وتساعدوا بها ، وإن لم تتوفر تعففوا واستغنوا . ويواصل في نصرة الجار وابن العم ويقول[1]:

---

[1] السابق نفسه ، ص ٢٩ .

[2] السابق نفسه ، ص ٥١ .

[3] السابق نفسه ، ص ٨١ .

ولا يلطم ابن العم وسط بيوتنا ولا نتصبى عرسه حين يغـــــــــــــــــــــــــــفل

فهو ينزه نفسه وأهله من أن يفعلوا تلك الفعال ، فهم أصحاب شرف ، وجاه ، وسيادة . ويقول[٢] :

إذا مات منا سيد قام بعـــــــــــــــــــــــــــده نظير
له يغني غناه ويخلـــــــــــــــــــــــــــف

وخلاصة القول إنهما يحملان صفات أهليهما في الشجاعة ، والكرم ، الإيثار ، والعفة ، والتواضع ، ونصرة القريب ، والجار ، والغريب ، وحفظ الجوار ، والسيادة ، وهذا كل ما اتفقا عليه في هذا الجانب .

ولكن " حاتماً " ضليع في هذا المجال فاق النمر – كذلك – في الكمِّ ، كما نجده تطرق لجوانب عدة في هذا الغرض ، وتناول فيه الكثير من الموضوعات ، وهذا واضح جدًّاً فيما سبق .

---

[١] ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٦ .

[٢] السابق نفسه ، ص ٧٠ .

الفصل الثاني

المدح

وللمدح أهمية كبيرة في الشعر العربي ، وكما امتلأت النفوس بأحاسيس العزة والإباء والشرف والكبرياء ، واعترفت لغيرها بما هو فيها من تلك الصفات أيضاً .. فمدح الرجلُ في الرجل صحة الأصل ، ورجاحة العقل ، ونقاء الحسب ، وجودة النسب ، كما مدح فيه الشجاعة ، والعفة ، والسخاء لا على مستوى الأفراد فحسب بل الجماعات والقبائل فكان المدح دائماً ما يكون للقريب والنصير .. به تزداد أواصر القربى والنسب ، وتقوى الصداقات بين القبائل ، وبه يُعرف الفضل وأصحابه ، فينتشر ذلك ويعم الأصقاع .

سبق وعرَّفناه – مع الفخر – وقيل فيه " وإنَّما طريق المدح أن يجعل الممدوح يشرف بآبائه ، والآباء تزداد شرفاً به ، وجعل لكل واحد منهم حظَّاً في الفخر ، وفي المدح نصيباً ، إذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ، لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ومنتقل إلى ولده كانتقال ماله ، فإن رعى وحرس ثبت وازداد ، وإن أهمل وضيع هلك وباد وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة ، وللولد منه القسم الأوفر، والحظ الأكبر[1] " .

وللمدح خصائص وصفات يجب أن تتوافر به كغيره من الأغراض والنعوت .. يحسن إن تكاملت فيه ويقل إن تناقصت ، وفي ذلك قيل : (ومن الشعراء من يفرق في المدح بفضيلة واحدة أو اثنين فيأتي على آخر ما في كل واحدة منهما أو أكثر . وذلك إذا فعل مصيباً به الغرض في الوقوع على الفضائل .. ومقصراً عن المدح الجامع لها لكنه يجود المديح حينئذ كلما أغرق في أوصاف الفضيلة وأتى بجميع خواصها وأكثرها[2]) .

---

[1] العمدة ، لابن رشيق ، ج١ ، ص١٤٥ .

[2] نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص ١٠٦ .

ولا نبدأ بحاتم هذه المرة بل بأبيات امتدح فيها النمرُ بن تولب (رضي الله عنه) الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما جاءه يقول[1] :

إنَا أتيناك وقد طال السفــر

نقودُ خيلاً ضمَّراً فيها عســر

نطعمها الشحم إذا عزَّ الشجـــــــــــــــــــــــــر

والخيلُ في إطعامها اللحم ضرر

ياقوم إنِّي رجلٌ عندي خبـــر

اللهُ من آياته هذا

القمـــر

والشمسُ والشعرى وآيات أخـــــــــــــــــــــــــــــــر

أما حاتم فخرج حتى نزل في بني بدر بن عمرو زمن احتربت جديلة ، وثعل وكان ذلك زمن الفساد فأحسنوا جوار حاتم وأكرموه فقال[2] :

إن كنت كارهة معيشتـــــــــــــــــــــــنا   هاتي فحلي في بني بـــــــــــــــــــــــدرِ

[1] من البيت ١-٤ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
الأبيات من ١-٧ : الاستيعاب في معرفة الصحابة ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، المحقق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت- لبنان- ط١ ، عام ١٤١٢ه -ـ ١٩٩٢م ، ج ٤ ، ص ١٥٣٢ .
- ديوان النمر ، ص٧٧ .
- بعض الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ، تحقيق: سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ١٧٧ .

[2] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٧ ، ص ٣٩ .

جاورتهم زمن الفساد فنعم الحال في العوصاء و اليسرِ

فسقيت بالماء النمير ولـــــــم أترك أواطس حمأة الجـــــــــــــــــــفر

ودُعيت في أولى الندي ولـــــــم ينظر إلي بأعين خـــــــــــــــــــــــــــــــزر

الضاربين لدى أعنتهـــــــــــــــــــــــــــــــــــم

والطاعنين وخيلهم تجـــــــــــــــــــــــــري

والخالطين نحيتهم بنضارهــم وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

ويوم الفساد* : يعني به الذي كان بين الغوث ، وجديلة وهما من طيء أي أن نعم السكن و الاقامة مع " بني بدر" ، ولا تعرف الإنسان إلا إذا جاورته أو عاشرته ، فهم نعم القوم في اليسر والعسر ، فهم قوم كرماء ، وعلى هذا فهم شجعان ، وفي قوله : (الضاربين نحيتهم ...) فوصفهم هذا يشبه وصفه لقومه أيضاً بهذه الصفة إذن هذه الصفة مشتركة بينهم وبني بدر.

وقال حاتم في قبيلة الغوث " ابن زياد بن عبد الله " من بني عبس الذين احسنوا جواره[1] :

لعمرك ما أضاع بنو زيـــــــــــــــــــــــــاد ذمار أبيهم فيمن يضيـــــــــــــعُ

بنو جنية ولدت

سيوفـــاً صوارم كلها ذكر صنيـــــــــــــعُ

---

[1] شعراء النصرانية ، شيخو ، ص ١٢٢ .

وروي هكذا :" شرى ودي وشكري من بعيد * لآخر غالب أبداً ربيع "

وجارتهم حصان ماتـــــــــــــــــــــــــــــــزني وطاعمة الشتاء فما تجوعُ

شرى ودي وتكرمني جميعـــــــا لآخر غالب أبداً ربيــــــــــــــــــــــــــــعُ*

قال : لعمرك قسمي أي وبقاؤك ما ضيع هؤلاء العصابة من حق أبيهم وشرف أسلافهم ما يوجب التذمر عند المحافظة عليه في جملة من يضيع حقوق آبائهم[1] .

وفي قوله : " بنو جنية .. " جعل أمهم جنية من حيث أنها خرجت في إتيانها بهم عن المعتاد من الإنس ويقال سيف ذكر إذا كان ذا ماء وذا حدة ، والصنيع : المصنوع ، والمعنى : أنهم بنو جنية يصلون إلى ما لا يصل إليه غيرهم ولدتهم أمهم شجعانا ، وهم في قوة العزم – ومضاء الرأي كالصوارم الذكور[2] .

وفي قوله: (وجارتهم حصان ..) معنيان أولهما : أنهم يحفظون جارهم ولا يعقبونه في غيبته ، وثانيهما : أنهم يحموها ، ويرعوها ، ويتكفلوا برزقها وبالتالي لا تحتاج إلى أحد حتى في أوقات الشتاء القارسة ، والجوع الشديد نوفر لها ما يكفيها وعيالها .

وفي قوله : (شرى ودي ..) يعني أنهم أحبوه جميعاً صغاراً ، وكباراً ، شيباً ، وشباباً حتى صار وكأنما هو صاحب الديار فعاش معهم تلك الفترات سالماً منعَّماً وإما يعني : " أن فضله انتشر فيهم جميعاً فلم تحتج نساؤهم ولم تلجأ لأحد فهو كفاهنَّ وغناهنَّ " وهذا إن كان يقصد شرى بمعنى انتشر .

– شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، تحقيق : فريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

* مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت– لبنان ، ج٢ ، الباب ٢٩ (في أيام العرب) ، ص ٤٣٧.

[2] شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

وقال حاتم[1] :

وفتيان صدق لا ضغائن بينهم إذا أرملوا لم يولعوا بالتـــــــــــــــــلاومِ

سريت بهم حتى تكل مطيهـــــــــــــــم وحتى تراهم فوق أغبر طاســــــــــــــــم

وإني أذين أن يقولوا : مزايـــــــــــــــل بأي ؟ يقول القوم أصحاب حاتمِ

فإما تصيب النفس أكبر همهـــــــــا وإما أبشركم بأشعث غانـــــــــــــــــــــــــــمِ

أي إن إناءهم واحد يظلون يغترفون منه ، فإذا ما خَلُص وافتقروا لايلوم بعضهم بعضاً بل يصبرون ويعملون حتى يوفروا غيره وهكذا .

وقوله " سريت بهم " أي سار بهؤلاء الأقوام مسافات بعيدة أرهقت مطاياهم من قطعها وبدت عليها الغبرة واختلفت ملامحها من آثار ذاك الغبار.

وقوله : (وإني أذين أن يقولوا ..) أي آذن بأن يذهب الضيف إليهم . مزايل : مبارح أو مغادر أو مفارق ، بأي : أي مكان للاستفهام .

والمعنى العام : إذا جاء ضيف وأذن وأشير له بأن يذهب إليهم فأنا لا أغضب ، لأنه سيجد عندهم ما كان واجده عندي من إكرام وإنعام ، إذن حاتم هنا مدح أولئك الأقوام غاية المدح إذا أنه بلغّهم مكانته في البذل و العطاء ، وجعلهم في كفته وافتخر بنفسه بطريقة غير مباشرة .

---

[1] ديوان حاتم ، تحقيق : إبراهيم عباس ، ص ٥٤ – ٥٥ .

وقال : (فإما تصيب النفس ..) أي إما يجد مايروم ويبغي لكفاء عيشه وضيفه وإن لم يجد ذلك يسعى .. ويسعى حتى يعود غانماً ظافراً وإن كلفه ذلك الرهق والشعث .

ورغم ما أوضحناه في تلك الأبيات إلا أننا لانكاد نجمع فيما بينها إلا بأوهن من خيوط العنكبوت وأحسبها تفتقر لما يسمى بـــ " الوحدة العضوية " وإما أن تكون ضاعت منها أبيات ، إما أن يكون ذلك تنفيساً عن شيء يفهمه الشاعر فحسب .

خرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم فسقطوا على عمرو بن أوس ابن طريف بن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد ود في فضاء من الأرض ، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم : لا تعجلوا بقتله فإذا أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه وإن لم تروا أحداً قتلتموه فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم فاستجاروه فأجارهم فقال حاتم[1] :

عمرو بن أوس إذا أشياعه غضبوا وأحرزوه بلا غرم ولا عـــارِ

إن بني عبد ود كلما وقـــــــــــــــــــــــــــــعـــــــــــــــــــــــــــــت إحدى الهنات أتوها غير أغمـــــــــارِ

فهو هنا لم يمتدحه وحده بل مدح مع ذلك قومه " بنى عبد ود " بالشجاعة والتصدي لكل الهنات والشرور التي تصيبهم .

وأنشد حاتم بين يدي الحارث بن عمرو ملك المناذرة مادحاً وشاكياً[2] :

أبى طول ليلك إلا سهـــــــــــــــــــــــــــــــــودا فما إن تبين لصبح عمـــــــــــــــــــــــــــــــودا

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٠ .

[2] السابق نفسه ، ص ٣٩ .

أبيت كئيبا أراعي النجـــــــــــــــــــــــــــوم
وأوجع من ساعدي الحـــــــــــــــــــديدا

أرجي فواضل ذي بهجـــــــــــــــــــــــــــــــة
من الناس يجمع حزما وجـــودا

نمته أمامة و
الحارثــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان حتى تمهل
سبقاً جديــــــــــــــــــــــــــــــــــدا

كسبق الجواد غداة الرهــــــــــــــــــــــــان أربى على
السن شأوا مديــــــــــــــــدا

ألا اجمع فداء لك الوالـــــــــــــــــــــــدان لما كنت فينا
بخير مريــــــــــــــــــــــــدا

فتجمع نعمى على حاتـــــــــــــــــــــــــــــــم
وتحضرها من معدّ شهـــــــــــــــــــــودا

أم الهلك أدنى فما إن علمت علىّ جناحا فأخشى
الوعيـــــــــــــــــــــدا

فأحسن فلا عار فيما صنعت تحيي جدودا وتبري
جــــــــــــــــــــــدودا

يقول : إن المنام قد جافاه ، والترقب أرهقه ، فهو ينتظر فضل الملك الذي وصفه بالشدة ، والحزم ، والصرامة ، والمضاء ، ومع ذلك بالجود الفائق ، والطمع في جوده أمر طبعي .

أولاً : لأنها صفته التي اشتهر بها .

ثانياً : أصله الكريم فهو ابن الحارثين وابن أمامة ، نتاج من هؤلاء ولكنه سبقٌ فاق آباءه وأقرانه .

ومما سردناه من أبيات للنمر وحاتم نلاحظ أن لا قرابة بين الاثنين لا من حيث استخدام الغرض ولا من حيث الأفكار المتناولة .

فالنمر لم يتمدح خلا قصيدته التي أنشدها عند قدومه للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، أما حاتم فكان صاحب الحظ الوفير من هذا الغرض والذي بيَّنا الجهات التي قصدها ومع ذلك لم يكثر فيه ، ومدحه كان رداً على فضل قدم له سواء من بني بدر أو الحارث وغيرهم أي أن مدحه لم يكن من باب الملاحظة و الإعجاب الطبعي ، وكذلك لم يُرِد منه رزقاً وتكسباً إنما كان رد فعلٍ لفعل حسن قدم له أو لقبيلته – والله أعلم – .

الفصل الثالث

الحكمة

إذا نظرنا إلى الحكمة فنراهما أكثرا منها – مقارنة بالمدح – وهذا يرجع للزمن الذي عاشا فيه والظروف التي أحاطت بهما ، وأخص في ذلك النمر لأنَّه عاصر فترتين مختلفتين كلّ الإختلاف ، كما أن الفترة التي عمَّرها أضفت عليه ما أضفت من تجارب مشهودة أو معيشة ، وقبل هذا الذهنية العربية الخصبة ساعدت كثيراً في سبك تجاربهم أقوالاً يفيد منها الناس جيلاً تلو جيل ، كل هذا كان له دور في إخراج هذا الكم من الملاحظات والحكم التي أفادنا منه .

" حكم " الحكم[1] : مصدر قولك : حكم بينهم يحكم ، أي قضى وحكم له وحكم عليه. والحكم– أيضاً – : الحكمة من الحكم والحكيم : العالم وصاحب الحكمة .

والحكيم : المتقن للأمور .

وحكُم – بضم الكاف : أي صار حكيماً .

قال النمر بن تولب :

أبغض بغيضك بغضا رويدا   إذا أنت حاولت أن تحكمـــــــــــا

قال الأصمعي[2] : " إذا حاولت أن تكون حكيماً " .

" والحكمة الأدبية هي كلمات قصيرة موقرة بالمعنى " جوامع كلم " توافق للحق وتؤلف قانوناً ذاتياً يضيء نفس المرء بإشراقاته التوجيهية ، ويدفعه نحو الخير ويسوره بالإنسانية " .

---

[1] الصحاح تاج اللغة وعروس العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق : أحمد بن عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧ه–ــ١٩٨٧ ، باب الميم ، فصل الحاء (حكم) .

[2] الإختيارين ، الأخفش الصغير ، ج ١ ، ص٧٧ .

- الصحاح للجوهري ، باب الميم ، فصل الحاء .

وأدب الحكم هو فن كلامي " نثر أو شعر " موافق للحق في مضامينه يرسله صاحبه بعد تأمل ليعبر عن حقيقة حياتية[1] .

والحِكَم في الجاهلية وليدة حوداث الدهر وتجاربه ، لا وليدة العلم الصحيح ، والتفكير العميق ، والتأمل الطويل ، وكما تزين له فضائل إنسانية لا يحدها زمان و لا مكان كالأمانة ، والوفاء بالوعد ، واصطفاء الصديق ، وتجنب الرياء والخيانة ، وإباء الذل والصبر على المصائب[2] .

ونخص هنا الحديث عن الحكمة التي أوردها الشاعران في أبياتهما وقد نكون عرضنا لبعض الأبيات في مبحثنا الأول إلا أننا كنا هناك نبحث عن أبيات " الفخر الذاتي " مروراً بالصفات التي تنادوا بها من كرم ، وتعفف ، وحفظ للجوار ، وما دون ذلك من الصفات فاستخدمت بعض أبيات الحكمة هناك استخداماً عرضياً وكانت شواهد على ذلك الحديث . ومما مررنا به من أبيات الشاعرين نلحظ الآتي :

كان " حاتم " كريماً جواداً متلافاً لا يخش الفقر أبداً ، وجَّه ملكته وصفته لهذا الغرض حتى أحسسنا أنه لم يبذل إلَّا لها ، ولم يعط إلا ليقال عنه معطاء ، وكل من يقرأ أبياته لا يجد إلا هذا ، وهو يدل على دوافعه النفسية التي اعترته في حياته سواء عايشها أم سمع بها ، فقبيلته " طيء " من المجموعات التي كانت تقطن اليمن وانتقلوا منها بعد السيل العرم – كما ذكرنا– فتشتتوا وتفرقوا في أجزاء الجزيرة المختلفة فخالطوا مجموعات أخرى ، وعرفوا أناساً غير أولئك ، لذلك كان لابد لحاتم أن يبدأ في بناء مجدٍ جديد .. مجدٍ تعدى فيه الطموحات المحلية .. مجدٍ عالمي دائم فكان له ما أراد إذ أنَّ ذكره سارت به الركبان وصار بعد ذلك شخصية عالمية خالدة ويحسبها البعض شخصية أسطورية .

---

[1] جمهورية الحكمة في نهج البلاغة ، نصر الله حسن عباس ، دار القارئ ، بيروت– لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ – ص٣٥ .

[2] أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، ص ٨٠.

ولكن حاتماً ينفي ما توهمناه في أبياته السابقة ويصور لنا ما أراده هو قائلاً[1] :

ولو كان ما يعطى رياء لأمسكت به جنبات اللوم يجذبنه جذبـــــــــــــــــــــــــــا

ولكنما يبغى به الله وحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــده فأعط فقد أربحت في البيعة الكسبا

بخلاف صاحبه " النمر" الذي يتمتع بشخصية مختلفة ، فالنمر كان كريماً حكيماً وهذه الحكمة نردها لعدة أمور أحسب أنها التكوين الفطري والنفسي ، والذي دعمته الكثير من العوامل الخارجية المساعدة كالبيئة والتربية والدين ، فالنمر عاش في فترتين مختلفتين كل الاختلاف ، ومع ذلك عمَّر كثيراً فكل هذه الأشياء لها التأثير المباشر عليه ومما قاله في الحكمة[2] :

لاتغضبن على امرىء في مالـــــــــــه وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغبِ

أي مع بذله إلا أنه لا يترقب شيئاً من الناس بل يلجأ إلى الله خالقه ويتقرب إليه ، ويترقب منَّه وفضله ، وقال حاتم[3] – أيضاً – :

كلوا الآن من رزق إلاله وأيسروا فإن على الرحمن رزقكم غـــــــــــــــــــدا

أي كُلْ وأعط مما أعطاك الله . لماذا ؟ فسَّر هذا في قوله[1] :

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٣٠ .

[2] ديوان النمر بن تولب ، ص ٤٨ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٤١ .

إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد بفضل الغنى ألفيت مالك حامدُ

وماذا يعدى المال عنك وجمعـــــــــــــــه إذا كان ميراثاً ووارك لاحـــــــــــــــــــــــــد

وقوله[2] :

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله سبـــــــــــــــــــــــلا

إن البخيل إذا ما مات يتبعـــــــــــــــــــه سوء الثناء ويحوي الوارث الإبلا

فاصدق حديثك إن المرء يتبعه ما كان يبني إذا ما نعشه حمـــــــلا

فهو قد دعا للإنفاق للأسباب التي ذكرناها في الأبيات أعلاه .

ثم إنه لم يعش حياة رخاء دائم ، لذلك يعرف كيف يعاني الغير ويقول في ذلك[3] :

وعشت مع الأقوام بالفقر والغنى سقاني بكأسي ذاك كلتيهما دهري

وقال " النمر" معنى يقترب من ذلك في قصيدة بدأها بالتسليم ، والتأمل وانتقل من ذلك إلى أبيات ذم فيها الناس أيما ذم قد شملهم به جميعاً ، وفي هذا دلالة واضحة على أنه عاش في نعيم ، ورخاء وفي تعب ، وشقاء – كما حاتم– ولا سيما ما ذكره في آخر الأبيات فقد كان دعماً لمعانيه التي هي في أول القصيدة فهو يقول[4] :

---

[1] السابق نفسه ، ص ٣٨ .

[2] السابق نفسه ، ص ٧٣ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٤٦ .

[4] ديوان النمر بن تولب ، ص ٦٤ – ٦٥ .

سلام الإله

وريحانـــة

ورحمته وسمـــاء درر

غمام ينزل رزق العـــباد

فأحيا البلاد وطاب الشجر

أرى الناس قد أحدثوا شيمة وفي كل حادثة

يؤتمـــر

يهينون من حقروا سيـــــــــــــــــــــــــــــــبـــــــــه وإن كان فيهم

يفي أويـــــبـــــــــــــر

ويعجبهم من رأوا عنـــــــــــــــــــــــــــــــــده سواماً وإن كان

فيه الغـــمر

ألا يالذا الناس لو يعلمون للخير خير وللشر

شـــــــــــــــــــــــــــــــــر

فيوم علينا ويوم

لـــنا ويوم نُساء ويوم

نســـر

لا نخالفه الرأي إلا أننا لانعممه كذلك ، وما أخذناه عليه ليس بقادح في حكمته فهو رجل عرك الحياة وعركته ، وأرى الأيام وأرته إلا أن هناك أناساً لم يكن الوضع المادي مقياساً من مقاييسهم في يوم من الأيام ، يعرفون من الرجل رأيه السديد ، وعزمه الشديد وعدله ، وغيرته على عرضه ، وغير ذلك من الصفات التي تحمد لدى الرجال .

مسألة " المال " مسألة ذات بعدٍ نفسي لدى الشاعر ، عكَسَها لنا في أبياته السابقة فهو لا يبتغى المال من أجله إلا أنه رأى في الناس فئة تنظر وتحكم على بعضها به

فأراده لذلك السبب ، ثم إنه واصل في هذا الاتجاه مبدياً تخوفه من الفقر تارة ، وذاماً الناس تارة أخرى ففي أبيات له يقول[1] :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة   إن الجلوس مع العيال
قبيـــــــــــــــــــــــــــــــــحُ

فالمال فيه تجلة
ومهابـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
ة   والفقر فيه مذلة
وقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــبـــــــــــــــــ
ــــــــــــــــوحُ

أما حاتم فوجه كلَّ ما يملك من مال للناس ووجه ملكته لإذاعة ذلك ، يعطي الكثير الكثير ، ولا يرضى بالقليل أبداً ، وهذا ما ميَّزه على أقرانه فهو يقول[2] :

كذاك أمورُ الناس راضٍ دنية   وسام إلى فرع العلا
متـــــــــــــــــــــــــــــوردُ

فمنهم جواد قد تلفت حولـــــــــــــــــــــــــــــــــه   ومنهم لئيم
دائم الطرف أقـــــــــــــــــــودُ

وله قصة مشهورة تقول : " أسرت عنزة حاتماً فجعل نساء من عنزة يدارين بعيراً ليفصدنه ، فضعفن عنه فقلن : يا حاتم أفاصده أنت إن أطلقنا إحدى يديك ؟ قال نعم : فأطلقن إحدى يديه فوجأ لبته فاستدمين منه ماشئن ثم إن البعير عضَّد يقال لها "عاجزة " أعجِبَتْ به فأطلقته ، ولم ينقمن عليه فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده[3] :

كذلك فصدي إن سألت مطيتي   دم الجوف إذ كل الفصاد وخيم

---

[1] ديوان النمر بن تولب ، ص ٥٣ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٣٦ .

[3] التذكرة الحمدونية ، بهاء الدين البغدادي ، ج ٢ ، ص٢٩٩ .

وخص البخلاء بالذم في كثير من أبياته وبلغ من ذلك أن قال[1] :

ليت البخيل يراه الناس كـــــــــــلهم   كما يراهم فلا يقرى إذا نـــــــــــزلا

فحاتم يعكس لنا امتعاضه من تلك الفئة ، وخالف في ذلك أحمد بن يحيى " الملقب بإمام النحويين " الذي يقول في ممدوحه[2] :

فتى مثل صفو الماء ليس بباخلٍ   بخير ولا مهدٍ ملاماً لباخلِ

وأيًّاً كانت نظرة الشاعر ، وفلسفته في العطاء إلا أنَّه دعا إلى صفة كريمة عظيمة يستحق عليها الشكر الجزيل ، وما عكسه شعر حاتم من معانٍ – ذكرناها في مقدمة البحث – ومع قوله : " ولو كان ما يعطى رياء .. " هذا لا يعكس تناقضاً لدى الشاعر لماذا ؟

لأن الشاعر هو الناطق الرسمي باسمه ، وقبيلته ، ومجموعته ، والمتحدث الأول عنها وعن من تهتز مشاعره لأجله ، أي حينما يكتب الشاعر قصيدة لا يستطيع أحد أن يجزم بأنه قصد منها نفسه فربما يعنى آخر أحس بإحساسه فاندفق دفقه بلسانه هو ، وهذا حينئذ لا يعد تناقضاً .

وكلاهما دعا للمعالي فحاتم ذكر ذلك فيما سبق من أبياته بطريقته وأسلوبه الذي يقصده والنمر قال في ذلك[3] :

وأوصي الفتى بابتناء العلا   وأن لايخون ولا يأثمـــــــــــــا

ويلبس للدهر أجلالـــــــــــــــه   فلن يبني الناس ما هدَّما

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٥١ .

[2] نقد الشعر ، ص ١٠٣– ١٠٤ .

[3] ديوان النمر بن تولب ، ص١١٦ – ١٢١ .

وإن أنت لاقيت في نجـــــــــدة فلا يتهيبك أن
تقدمـــــــــــــــــــــــــــــا

فإن المنية من يخشــــــــــــــــــــــــــها فسوف
تصادفه أينمـــــــــــــــــــــــــــا

وإن تتخطاك أسبابــــــــــــــــــــــــــــها
فإن قصاراك أن تهرمـــــــــــــــــــا

وأحبب حبيبك حبًّاً رويـــــــــــــداً فليس يعولك أن
تصرمـــــــــــــا

فتظلم بالود من
وصـــــــــــــــــــــــــــــــــــــله رقيق فتسفه
أو تندمـــــــــــــــــــــــــــــا

وأبغض بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حاولت أن تحكما

فلو أن من حتفه
ناجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــياً لألفيته الصدع
الأعصـــــــمـــــــا

هذه القصيدة حوت حكماً ووصايا جمَّة ، صورها لنا الشاعر في صورة مؤثرة عميقة تناول فيها أبعاداً كثيرة تخدم غرضه من الصورة متمثلاً فيها بالقصص القديم .

فالشاعر[1] أوصى بالتزام المعالي دائما والبعد عن ما يوقع في الآثام ، أو يقرب منها ويضع كل شيء موضوعه ، ويبني مجداً لنفسه ويحافظ عليه فالناس لا ولن يبنوا له مجداً ولن يحافظوا له على شرف هو من يعنيه ذلك . ودعاه إلى التزام دروب الشجاعة ، والمثابرة فالموت آتٍ لا محالة . وقوله : " وأحبب حبيبك حبًّاً رويداً ... "

[1] الإختيارين ، الأخفش الصغير ، ص ٢٧ " بتصرف " .

وقوله : " وأبغض بغيضك ... " من قوله " صلى الله عليه وسلم " : (أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)[1] .

والحكمة حينما تكون أبياتاً من الشعر تكون أسهل حفظاً ، وأبقى في الذاكرة ، وأيسر تناولاً وتناقلاً ، والحكمة معنى مهم في القصيدة العربية ، ولا تكاد تخلو قصيدة من بيت أو أكثر من أبيات الحكمة ، ويبقى الفرق بينهما في الكمِّ وجودة الوصف والصياغة .

وكان للنمر الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر ، ويمكننا أن نقول إنه فاق حاتماً هنا وتناول الحكمة والنصح في أمور كثيرة ، مرتكزاً في بعضها على المصدر التشريعي الأول والثاني " القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة " ، ويمكننا القول بأن النمر بلَّغ عن الرسول " صلى الله عليه وسلم " بوسيلة محببة إلى القلوب ، سريعة الذيوع ، وهذا ما هو محمود في الشعر ، يغرس الفضائل ، ويزيل الرذائل ، ويمضى بالإسلام وتعاليمه لآفاقٍ بعيدة ، ويسهم في إيصاله في قوالب كثيرة وأبحر مثيرة ، فقد يمل الناس كلام النصح والإرشاد وإن كان مسجوعاً ، ولكن تهفو الأفئدة لموسيقى الشعر ، وترانيمه ، وبه فقط يكون السبح في دنيا الأحاسيس ، وعوالم المشاعر ، فحينها يهدأ البال ، وتروق النفس ، فتصل الرسائل إلى العقل في أفضل حالاته وبهذا يكون الوقع مختلفاً جدًّاً فتتحقق كل الأغراض التي تفيد الإنسان دنيا وآخرة .

---

[1] الجامع الصحيح " سنن الترمزي " ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمزي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاعر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت – لبنان ، الباب : الإقتصاد في الحب والبغض .

الفصل الرابع

أغراض أخرى

المبحث الأول – الغزل

وهذا غرض آخر تناوله الشاعران إلا أنه لم يتعدَّ عندهم المطالع فوقفا على الديار وتذكرا معاهد الأحبة ، وصرحا بذكر محبوباتهما ، ونجدهما أحيانا يذكران أسماء لاندري هل هنَّ كناية عن زوجاتهما أم لهن وجود في حياتهما . حال غيرهم من الشعراء ! .

وذهب النقاد في تعريف الغزل مذاهب شتى فمنهم من قال : " النسيب ، والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد .. وأما الغزل فهو إلف النساء ، والتخلُّق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ[١] " .

ومنهم من قال : " إن النسيب ذكر خَلْق النساء وأخلاقهن ، وتصرف أحوال الهوى به معهن وقد يذهب قوم – أيضاً – موضع الفرق بين النسيب ، والغزل ، والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهنَّ من أجله فكان النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه ، والغزل إنَّما هو التصابي ، والاستهتار بمودات النساء ، ويقال في الإنسان " إنه غزل " إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن ... "[٢] .

ولكنا استخدمنا " الغزل ، والنسيب ، والتشبيب " بمعنى واحد وهو الحديث عن المحبوبة وما يتعلق بها بما في ذلك الديار ، والأماكن ، وكل ما يشغف له الإنسان ويحن إليه " .

وقيل : " الغزل في كتابات النقاد والعلماء تشبيه بالنسيب والتشبيب تقع اللفظة عندهم محل أختها ، ويستبدل بها اللغوي مرادفتها حين يريد فهي من غنى اللغة وهي

---

[١] العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ص١١٦.

[٢] نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ١٣٤ .

تصور اختلاف القبائل في تسمية هذا اللون من القول ، يطلقونها على من وصف المرأة أو تحدث إليها ، أو لها بها ، أو تخيل قولاً فيها ، أو قصة معها ، أو وصف ما تثير في نفسه من حرقة ومن نعيم . وهذا نسيب أو تشبيب ، أو غزل يرسلونه في أحكامهم وكتاباتهم من غير كبير تمييز أو عظيم اختلاف[١] " .

وهذا – الأخير – ما أردته وما قصده الناس في حديثهم عن هذا الضرب ، وقال حاتم– مخاطباً زوجه ماويَّة –[٢]:

أماوي! قد طال التجنب والهجر　　وقد عذرتني من طلابكم العذرُ

ففي قوله هذا جزع واعتذار فهو يألم لفراقها ، وبعدها عنه فهو لا يقوى على نأيها فحاتم أحبها حبَّاً جمَّاً وشغل بها زماناً .. وراح يعتذر عن عدم مجيئه لها .. ولا ضير ما دام مشغولاً و الود موصولاً .

ويعدُّو هذا من التكرار الملفوظ وهو " ما كررت فيه ألفاظ بأعينها سواء كانت أعلاماً أو كلمات تجري مجرى الأعلام[٣] " وهذا تكرار أراد منه تقوية النسيب ، وإشاعة التشويق كما في قول الشاعر – مكرراً ذكر نعم –[٤]:

أمن آل نعم أنت غادٍ فمبــــــــــــــــــــكر　　غداة غدٍ أم رائح فمهجـــر

تحن إلى نعم فلا الشمل جامع　　ولا الحبل موصول ولا أنت مقصـــــــــــر

---

[١] فن الغزل ، محمد سامي الدهان ، ج١ ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ص ١٢.

[٢] ديوان حاتم ، ص٥٠ .

[٣] المرشد إلى فهم العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ط ١ ، الكويت ، ١٩٨٩م ، ص ٩٠ – ٩١ "بتصرف" .

[٤] ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدم له: فائز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٦ه – ١٩٩٦م ، ص ٧٥ .

ولا قرب نعم إن دنت لك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت تصـــــبـــر

أما النمر فأمره معروف من جهته أحبها ، وأخلصها الود إلا أنها صرمته ، واختدعته فآلمه ذاك كثيراً ، وقال[1] :

تصابى وأمسى علاه الكـــبر وأمسى لجمرة حبل غـُـــرر

وقال[2] :

صرمتك جمرة واستبد بدارها وعدت عوادي الحرب دون مزارها

فالنمر رغم هجرها واختداعها له إلا أنه فكر في زيارتها ، والنمر شغف بها حتى خشي على عقله بعد ذهابها عنه والذي حال دونها – فيما يبدو – الحرب ، ورغم هذا بثها أحاسيسه بكل صدق وجرأة ، وأحسب النمر أصدق إحساساً من حاتم . لماذا ؟

أولاً : " ماوية " وصفت بالجمال الذي تميل إليه كلُّ النفوس فربما أحبها لجمالها أو مالها ، أوحسبها ، أو نسبها ليس بالضرورة أن يكون مثل هذا الحب عميقاً بالقدر الذي رأيناه في موقفه بأبياته أعلاه .

" فجمرة " لم توصف بجمال ، ولا مال إلا أنها ألهمت النمر ، وألهبت مشاعره ، ورغم إعراضها عنه ، إلا أنها ملأت دنياه ، وزاده إعراضها تعلُّقاً وترقباً .

ورغم ما حدث منها إلا أن النمر بثها تلك الأبيات التي تنم عن مشاعر ما زالت متقدة يشعلها الشوق ، ويضرمها البعد .. إذ لا جماح من قول أو عقل .. فقط الحرب حالت دونها – والله أعلم – .

[1] ديوان النمر بن تولب ، ص ٦٣ .

[2] ديوان النمر بن تولب ، ص ٦٨ .

ومما قاله[1] :

كأن مدامة من أذرعـــــــــــــــــــــــــــــــــاتٍ
ومـاء المزن والعنب القطيفـــــــــــا

على أنياب جمرة بعد وهـــــــــــــــــــنٍ إذا ما خالط النسم الرشيـــــــــــــــفا

ولكن المعنى غير مكتمل وهناك بيت مفقود ، وكان ينبغي أن يُذكر المشبه به حتى يتم المعنى ويتسق الكلام .

وقال عبد الله الطيب[2] : " وحقيقة الغزل أنَّه شوق وبَيْن ثم تعبير عمَّا يكون من تمازج نازع الشوق ، ووازع البين ، وإيحاء بما يلابس هذين من يأس ، وتأميل ، أزعم أنَّه كلَّما زاد الحرمان في حدود المكان كان ذلك أشد للوعة وأنطق بها "[3] ولكن هذا من طرف واحد، وبات يأمل في رجوع محبوبته ، ويأمل في العيش معها من جديد ، ولكن لم يحدث هذا فهي لم تخدعه .. رفضته من يومها الأول ، ولكن النمر لم ييأس يوماً من هجرها إلى أن جاء اليوم الذي طالما انتظرته فعادت لأهلها بعد طول غيابٍ أضناها و أرهقها .. لم ينسها زوجها ولا أبناؤها ما ذاقت فعادت إلى أهلها علها تروى لهف السنين ، وشوقها ، وبعد سنين من الغياب قال النمر[4]– ردَّاً على مرسال جاءه منها تسأل فيه عن حاله – :

---

[1] السابق نفسه ، ص٨٩ .

[2] المرشد ، عبد الله الطيب ، ص ٨٩٩ .

[3] ديوان النمر بن تولب ، ص ٩٥ – ٩٧ .

– تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، ج١٤ ، ص ١٤٦ .

– لسان العرب ، ابن منظور ، الباب : أبد .

* تأبد : الأوابد : التي توحشت ونفرت من الأنس ، ومنه قيل للدار إذا خلا منها أهلها خلفتهم الوحوش بها : قد تأبدت .

[4] ديوان النمر ، ص ٩٥ – ٩٧ .

تأبد* من أطلال جمرة

مأســل وقد أقفرت

منها شراء فيذبــــــــــــــــــــــــــلُ

فبرقة أرمام فجنبا

متالـــ

ــــــــــــــع فوادي سليل فالندي فأنحــــــــــــــــــــــــــــــــلُ

ومنها بأعراض المحاضر دمنـــــــــــــــــــــــــــــــــة ومنها

بوادي المسلهمة منـــــــــــــــــــزلُ

أناة عليها لؤلؤ

وزبرجـــ

ـــــــــــــــــد ونظم كأجواز الجراد مفصَّـــــــــــــــــــــلُ

يرببها الترعيب والمخض خلفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة

ومسك وكافور ولبنى تأكـــــــــــــــــــــــــــلُ

يشن عليها الزعفران

كأنـــ

ـــه دم قارت تعلى به ثم تغســـــــــــــــــــــــــــــلُ

سواء عليها الشيخ لم تدر ما الصبا إذا مارأته والألوف

المقتَّـــــــــــــــــــــــــــلُ

وكم دونها من ركن طود ومهمـــــــــــــــه وماء على أطرفه

الذئب يعـــــــسلُ

ودسَّت رسولاً من بعيد

بآيـــة بأن حيِّهم واسألهم

ماتمــــــــــــــــــــــــــــــولوا

فحييت من شحط فخير حديثـــــــــــــــــــنا   ولا يأمن الأيام إلا المضـــــــــــــــــــــــــــــــلُّ

ابتدر " النمر " أبياته بالبكاء على الرسم العافي ، والديار التي سكنتها الوحوش والأسماء التي ذكرها في أبياته الأولى ، هي أسماء لمناطق كانت تسكنها المحبوبة وماجاورها .

فهو يقول لها : " صارت الدار بعدك خواءً قفراً " وأخذ يصف محبوبته ما يتعلق بها (وشبه الحلي بفصوص الجراد الذي قطعت رؤوسه ، وأرجله وتركت أوساطه) ، ثم وصفها في ذاتها وما يغمرها من مسك ، وعطر وفي هذا دليل على سعة العيش ورغد الحياة ونعيمها حينما كانت معه ، ووصفها بالعفة والطهر وأحسبه وفِّق في ذلك حينما قال: " سواء عليها الشيخ لم تدر ما الصبا .. " ، بل هذا البيت من أروع ما قرأت في هذا الشأن ، وأخذ يصف حالها حين أرسلت له رسولاً يسأل عن حاله فردَّ عليها " النمر" تحيتها وأخبرها بحاله . ويبدو أن هيامه لم ينقطع ، وظل يشكو البين ، ولواعج الشوق فقال[1] :

شطت بجمرة دار بعد إلمـــــــــــــــــــــــــــــــــــام   نأي وطول بعاد بين أقـــــــــــــــــــــــــوام

حلت بتيماء في قوم إذا اجتمعوا   في الصبح نادى مناديهم بأشآم

وقد لهوت بها والدار جامعـــــــــــــــــــــــــــــــة   بالخرج فالنهي فالعوارء فالـــــــــــدام

حتى اشتفى وشفى منها لبانتـــــــــــــــه   وما يزيد شفاء غير إسقـــــــــــــــــــــــــــام

كأن جمرة أو عزَّت لها شبهـــــــــــــــــــــــــا   في العين يوم تلاقينا بأرمــــــــــــــــــــــامِ

---

[1] ديوان النمر بن تولب ، ص ١٢٦ .

إذن ما زالت " جمرة " تملك على النمر أقطار نفسه ، ومازال يخبئ حبها في حناياه ورده كَشْفٌ عن ذلك الولع ، وتلك اللهفة الدفاقة .

وبكي حاتم كما صاحبه قائلاً[1] :

لم ينسني أطلال ماوية ناســـــــــــــي ولا أكثر الماضي الذي مثله يُنسى

إذا غربت شمس النهار وردتها كما يرد الظمآن آبية الخمـــــــــــــــــــــــــــــس

إذن الأيام لم تنسه ذكر زوجته ومحبوبته " ماوية " فهو يزور ديارها ويقف بآماله الغابرة ، ولما قال : " كما يرد الظمآن ... " فهو يعاني لواعج الفراق ، وحرقته فيذهب خفية لديار محبوبته يناجيها ويحاكيها ويسرها ما يغالب من آلام لايدريها سواه ، وشبه حالته تلك بالإبل العائفة والتي تستقر آخرا فترد بعدما يهدها العطش ، وربما بعدما يهدأ الماء وينقطع الوارد .

كان " أول رموز الشوق والحنين هو المأوى ، والدار ، والمنزل واضح ما يدل على المأوى ثم المرأة فرع من هذا المعنى إذ هي كانت المأوى الأول حين كانت أُمًّا ثم هي المأوى الثاني حين تكون الخدن ، والزوجة ، والخلة ، والصاحبة[2] " .

قال حاتم متذكراً ديار الحبيبة " ماوية "[3] :

بكيت وما يبكيك من طللٍ قـــــــــــــــــــــــفر
بسقف اللوى بين عموران فالغمـــــــــــــــــــر

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٦ .
[2] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج٣ ، ص ٨٩٩ .
[3] ديوان حاتم ، ٤٥ .

بمنعرج الغلان بين
ستيــرة

إلى دار ذات الهضب فالبرق الحمر

إلى الشعب من أعلى ستار فثرمد فبلدة مبنى سنبس لابنتي
عمــــــــــــــــــــــــــــــــــرو

وما أهل طود مكفهر حصـــــــــــــــــــــــــــــــــــــونه من
الموت إلا مثل من حلَّ بالصحر

وما دارع إلا كآخر
حاســر وما

مقتر إلا كآخر ذي
وفـــرِ

وبعد ما بكى الديار وتذكر ما تذكر قال : إن بالشيء وبدونه يحدث القدر ، ويقع المكتوب إن كانت معه أو هجرته فالمآل واحد والمصير هو المصير .

وأوصاها بنضح الخمر على قبره إذا مات قائلاً[1] :

أماوي ! إما مت فاسعى بنطفة من الخمر ريَّاً فانضحنَّ بها قبري

أما النمر فقد جزع جزعاً شديداً بعد رحيل " جمرة " ، وعانى صنوفاً من العذاب فلما رأت عشيرته منه ذلك أشاروا له بامراة من " فخذة الأدنين" يقال لها " دعد" ووصفوها له بالجمال والصلاح فتزوجها ووقعت في قلبه وشغلته عن ذكر " جمرة " وفيها يقول[2] :

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٤٥ .

[2] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، ج٢٢ " بتصرف " .

أشاقتك أطلال دوارس من دعـــــــــــــــــــد خلاء مغانيها كحاشية الـــــــــــــــــــــــــــبردِ

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمـــــــــــــــــــــــت فواكبداً مما لقيت على دعـــــــــــــــــــــــــــد

على أنها قالت –عشية زرتها– : هلبت ألم ينبت لذا حلمه بعـــــــدي !

ألست بشيخ قد خطمت بلحيـــــــــــــــــــــــة فيقصر عن جهل الغرانقة الــــمـــــــرد

وإني كما قد تعلمين لأتقـــــــــــــــــــــــــــــــي تقاي وأعطي من تلادي للحـــــــــــــمد

ونراه شبه آثار الديار بالبرد الموشَّى لأنَّ الحاشية تعلَّم وتزيَّن[1] . وقوله : " أشاقتك " أي هيَّجتك وشوقتك المغاني ، والمغاني : هي المنازل التي كانوا يقيمون بها . وهبلت : ثكلت .

وقوله : " ألم ينبت لذا حلمه بعدي " ، أي ضرس حلمه وهو أقصى الأضراس وآخرها نباتاً .

– وفي قوله : " أهيم بدعد ... " قال صاحب الأغاني : " والناس يرون هذا البيت لنصيب وهو خطأ " وقيل : أليس له هم إلا من يتعشقها من بعده ؟ ألا قال : " أهيم بدعد ما حييت فإن أمت * فلا صلحت دعد لذي خله بعدي " ، ج١٦ ، ص ١٧٣ .

[1] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبوعبيدة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، تحقيق: عبد العزيز الميمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ج١ ، ص ٥٣٦ .

وفي قوله : " ألم ينبت لذا حلمه بعد أي ضرس حلمه وهو أقصي الأضراس وآخرها نباتا " الأمالي ، أبو علي إسماعيل ابن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، عنى بوضعها وتعربيها : محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ط٢ ، ١٣٤٤ه– ١٩٢٦م ، ج١ ، ص ٢٣٥ .

انتقل من افتتاحيته ومن خطابها له ، إلى فخره بنفسه قائلاً : " وإني كما قد تعلمين.. " ، انتقالاً أحدث فجوة واضحة بين الأبيات الرابع والخامس ، فهي في البيت الرابع سألتْه : " ألستَ بشيخٍ .. " ، فكان عليه أن يقول – مثلاً – :

بلى إنني شيخ ولكن قلبـــــــــــــــــــــــــــــــــه
سليب .. جريح .. دائم الوجدِ

أو يقول :

بلى إنني شيخ وعهدي بقلبـــــــــــــــــــــــــكم
كذوب .. خلوف .. دائم الصدِّ

ثم ينتقل بطريقة سلسة إلى ما يريد .

وقال حاتم :[١]

أتعرف أطلالاً ونؤياً مهـــــــــــــــــــــــــدما كخطك في رقٍّ كتاباً منمنمـــــــــــــا*

أذاعت به الأرواح بعد نيســـــــــــــــــــــــها
شهوراً وأياماً وحولاً مجرمـــــــــــــــــــــا*

[١] ديوان حاتم ، ص ٧٩.

* المنمنم : المحسن . * أذاعت به : فرقته . * المجرم : التام .

* رواية البيت هنا : " فأصبحت قد غيرن ظاهر تربه * وبدلت الأنواء ما كان معلماً " .

* الصبا – عند العرب – : لإلقاح الشجر ، والشمال : للروح ، والجنوب : للأمطار ، والدبور : للبلاء

وغيَّرها طولُ التقادم

والبـــلى فما

أعرف الأطلال إلا توهمـــــــــــــا

تهادى عليها حليها ذات بهجـــــــــــــــــــــــــة وكشحا

كطي السابرية أهضمـــــــــــــا

ونحراً كفى نور الجبين يزيـــــــــــــــــــــــــــنه

توقد ياقوت وشذر منظـــــــــــــمـــــــــــــــــــا

كجمر الغضا هبت به بعد هجعة من الليل أرواح الصبا* فتنســـمـــا

يضيء لنا* البيت الظليل خصاصة إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

إذا انقلبت فوق الحشية

مـــرة ترنم

وسواس الحلي ترنمـــــــــــــــــــــــــــــا

اتفق الشاعران في استخدام أسلوب " الخطاب " في حديثهما عن ديار المحبوبة ووصفها " أشاقتك ... " و" أتعرف أطلالاً ... " .

والنمر انتقل من وصف ديارها للإفصاح عن مشاعره نحوها ، ومن ثم الحوار المذكور معها .

كذلك حاتم وقف على ديارها ، ووقوفه بها ، ووصفه لها كان أطول من النمر ، وانتقل من الديار إلى المحبوبة فوصفها وصفاً حسيَّاً متحدثاً فيه عن قَوامها وحليها فهو ينعتها بالترف ، والنعمة وأنها مكفيَّة المؤونة ، وأشبه في وصفه امرأ القيس الذي يقول[١] :

---

[١] شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ص ٥٥ .

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضُّلِ

وأظن حاتماً يقصد من أبياته تلك " ماوية " لأن المعروف أنَّ ماويَّة ابنة ملوك أثرياء ووصفه في البيت الأخير فيه إشارة أقرب إلى ماوية بنت عفزر .

ولأن أغلب غزله وأكثر ذكره كان لها وبالرغم من أنها الثانية إلا أنها شغلت قلبه وأخذت لبَّه .. فحاتم وفيٌّ للنوار فلم يتزوج عليها إلا بعد رحيلها ، وأحبها – أيضاً – ولا أظنه يضاهي حبَّ ماوية ، ونراه يقف أيضاً على رسم دارها قائلاً[١] :

أرسماً جديداً من نوار تعرف تسائله إذ ليس بالدار موقفُ

وفي قصيدته نفسها ذكر " ماوية " في آخر الأبيات قائلاً :

وإني وإن طال الثواء لميــــــــــــتٌ ويعطمني ماوي بيت مثقـــــــــــفُ

ذكرنا أن للشاعرين أسماء لا ندري ما هي ، وكما قال ابن رشيق القيرواني : " ربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة إقامة للوزن أو تحلية للنسيب "[٢].

ولربما " لأن الناس – فيما يبدو – لا يقبلون في يسر أن يشتهر عنهم حديث الحب وسيرة القلب ، وأن تذيع أسماؤهم الحقيقية ، وكناهم المشهورة ، وأسرهم المعروفة في حوادث الصبابة والوجد . ولعل المجتمع الإنساني ما يزال يجد ضعفاً ، وفي ذكر المحبوب فضيحة ، لأن الحب من هَزْل الحياة ولهوها ، وقليل من الأدباء من يرضى بالهزل ومجانبة الجد[٣] " .

---

[١] ديوان حاتم ، ص ٧٠ .

* رويت " يضيئ لها ... " ، أي لأجلها – ولا خصاص : أي لا فرج .

[٢] العمدة ، لابن رشيق ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

٣ فن الغزل ، محمد سامي الدهان ، ص ١٥ .

ولا نقطع في هذا الأمر بقول ، ولا نعرف بيقين حديث ، ولكن نقول بأن حاتماً ابتدر إحدى قصائده قائلاً [1] – في امرأة أخلفته الوعد – :

ألا أخلفت سوداء منك المواعد ودون الذي أملت منها الفـــــــــــــــــــــــــراقد

تمنيننا غدواً وغيمكم غـــداً
ضباب فلا صحو ولا الغيم جائـــــد

وهذا أخلفته " محبوبته " الوعد ، ومطلته اللقاء ، وهذا ليس مذموماً في باب الحبِّ ، ولكن على سبيل الدلال والغنج ، لا على السبيل الذي تركت من أجله جمرةُ النمرَ ، حتى قال[2] :

وكل خليل عليه الرعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا ث
والحبلات كذوب مــــــــلق

وقامت إليَّ فأحلفتهـــا
بهدي قلائده تختنـــق

بأن لا أخونك فيما علمت فإن الخيانة شر الخـــــــــــــــــــــــــــلق

وقال – أيضاً –[3] :

صحا القلب من سلمى وأم عامر وكنت أراني عنهما غير صـــــــــــابرِ

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٣٨ .
[2] ديوان النمر ، ص ٩١ .
[3] ديوان حاتم ، ص ٥٢ .

ووشت وشاة بيننا وتقاذفـــــــــــــــــــــــــــت

نوى غربةٍ من بعد طول التجاورِ

كما قال النمر[1] :

سلا عن تذكره تكتما   وكان رهيناً بها مغرما

وأقصر عنها وآياتهــا   تذكره داءه الأقدمـــــــــــــــــا

وقال النمر[2] :

ألمَّ بصحبتي وهم هجـــــــــــــــــــودُ   خيال طارقُ من أم حصـــــــــــــنِ

ألم ترها تريك غداة بانـــــــــــــــــت   بملء العين من كرمٍ وحســـــــنِ

سُقيَّة بين أنهـــــــــــــــــــــار ودور   وزرع نابت وكروم جفـــــــــــــنِ

لها ما تشتهي عسلٌ مصفَّى   إذا شاءت وحواري بسمـــــــــــنِ

فأعطت كلما سُئلت شبابـــــــــــاً   فأنبتها نباتا غير جحـــــــــــنِ

---

[1] ديوان النمر ، ص ٩١ .

[2] ديوان حاتم ، ص٥٢ .

كنود لاتّمُنُّ ولا

تُفـــادي إذا غلقت حبائلها

بر هـــنِ

وقيل : إن للشعراء أسماءً تخفُّ على ألسنتهم ، وتحلو في أفواههم ، فهم يأتون بها زوراً ، وربما حقيقة وواقعاً ، فمن ذلك ذكر النمر " أم ربيعة ، أم حصن ، تكتم ، سُلَيمى " وهذا الاسم الأخير اشترك فيه مع حاتم ، مع الاختلاف في التصغير ، وهو أكثرها تداولاً وتكراراً بين الشعراء وأعزي هذا لخفة نطقه ، وسهولة وضعه في الكلام مع جمال معناه ، ولكثرة استعماله صار رمزاً للنساء عامة أكثر ما يكون علماً لامرأة بعينها .

وأحسب أن النمر أعمق وأصدق حبًّاً .. فبالرغم من صدٍّ محبوبته ، وإعراضها ومن ثم بعدها فهو لم يصم عن ذكرها ، ولم ينس أيامها معه ، ورغم اختداعها له إلا أنه احتفظ بمشاعره تجاهها زمنا ليس بالقليل .. ورغم أن البعد يلهي وينسي ، وعدم الأمل في اللقاء يورث البغض والكُره – أحيانا– إلا أنه لم يزد النمر إلا حبًّاً على الحب وهياماً على هيام .. وظل يراقبها على البعد ، ودعد وبما أوتيت من جمال لم تَنسِ النمر ما به ، ولكن لنقل ردته من الهلاك ، ومنحته حياة جديدة ، وشغلته زماناً .

ولا أجزم بأن حاتماً لم يحب النوار ولا ماوية ، ولكني أرى أنه من الدقَّة أن أقول : وفى حاتم للنوار ، وأحبَّ ماوية ، وحبُّه لماوية ليس بالقدر الذي نراه عند النمر تجاه "جمرة " ولا أقرب لماذا ؟

لأني أحسب الحبَّ تعلق أرواح بأرواح وليس تعلقها بمتعلقات لها أن تبيد وتفنى ، ولا مكان فيه للعقل أبداً .. ومتى تدخلت ومضاته عُدَّ حبًّا ولكن من الدرجة الثانية ، وبهذا فأيِّ عاصفة من عواصف الزمن لها أن تلغيه وتقضي عليه .

وتكرار" حاتم" لذكر " ماوية " ليس دليلاً قاطعاً على حبٍّ فائق ، وقولنا : أحب ماوية لدرجة جعلته يذكرها في معظم أبياته قول باطل خاصة إذا كانت هناك دواعٍ

أخرى للذكر ، كخفة الاسم – مثلاً – وربما سهولته مع الأوزان الشعرية فله أن يذكر اسمها كاملاً وله أن يرخِّمه كما فعل .

وربما إرضاءً لها فهى امرأة مغرورة ، ومَلِكة ذكيَّة تحبُّ الشهرة ، والذيوع ، وكان لها ما أرادت من ذلك الحظ .

واشتركت " جمرة " و " ماوية " في أنهما لم تحبا زوجيهما ألبتة . لماذا ؟

أولاً : " ماوية " قيل إن ابن عم لحاتم كان يقال له " مالك " قال لها ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنه ، وإن لم يجد ليتكلفن ، وإن مات ليتركنَّ ولده عيالاً على قومك ، فقالت ماوية : صدقت إنه كذلك .

وكان النساء – أو بعضهنَّ – يطلقن الرجال في الجاهلية ، وكان طلاقهن أنهنَّ إنْ كنَّ في بيت من شَعْر حولن الخباء فإن كان بابه قِبَل المشرق حولنه قِبَل المغرب ، وإن كان قِبَل اليمن حولنه قبل الشام ، فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتها وإن ابن عم حاتم قال لماوية : " طلقي حاتماً وأنا أنكحك ، وأنا خير لك منه ، وأكثر مالاً . وأنا أمسك عليك وعلى ولدك " ، فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال : يا عدي مانرى أمك عدى عليها قال : لا أدري غير أنها قد غيرت باب الخباء – وكأنه لم يلحن لما قال – فدعاه فهبط به بطن وادٍ ، وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فتوافوا خمسين رجلاً فضاقت بهم ماوية ذرعاً وقالت لجاريتها إذهبي إلي " مالك " وأخبريه بهم . فقال لها : اقرئي لها السلام ، وقولى لها : هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه . فرجعت وأخبرتها ، فقالت لها : إئت حاتما وأخبريه . ففعلت . فقام حاتم إلى الإبل فأطلق ثنتين من عقالهما ، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح وتقول هذا الذي طلقتك فيه تترك ولدك وليس لهم شيء .

وهذه القصة إذاما قورنت بقصة خطبتها – في التمهيد – نصل إلى الآتي :

١– إما أن تكون متنازعة المذاهب ، متقلبة الآراء ومختلة المبدأ .

٢- أو أن هناك خلطاً في نسبة إحدى القصتين بهم .

ولكن إذا أخذنا بالروايتين حسبما وردتا في كتب الأدب القديمة فإننا نخلص إلى رأينا السابق في أن " ماوية " لم تخلص لحاتم ألبتة ، ومع ذلك ليس لها مذهب واحد .

ثانياً : " جمرة " : معلوم أنها لم تخفِ ما بها ، وطلبت الذهاب لقومها وبعد رفض استمر سنيناً ذهب بها إليهم فلم تعد إليه مرة أخرى ، ولم يستطع النمر التأثير عليها طيلة الفترة التي قضتها معه لأن قلبها معلق بغيره – والله أعلم- .

وإن أردنا أن نصف " جمرة " يمكننا القول بأنها امرأة وفيَّة . لماذا ؟

سبيت فذهبت بها الأقدار بعيداً عن زوجها وأهلها ، وذاقت ما ذاقت من ألوان العذاب النفسي ، فصبرت على مصابها ، وزُوِّجت غصباً ، وأنجبت كُرهاً ، وظلَّت على الحالة نفسها سنين ، ولم تنس زوجها الأول – وهذا الوفاء بعينه – فحينما سنحت الفرصة عادت إليهم ولم تخف من العواقب .

وأيَّاً كان الفاضل والمفضول إلَّا أنهما لم يكتبا إلَّا غزلاً عذريَّاً عفيفاً طاهراً[١]

---

[١] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٧ ، ص ٣٨٥ .

المبحث الثاني

الهجاء

معلوم أن الشاعر لسان قبيلته ، والمتحدث الأول عنها في كل الحالات ، والناطق باسمها في كل المنابر، والمدافع عنها بجنانه قبل لسانه ، بل قيل[١] : إن القبائل كانت تعتمد في حروبها على الشعر اعتمادها على السلاح وكثيراً ما كان الهجاء أمرّ من السيف .

ولما كان الهجاء فنّاً من فنون الشعر الغنائي ، ويعبر به الشاعر عن عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء يمكن أن نسميه فن الشتم والسباب فهو نقيض المدح ففي القصيدة الهجائية نجد نقائض الفضائل التي يتغنى بها المدح[٢] .. بل كلما كثرت فيه أضداد المديح كان أهجى[٣] .

وكان الهجاء في الجاهلية مرتبطاً جداً بروح الصحراء العربية ، التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل ، وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تذم الضعف والبخل واختلاط النسب[٤] . ومن ذلك الأخير قول النمر في بني سعد بن تميم – وهم أخواله –[٥] :

إذا كنت في سعدٍ وأمك منهـــــــــــــــــــــــــــــــــم
غريباً فلا يغررك خالك من سعـــــــــد

---

[١] الهجاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ص ٩ .

[٢] السابق نفسه ، ص٨ .

[٣] نقد الشعر ، قدامه بن جعفر ، ص ١١٣ .

[٤] الهجاء في الشعر العربي ، ص٨ .

[٥] ديوان النمر ، ص ٥٩ – ٦٠ .

* فلان يصغى إناء فلان : أي ينتقصه . – فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكري ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ، عام ١٩٧١م ، بيروت – لبنان ، ج١ ، ص١٢ .

فإن ابن أخت القوم مصغى إناؤه* إذا لم يزاحم خاله بأبٍ جلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــدِ

إذا ما دعو كيسان* كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المردِ

ولما كان شاعراً حكيماً دمث الأخلاق أبت نفسه أن يهجو أخواله هجاءً صريحاً معتمداً على السبِّ ، والشتم ، وذكر المقابح ، فهجاهم عن طريق الكنية " كَيْسان " .

والفرد عنوان جماعته ، ولسانها ، به يأتي الخير لها ، ويندفع الشر والأذى عنها ولكن أحيانا تنقلب الأمور فيصير هو عدوها الأول – بقصد أو لا قصد – يجلب لها المصائب والمصاعب ويذيع عنها كل ما هو مشين . ومن ذلك نستشهد بالآتي : " نازع النمر بن تولب رجلٌ من بني ربيعة – اسمه : وهب – في بئر تدعي " الدخول " ، نميرة الماء وهي في أرض عكل وقيل إن النمر سقاه فلم يشكر له فقال النمر[1] :

يريد خيانتي وهبُ وأرجو من الله البراءة والأمانـــــــــــــــــــــــــــــــــا

فإنَّ الله يعلمني ووهـــــــــــــــــــب ويعلم أن سنلقاه كـــــــــــــــــــــــــــــــلانا

وإن بني ربيعة بعد وهبٍ كراعي البيت يحفظه فخـــانا*

يقول : وهب مثل ربيعة فإذا خان فكلهم خائن كما يقال : " في بني فلان بعد فلان خير؟ " أي : إذا لم يكن فيه خير فليس في أحد منهم .

---

[1] ديوان النمر ، ص١٣٧ .

* كيسان : اسم للغدر – تهذيب اللغة ، الباب : الكاف والباء مع الميم ، ج١٠ ، ص١٧٢ .

* الخائن : الذي أؤتمن فأخذ فخان .

– أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد المجيد ، ط ٤ ، المكتبة التجارية ، مصر – القاهرة ، ١٩٦٣م ، ج١ ، ص ٣٠ .

وقوله : " كراعي البيت .. " أي كمن أؤتمن على البيت فخان الذي ائتمنه[1] .

وعندما مرِّ أبو الخيبري بقبر حاتم فنزل به ، وبات يناديه : يا أبا عدي أقر أضيافك، فلما كان في السحر وثب أبو الخيبري يصيح : واراحلتاه ! . فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ . فقال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي ، وأنا أنظر إليه فنظروا إلى راحلته فإذا هي تنبعث فقالوا : قد والله قراك فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا فبينا هم كذلك في مسيرتهم طلع عليهم عدي بن حاتم ومعه جمل أسود قد قرنه ببعيره . فقال : إن حاتماً جاءني في المنام فذكر لي شتمك إياه وإنه قراك وأصحابك راحلتك وقد قال في ذلك أبياتا ورددها على حتى حفظتها وهي[2] :

أبا الخيبري وأنت امـــــــــــــــــــرؤ حسود العشيرة شتامهـــــــــــــــــــــا

فماذا أردت إلى رمـــــــــــــــــــــة بدوية صخب هامـــــــــــــــــــهـــــــــــــا

تبغي أذاها وإعسارهـــــــــــــــــــا وحولك عوف وأنعامهـــــــــــــــــــــا

وإنا لنطعم أضيافنـــــــــــــــــــــــا من الكوم بالسيف نعتامهـــــــا

وأمرني بدفع جمل مكانها إليك فخذه فأخذه . وإن سلمنا بأن حاتماً صاحب هذه الأبيات ، فحينها ننعته بالمباشرة في الأسلوب فلم يلجأ للتعريض أو السباب ، وأحسبه آلمه جدّاً فهو كلام قليل شديد الوقع وقيل : إن أشدَّ الهجاء ما عفَّ لفظه وصدق معناه ،

---

[1] شرح أدب الكاتب ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن أبو منصور بن الجواليقي ، قدم له : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، باب : مهلك مال ومفيد مال ، ج١ ، ص ٥٧ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٨٩ .

وقيل : ما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ، ولصوقه بالنفس ، فأما القذع والإفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن[1] .

وحاتم هنا مزج الهجاء بالفخر علَّه يتعلم أو يتشبه ويتمثل به وبآله .

وكان للنمر بن تولب صديق فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها فلما رآهم وسألوه تبسم فقال النمر[2] :

تبسم ضاحا لما رآنـــي
وأصحابي لديّ عن التمام

فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم ونفساً تأمرني ألا أفعل . فقال النمر[3] :

أما خليلي فإني لست معجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــله حتى
يؤامر نفسيه كما زعـــما

نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

ثم قال النمر لأصحابه لا تسألوا أحداً فالدية كلها عليَّ .

وقال حاتم- أبياتا تقترب من أبيات النمر-[4] :

كذاك أمور الناس راضٍ دنية وسام إلى فرع العلا
متـــــــــــــــــــــــــــوردُ

فمنهم جواد قد تلفت حولـــــــــــــــــــــــــــــه ومنهم لئيم دائم
الطرف أقـــــــــودُ

---

[1] العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج ١ ، ص ١٧١ .

[2] ديوان النمر ، ص ١٢٢ .

[3] ديوان النمر ، ص ١٢٢ .

[4] ديوان حاتم ، ص ٣٦ .

وداع دعاني دعوة فأجبتـــــــــــــــــــــــــــــــــــه وهل يدع الداعين إلا المبلــــــــــــدُ

إذن النمر كان كثيراً ما يلجأ إلى التعريض ، والإيحاء على خلاف حاتم ، والنمر ومع قلة هجائه إلا أنه أكثر هجاء وأجود من حاتم ، فإما لأن حاتماً شُغِل بما تحدثنا عنه سابقاً – الفخر والسيادة – أو لأنه كان رجلاً مسماحاً ، أبدى هذا في كثير من أبياته الآنفة .

" وأحيانا لا يكون المراد من الهجاء مجرد الشتائم فإذا تأملنا قصيدة الهجاء نفهم دروساً أخلاقية تشجعنا على العمل بعكس هذه الصفات ، التي استدعت الهجاء ، والشاعر بقوة ألفاظه الهجائية ، يصور لنا وجهين للحقيقة والحياة ؛ وجه الخير ، ووجه الشر ، فهو إذاً يرسم لنا مثلاً أعلى يدعونا للتطلع إليه[١] ".

---

[١] الهجاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، ص ٨ .

المبحث الثالث

الرثاء

الرثاء لغة : البكاء على الميت ومدحه ، ويقال : رثى فلان فلاناً يرثية رثياً ومرثية إذا بكاه بعد موته[١] . عبرات تفيض حزناً وثكلاً ، وشجون تعم بعضاً وكلاً ، ليس إلا صبابة أضرمتها حسرة تبعث الأسى ليس إلَّا[٢] .

وسبيله أن يكون ظاهر التفجع ، بيِّن الحسرة ، مخلوطاً بالتلهف ، والأسف والاستعظام[٣] .

وليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ مايدل على أنه لهالك مثل كان ، وتولى ، وقضى نحبه[٤] .

لم يكتب حاتم مرثية أبداً ، أما النمر فله مراثٍ قليلة ، ونراه يرثي أخاه الحارث بن تولب وزوجته – جمرة – قائلاً في أخيه الحارث[٥] :

لازال صوبٌ من ربيع وصيـــــــــــــــــــــــــف يجود

على حسي العميم فيثربِ

---

[١] الرثاء في الشعر العربي القديم واتجاهاته ، محمد شرفبياني " طالب الدكتوراة في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية ، فرع علوم وتحقيقات طهران " الأستاذ المشرف : فيروز حريرجي ، الأستاذ المساعد : إبراهيم ديباجي ، ٨ آيار – مايو ٢٠١٠م .

[٢] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ج ٤ ، ص ١٥٤.

[٣] العمدة ، ابن رشيق ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

[٤] نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص ١١٨ .

[٥] ديوان النمر ، ص ٤٦ .

فوالله ما أسقي البلاد

لحبهـــــــــــــــــــــــــــــــــــا ولكنما أسقيك حار

بن تولــــــــــــــــــــبِ

تضمنت أدواء العشيرة

بينـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــها وأنت على أعواد نعش

مقلـــــــــــــــــــبِ

كأن امرأً في الناس كنت ابن أمه على فلج من بطن دجلة مطنبِ

وأحسب أنها : " فوالله ما أسقى ... " أي الفاعل " هو " وعود الضمير على " الصوب " ، وفي البيت الأول – أيضاً – : " ولكنما أسقاك ... " .

وفي قوله : " تضمنت أدواء العشيرة ... " أي : " تضمنت ما كان في العشيرة من الداء أو الفساد حين كنت فيهم وأنت اليوم على نعش تقلب[1] " .

والبيت الأخير يعني بما كان فيه من الخير والسعة ، ومطنب بعيد الذهاب شديد الجري لاينقطع[2] .

وقال في إخوته[3] :

بين البدي وبين برقة ضاحـــــــــــــك غوثُ اللهيف وفارس

مقـــــــــــــــــــــــــــــدام

ومقابر بين الرسيس وعاقـــــــــــــــــــــــل درست

وفيها منجبون كـــــــــــــــــــــــــــــرام

[1] المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : د. سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، الباب : أبيات المعاني في المراثي .

[2] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري ، ج١ ، ص ٥٥٠ –٥٥١ .

[3] ديوان النمر ، ص١١١ .

جزعا جزعت عليهم فدعوتـــــــــــــــــــــــهم لو يسمعون
وكيف تدعى الهـــــام

لاتبعدوا وغدا السلام عليكــــــــــــــــــــــــــــــم
وسرى فقد يتفرق
الأقـــوام

فأبيت مسرورا برؤية مـــــــــــــــــــــــن أرى فإذا
انتبهت إذا هي الأحـــــــــــــــــــــــلام

فبدأ في بيته الأول بأحدهم ، وشملهم في بقية الأبيات ، وقوله : " فأبيت مسروراً .. " فيه من التصوير ، والحكمة ، والألم الدافق ما جعلني أقول إنه من أروع ما قرأت في هذا الصدد .

وقال – لا أدري في أخيه أم غيره –[1] :

على فاجع هدَّ العشيرة فقـــــــــــــــــــــــــــــده
به أعلن الناعي الحديث المجمجما

كان العرب يأنفون من رثاء الرجل لامرأته ، ويعدونه ضعفاً ، وحطاً من كرامته ، ومن جانب آخر لم يقدر للنساء منزلة ممتازة أو ذات أهمية ، ولم يعترفوا بها ، ورثاء المرأة قليل جداً في الشعر العربي ، ولكن رغم هذا نجد النمر رثى زوجته – السابقة – جمرة[2] وهذا لا يعني أن الشعراء لم يتطرقوا لهذا الضرب .

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٢٣ .

[2] الرثاء في الشعر العربي القديم واتجاهاته ، محمد شرفبياني ، ص١١٣ .

وحينما قلنا – سابقاً– إن النمر أحبَّ جمرة حباً صادقاً عميقاً ، وتتبع أخبارها كان نعيه لها جزءاً من دواعي ذلك الحكم ، حينما نعاها له رجل من قومه يقال له حزام فقال فيها[1] :

ألم تر أن جمرة جاء منهـــــــــا   بيان الحق إن صدق الكلامُ

نعاها بالنداء لنا حـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــزام   أحق

مايقول لنا حـــزامُ

فلا تبعد وقد بعدت وأجدى   على قبر تضمنها

الغمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــامُ

ولاسبيل لإجراء موازنة في هذا الغرض ، لأن الحظ فيه من طرف واحد ألا وهو النمر بن تولب (رضي الله عنه) ولكن قمنا بحصره ، وترتيبه فحسب .

---

[1] السابق نفسه ، ص ١١٣ .

المبحث الرابع

الإعتذار والإستعطاف والشكر

يأتي لإظهار الندم على فعل حدث ، أو حال وقعت ، ويريد المعتذر أن يبرئ نفسه، أو أهله لينجو من اللوم ، أو يحاول إصلاح الحال بتفسير ، أو شرح معقول لها لكي يرجع الأمور إلى مجراها العادي[١] .

وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ، فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجيباً ، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يمسح أعطافه ، ويستجلب رضاه ، فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ .. " .

ومن ذلك ما تقرؤه في القصة الآتية :

" أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن عمرو الغساني ، ورجل من بني جفنة وقتلوا ابناً له ، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلنَّ ، وليسبينَّ الذراري فحلف ليقتلنَّ من بني الغوث أهل بيت على دم واحد فخرج يريد طيئاً فأصاب من بني عدي ابن أخزم سبعين رجلاً رأسهم " وهم بن عمرو" من رهط حاتم ، وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان فأصابتهم مقدمات خيله ، فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولديها فتقول : يا حاتم أسر أبو هذا ، فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ، ومعه ملحان بن حارثة – وكان لا يسافر إلا معه – فقال حاتم[٢] :

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكر وماذاك من حب النساء ولا الأشر

---

[١] في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، مطبعة دار التراث الأولى ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م ، الباب : الاعتذار ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .

[٢] شعراء النصرانية ، جمعه وصححه : رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب " شيخو" ، ج١، ص١٠٥ .

- والقصة في الديوان ، ص ٥٥ .

ولكنني مما أصاب عشيرتـــي
وقومي بأقران حواليهم الصبـــر

ليالي نمسي بين جو ومســـــــــــــــــــــــــــطح نشاوي
لنا من كل سائمة جـــــــــــــــــــــــــــزر

فياليت خير الناس حيا وميـــــــــــــــــــــــــــــــتا
يقول لنا خيرا ويمضي الذي ائتمـــــــــر

فإن كان شرُ
فالعـــزاء فإننا على
وقعات الدهر من قبلها صــــــــبر

سقى الله رب الناس سحاً وديمـــــــــــــــــــة جنوب السراة من مآب
إلى زعـــــــــــــــــــر

بلاد امرىء لا يعرف الذم بيتـــــــــــــــــــــــــــــه له المشرب
الصافي وليس له الكدر

تذكرت من وهم بن عمرو جلادة وجرأة معداه إذا نازح
بكـــ
ر

فأبشر وقر
العـــين
فإننـــــــــــــي أجيء كريماً لا ضعيفا ولاحصـــــــــــــــــــــــــــر

يقول بأنه " قد هاجه الذكر " أي ذكر الأهل والعشيرة وليالي اللقاء والسمر بما فيها من ليالٍ قضوها بين " جو ومسطح " بين جزر وخمر فنرى أسر قومه وجيرانه هيجا عليه كوامن الحنين ، وانتقل من زفرات الحنين تلك مستعطفاً الملك عساه يمن عليهم بفك أسرهم ، وإن لم يلبِّ الملك رغبته فهم أهل صبر وصمود .

ثم دعا لأهله بالسقيا والخير والنعيم من جنوب السراة إلى زعر ، وراح مادحاً " وهم ابن عمرو" بالجرأة والشدة ، والبأس ، واليقظة ، ووعده بالمساعدة ، ونراه واثقاً من ذلك إما لأن الملك لايرفض له مايريد لكرمه وحلمه .

أو لأنه يثق في أسلوبه وطريقته التي تطوع كل صعب ، وتسهل كلَّ قاسٍ ففخر بكرمه ، ومنطقه الفائق والذي سيساعده على فك الأسارى .

فدخل حاتم عليه فأنشده أبياتاً فأعجب به ، واستوهبهم منه فوهب له امرأ القيس ابن عدي ثم أنزله فأتي بالطعام والخمر فقال له " ملحان " : أتشرب الخمر وقومك في الأغلال ! قم إليه فسله إياهم[1] . فدخل عليه فأنشده[2] :

إن امرأ القيس أضحى من صنيعكم وعبد شمس أبيت اللعن فاصطنـــــعِ

إن عدياً إذا ملكت جانبهـــــــا من أمر غوث على مرأى ومستمعِ

ثم قال :

أتبع بني عبد شمس أمر صاحبهم أهلي فداؤك إن ضروا وإن نفعــوا

لاتجعلنا أبيت اللعن ضاحكـــــة كمعشر صلموا الآذان أو جدعوا

أو كالجناح إذا سُلَّت قوادمـــــه صار الجناح لفضل الريش يتبعُ

[1] شعراء النصرانية ، شيخو ، ص ١٠٥ .
[2] ديوان حاتم ، ص ٦٩ .

ولا وحدة بين الأبيات تلك فجواب الشرط " إذا " مفقود ، وكمال المعنى غير موجود وكان عليه أن يقول بعد تلك الأبيات – مثلاً – :

فالصفح والعفو أحرى أن ينالهما   والحمدُ والشكر مقرونُ بمن شرعوا

فأطلق النعمان الغساني بني عبد شمس إكراما لحاتم وبقى " قيس بن جحدر بن ثعلبة " ، وهو من لخم وأمه من بني عدي وهو جد الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر ، فقال له النعمان : أفبقي أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم[1] :

فككت عديا كلها من إسارها   فأفضل وشفعني بقيس بن جحدر

أبوه أبي والأمهات أمهاتنـــــــــــــــــــــــــــا   فأنعم فدتك النفس قومي ومعشري

فقال : هو لك يا حاتم .

ولكن الاستعطاف عند حاتم قليل كذلك ، أما النمر فلم ينظم فيه قط .

ومن هذه الأبيات يتضح لنا أن النعمان فك أسراهم جميعاً كما توقع حاتم ، وما كان من حاتم إلا أن قابله بالإحسان فنظم له أبياتاً شكره فيها – سنوردها في القسم الآتي إن شاء الله – .

ومما نسب إلى النمر[2] :

أحار بن عمرو فؤداي خمر*   ويعدو* على المرء ما يأتمر*

---

[1] شعراء النصرانية ، شيخو ، ص ١٠٥ .

– ديوان حاتم ، ص ٥٧ .

[2] ديوان النمر ، ص ١٤٤ .

* خمر : أي خامره داء أو حُب ، أي : خالطه .

* يعدو عليه : أي يصيبه وينزل به .

* يأتمر : يهم به ويعزم .

– ديوان النمر ، ١٤٤ .

فإن أراد " الحارث بن عمرو الغساني " إذن النمر عاصر والد النعمان بن الحارث الغساني " ، ولم ينظم فيه غير هذا البيت ونظم فيه حاتم أبياتاً شكرهم فيها – تالية – .

الشكر :

قال حاتم يخاطب الحارث بن عمرو والد النعمان حينما أطلق هذا من كان أسرهم من رهط حاتم[1] :

أبلغ الحارث بن عمرو بأنـــــــــــــــــــــــــــــــي
حافظ الود مرصد للصـــــــــــــــــــــــــــــــــواب

ومجيب دعاءه إن
دعانـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي عاجلاً واحداً
وذا أصحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاب

إنما بيننا وبينك
فاعلــ
ــــــــم سير تسع للعاجل
المنتـــاب

وثلاث يوردن تيماء
رهـــواً وثلاث
يُغررن بالإعجـــاب

فإذا مررت في
مسبطـــ
ــــــر فاجمح الخيل مثل جمح الكعابِ

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص ٢٧ .

بينما ذاك أصبحت وهي عضدي من سبي مجموعة
ونهـــــــــــــــــــــــــــــابِ

ليت شعري متى أرى
قبــــــــــــــــــــــــــــــــــة ذات قلاع
للحارث الحـــــــــــــــــــــــــــــرابِ

بيفاع وذاك منها
محـــ
ـــــل فوق ملك يدين بالأحســـــــــــــــــــــــــــــــابِ

أيها الموعدي فإن
لبونـــي بين
حقل وبين هضب ذبـــــــــــــــــــــــابِ

حيث لا أرهب الخزاة وحولــــــــــــــــــــــي
ثعليون كالليوث الغضـــــــــــــــــــــــــــــابِ

بدأ أبياته ذاكراً وشاكراً الحارث بن عمرو على ما قدمه لهم وقال : نحن معك إن دعوتنا لشيء رغم ما بيننا من مسافة ، فما هي إلا أيام للمتعجل صاحب المصيبة ، وحتماً ما يطلبهم لأجله ما هو إلا بالأمر الجلل .

فحاتم يقول له : لا تحمل همَّ شيء فإن طلبتنا أتيناك أفراداً وجماعات ، إذن هم لن ينكروا فضله وسيجازوه النصرة والعون .

وأنهم يسيرون بأقصى ما في الخيل من سرعة هذا في المناطق المستوية المنبسطة فمناطق الحجارة والهضاب يكون السير فيها صعباً ، وخطراً عليها وصاحبها ، وهذه الخيل عضدي ، وسندي في مثل هذه المواقف ، فكم سبيت وغنمت بها . وانتقل من ذلك إلى وصفه قبة الحارث وقال عنها قبة الملك الشديد .. قبة بأعلى الأرض عليها مُلك يدين بالأحساب أي يتوالى عليه أصحاب الحسب ، والنسب ،

أصحاب الأصول الشريفة، والنفوس العفيفة . وعدل عن مدح أولئك الأقوام إلى فخر بنفسه ومدح لقومه ، إذ قال : إني لا أخشى الدساسين ولا أهابهم فلي ولأهلي من القوة ما يحصنني ويحميني منهم .

فحاتم لم يخرج عن دأبه ، ومنهجه الذي اعتدناه في مزج أي غرض من أغراضه بالفخر ، والمدح حتى صارا أغلب مما سواهما .

المبحث الخامس

الوصف

الوصف عند الأدباء : هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلاً يصل بك إلى الأعماق ، إلى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى ذوق فني ، وتتطلب الإحاطة بنواحيها والسمو إلى آفاقها وجدانا شاعراً وإحساساً مرهفاً وذوقاً سليماً[1] .

وأرى أنه إن كان للأغراض عمدة ، فعمدتها الوصف لأن للشاعر أن يفخر ، ويمدح ، ويرثي ، ويتغزل ، ولكن أصعب الركوب الوصف ، فهو يحتاج إلى المزيد من الموهبة ، والملكة التصويرية الخاصة ، والتي لايجيدها الكثير . حتى في استخدامه للأغراض الأخرى عليه استصحابه عنصراً أساسياً ، قيل : إنه يمكن أن تدخل جميع فنون الشعر تحت الوصف[2] .

وهذا واضح في كثير من أبيات الأغراض السابقة .. ومن ذلك وصف أَجَلِهم ومايتعلق به ، فقال حاتم[3] مفصِّلاً في الفخر حينما رد على عاذلته : " أماوي ما يغني الثراء عن الفتى .. " ، و" إذا أنا دلاني الذين أحبهم .. " .

وفي الفخر[4] : " وفتيان صدف منهم دارج السرى .. "

وقال النمر[1] – في الوقوف على الأطلال– : " أشاقتك أطلال دوارس من دعد .." .

---

[1] الوصف في الشعر العربي ، الوصف في العصر الجاهلي ، عبد العظيم علي قناوي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م ، ج١ ، ص ٤٢ .

٢ السابق نفسه ، ص ٤٩ .

٣ ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

٤ السابق نفسه ، ص ٥٢ .

استشهدنا بأمثلة مختلفة من أشعارهما وكان الوصف العمدة المشترك بينهما ، وهذا كثير جدًّا ليس على نطاق الشاعرين ، بل على مستوى الشعر كافة ، حتى الكلام العادي لا يخلو من الوصف ، فالوصف اكتسب هذه السعة من شمول المعنى ، وعموم المصطلح . " ومع أن كل ما حاول الشعراء وصفه جاء تصويره على العموم دقيقاً متقناً ، فإن بعض الموصوفات نالت اهتماماً ظاهراً ، فمثلاً الإبل والخيل قد فاقت في التصوير كل ما عداها ويبدو واضحاً في الشعر أنها حظيت من الشعراء بعناية فائقة ، واهتمام كبير فقد صوروها تصويراً دقيقاً في حركاتها ، وسكناتها ، وتتبعوا أجسامها جزئية جزئية ، ولم يقتصروا على أعضائها الظاهرة ، صغيرها وكبيرها ، بل تحدثوا عن بعض أجزاء باطنية لا تراها العين كالنِّساء ، والشَّظا ، والقلب[٢] .. " .

---

١ ديوان النمر بن تولب ، ص ٥٦ .

[٢] في تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث الأول ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م ، باب: الوصف ، ج١ ، ص ٣٦٣ .

ومن ذلك قول حاتم[1] :

شهدت وعواناً أميمة

إننـــا بنو

الحرب نصلاها إذا اشتد نورها

على مهرة كبداء* جرداء* ضامر أمين شظاها* مطمئن

نسورهـــا*

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٤ .

* كبداء : هي التي يملأ الكف مقبضها .

– خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٤ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، الباب : النعت ، ج٥ ، ص٦٥ .

* الجرداء : قصيرة الشعرة ؛ وذلك من كرم الفرس وعتقها ، والضامر : نحيفة الوسط .

– الاختيارين : – المفضليات والأصمعيات – ، أبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل– الأخفش الصغير– تحقيق: فخر الدين قبارة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م ، الباب : قال طفيل ابن عوف ، ج١ ، ص١٠ .

* الشظى : عظم لاصق بالركبة .

أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمدالدالي ، باب : خلق الخيل ، ج١ ، ص١٢٨ .

* النسور : في باطن الحافر مثل النوى واللوز .

– المعاني الكبير في أبيات المعاني ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوي ، تحقيق : سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن – الهند ، ط١ ، ١٣٦٨ه – ١٩٤٩م ، الباب : تم الخلق ، ج١ ، ص ١٧٣ .

ومن هذه الصفات الجسمانية نصل إلى أن الشاعر يريد أن يقول إن مهرته مهرة عربية أصيلة . وقال النمر يصف فرسه[1] :

لقد غدوت بصهبى وهي ملهبـــــــــــة إلهابها كضرام النارِ في الشيـــــــــــــــــــــــــحِ

جاءت لتسنحني يسراً فقلت لها : على يمينك إني غير مسنـــــــــــــــــــــــــــــوحِ

ثم استمرت تريد الريح مصعـــــــــــدة نحو الجنوب فعزَّتها على الريـــــــــــــــــــحِ

يا ويل صهبى قبيل الريح مهذبة بين النجاد وبين الجزع ذي الصوحِ

أما حاتم فوصف لنا مهرته وما بها من صفات الجودة والأصالة ، أما النمر فوصف سرعة فرسه التي تدعى " صُهْبى" ، وصور لنا كيف فاقت فرسه الطريدة وغلبتها . والخيل والإبل كان لهما أكبر الأثر في حياتهم في السلم و الحرب ، فأكثروا فيها القول ولا تكاد تخلو قصيدة قديمة من وصفهما[2] ، ومن ذلك قول النمر – يصف ناقة[3] – :

---

[1] ديوان النمر ، ص ٥٤ – ٥٥ .

وقيل إنه بين البيت الأول والأبيات الأخيرة أبيات لم تذكر ولكن الثلاثة الأخيرة مرتبة .

- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبو عبيدة البكري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، ج ١ ، ص ٥٤٧ .

– وقوله " جاءت لتسنحني ... يعني الطريدة ولتسنحني : أي لتمضي على يساري .

- الأمالي ، أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد سلمان ، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، ط ٢ ، ١٣٤٤ه – ١٩٢٦م ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

والأهداب : أشد العدو ، والنجاد ما ارتفع من الارض .

الصوح : صفح الجبل .

راحت مؤملة الغدو صحيحة ملساء من عرر* ومن ظبظابِ*

أي أنها ناقة صحيحة سليمة ليس فيها من أدواء الإبل شيء .

ومما نسب إليه – في وصف الناقة[1] – :

وأذن لها حشـــــــــــــــــــــــــــــــــرة
مشـــــــــــــــــــــــــــــــــرة كإعليط مرخٍ إذا ما
صــــــــــــــــفــــــــــــــــر

يصف ناقته ورقتها ولطفها شبهها بإعليط المرخ ، وهو الذي يكون فيه الحب وعليه مشرة غني أي أثر غنى .

– سمط اللآلي ، ص ٥٤٧ .

[2] تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، ص ٣٦٣ .

[3] ديوان النمر ، ص٤٩ .

* العرر : ألا يكون للبعير سنام ، يقال ناقة عراء ، وبعير أعر .

* ظبظاب : يقال : فلان ما به ظبظاب أي هو أملس من الدواء حتى ليس به مقدار البثرة .

– المستقصي في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، الباب : الميم مع الألف ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .

[1] لسان العرب ، لابن منظور ، فصل الميم ، ج ٥ ، ص ١٧٤ . تاج العروس وتاج العروس ، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ، أبو الفيض ، مرتضي الزبيدي ، دار الهداية ، مادة " مشر"، ج ١٤ ، ص ١٢٢ .

وقال في المعسنات من الإبل[1]:

ومدفع* ذي فروتين هنأته* إذ لاترى في المعسنات* صرارا*

والبيت وَصَلَ أبتراً كما البيت الذي سبقه فهما يحملان مقطعاً صُوَرِياً ، ولكن المراد من وراء ذلك غير واضح والغرض الذي أتت فيه غير واضح كذلك .

---

[1] الجيم ، أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، راجعه : محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة – مصر ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ، باب العين ، ج ٢ ، ص٣٠٤ .

* المدفع : وهو البعير الذي إذا جيء بها قيل : دع هذا – من الإشفاق عليه – .

– الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم ، العوفي السرقسطي أبو محمد ، تحقيق : محمد عبد الله القناص ، مكتبة العبيكان ، الرياض– السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢–٢٠٠١م ، الباب : حديث سودة – رحمها الله – ، ج ٣ ، ص ١١٩٢.

* والهناء : ضرب من القطران .

– العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، البالب : الهاء والنون و (وائ) معهما هـ ن ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

* والعسن : الشحم القديم .

– معجم مقايسس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٥ه– ١٩٧٩م ، ج٤ – ٣١٦ ، الباب : عسوي .

* الصرار : المراد خيط يشد فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها .

– لسان العرب ، لابن منظور ، فصل : الصاد المهملة .

وقال في وصف الناقة – أيضاً[1] – :

قطعت بسمحةٍ* كالفحلِ عجلى   مواشكة* إذا جنح الأصـــــــــــــــيلُ

وقال[2] :

يوم الكلاب* رأسنا الجمـــــــــــــــــوع   ضراراً وجمع بني منقـــــــــــــــــــر

أجزت إليك سهوب الفـــــــــــــــــلاة   ورحلي على جمل مسفـــــــــــــــــرِ

طويل الذراع قصير الكراع يوا   شك بالسبسب الأغبـــــــــــــــــرِ

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٠٧ .

* سمحة : أي ناقة سمحة ، وسمحت الناقة : إذا انقادت فأسرعت .

– السابق نفسه ، ص ١٠٧

* المواشكة : السريعة .

– الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م ، الباب : تولية الملهب لقتال الخوارج وأخباره معهم ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

[2] ديوان النمر ، ص ٥٧ .

* يوم الكلاب : يوم من أيام العرب – وهو ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة – .

– خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ج١ ، ص ٤١٠ .

الشاعر يفخر بأنهم قوم شجعان أولو بأس شديد إذ ترأسوا وتقدموا جموع المحاربين على " جمل " عظيم قوي التحمل ووصفه بأنه طويل الذراع ، وأنه سريع في الصحارى والقفار .

والنمر مع أنه أكثر من الوصف إلا أنه غير مطيل ، وأبياته فيه لا تتعدى الأربعة أبيات خاصة في وصف الفرس والنوق .

وقال – في شنعة أشداق الجمل[1]– :

كم ضربة تحكي فاقراسيـــــــــــــــــــــــــــة* من المصاعب*

في أشداقه شنعُ*

فنراه هنا شبه الضربة بشدق البعير ووصفه بالقبح . و صدر البيت غير مستقيم ؛ ربما كان ذلك بعامل الزمن أو النقل الخاطئ

وقال النمر يصف جملاً[2]:

شديد وهص* قليل الرهص* معتدل بصفحتيه من الأنساع* أنداب

من صوب سارية عُلَّت بغاديـــــــــــــــــــــــــــة تنهلُّ حتى يكاد الصبح ينجابُ

---

[1] ديوان النمر ، ص ٨٠ .

* القراسية : الضخم الشديد من الإبل .

* المصاعب : جمع مصعب وهو الفحل .

* الشنع : القبح .

– الحيوان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانب بالولاء الليثي ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ ، الباب : ٧٥٩ " مميزات خلقية لبعض الحيوان " ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .

[2] ديوان النمر ، ص ٣٦ .

وصف الجمل في بيته الأول بأنه عظيم ، سريع ، وله ندوب على جسمه وهذا لكثرة استعماله في كثير من المهام ، ولكن ليس له رابط بالبيت الثاني فربما هناك أبيات مفقودة بينهما – والله أعلم – .

وقال حاتم[1] :

متى يأت يوماً وارثي يبتغي الغنى يجد جمع كف غير ملْء ولاصفـــــــــــــــــــــــــرِ

يجد فرساً مثل العنان وصارمـــــــــــــــــــــاً حساماً إذا ما هزَّ لم يرض بالهبـــــــــــــــــــــرِ

وأسمر خطياً كأن كعوبـــــــــــــــــــــــــه نوى القسب قد أرمى ذراعاً على العشرِ

وإني لأستحيي من الأرض أن أرى بها الناب تمشى في عشياتها الغبـــــــــــــــــــرِ

أجمل حاتم وصف الصورة التي تركها لوارثه وقال " جمع كفٍّ " ، ثم راح يفصل في كونه يجد " فرساً وسيفاً .. " .

وفي قوله : (يجد .. صارما حساماً إذا ما هزَّ لم يرض بالهبر) ، قوله : " وأسمر خطياً كأن كعوبه ..) – راجع ص ٥٤ من الفخر الذاتي – .

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٤٦ .

* الوهص : الوطء . والرهص : شدة العصر .

– لسان العرب ، لابن منظور ، فصل السين المعجمة ، ج ٧ ، ص ١٧.

* الأنساع : سيور واحدها نسع يشد به الرحل . شرح ديوان المتنبي ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ج ١ ، ص ١٧ .

بعد قراءة الأبيات يظهر لنا الوصف الواضح ، والصورة الجلية ، والهدف الذي أراده حاتم من وصف جودة ما يتركه بالرغم من استخدامه لها طول فترة حياته ، وفي هذا قال النمر[1] :

أبقى الحوادث والأيام من نمر   أسباد سيف اثره بـــا دِ

تظل تحفر عنه إن ضربت به   بعد الذراعين والساقين والهادي

وقيل إن هذا من الإفراط والغلو ، وعند بعضهم مذموم إذا كان في هذا الحد ، وعند آخرين ممدوح ، يقول : إذا ضربت به قَطَع المضروب وتجاوزه حتى غاص في الأرض فاحتجت أن تحفر عنه فتستخرجه[2] .

ولا أظن هذا مذموماً طالما " الإفراط ، والغلو" مسموح به في باب الشعر تأدية للمعاني ، وذهاباً بالصور أقصى مساحات الخيال . وإن لم يذهب حاتم هذا المذهب في وصفه إلا أنه وصف فأوفى ، ولم يختلف في قوله .

ومن قول النمر في الوصف أبيات متفرقة يقول في بعضها[3]:

بجرو يلقَّى في سقاء كأنـــه من الحنظل العامي جرو مفلق

---

[1] ديوان النمر ، ص ٥٨ .

[2] ديوان المعاني ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكري ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ج ٢ ، ص ٥١ .

[3] ديوان النمر ، ص ٩٠ .

وقيل إن هذا البيت في وصف القطا – وروي هكذا[1] – :

تحير * وتلقي في سقاء *
كأنـــه من الحنظل العامي * جرو *
مفلق

أي : أن القطا ترد وترجع حاملة " الماء " لصغارهم في فم كما الحنظل في صغره واستدارته – والله أعلم – .

وفي وصف النعاج يقول[2] :

فترى النعاج بها تمشى خلفه مشي العباديين * في الأمواق *

---

[1] انظر الحيوان ، للجاحظ ، الباب : أجود قصيدة في القطا ، ج ٥ ، ص ٣٠٩ .
* تحير : ترد وترجع .
* السقاء : عنى بها حوصلتها تملؤها ماء لا رواء صغارها .
* العامي : اليابس أتى عليه عام .
* الجرو: الصغير من كل شيء .
– الحيوان ، الجاحظ ، هامش الصفحة السابقة ذاتها .
[2] ديوان النمر ، ص ٩٣ ، وروى هكذا " فترى النعاج العفر تمشي خلفه ... " .
الفائق في غريب الحديث والأثر ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، تحقيق : على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ ، الباب : حرف الميم – ج٣ ص ٣٩٣ .
* العبادين قوم يقال لهم العباد وكانوا يقال لهم العبيد فانفوا وقالوا لسنا العبيد انما نحن العباد . المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤١٧ه – ١٩٩٦م ، الباب : ضعف العقل ، ج١ ، ص ٢٦٦ .
* الأمواق : ضرب من الخفاف . المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م ، الباب : مقلوبه (م و ق) ، ج ٦ ، ص ٥٩٥ .

وصف مشي النعاج بمشي العباديين من الأنصار وهم ينتعلون الأمواق لعل الشاعر أراد أن يصف ذلك الضرب من السير بالتمهل والأناة .

وقال[1] :

وبوارح* الأرواح كلّ عشية   هيف* تروح وسيهك* تجري

وهنا يصف الريح في قوتها وشدتها واندفاعها وحرارتها وهذا البيت كسابقه ليس له أخ .

وقال النمر[2] :

فأصبحتُ والليلُ مستحكمُ   وأصبحت الأرض بحراً طما

قيل : أصبحت من المصباح . وقيل : شبه البرق بالليل بالمصباح ، فيقول النمر: شمت هذا البرق والليل مستحكم ، فكأن البرق مصباح إذ المصابيح إنما توقد في الظلم ، وأحسن من هذا يكون البرق فرج له الظلمة حتى كأنه صبح فيكون أصبحت حينئذ من الصباح . وقال ثعلب : معناه أصبحت فلم أشعر بالصبح من شدة الغيم[2] ، وأتفق مع رأي ثعلب ، لأن الإنسان يتحرك ويتفقد الأرض في صبيحة اليوم الممطر دائما ومع هذا الإصباح إلا أن السماء ما زالت مليئة بالغيوم الكثيفة المتراكمة والداكنة والتي تحمل مزيداً من الأمطار التي لا طاقة للأرض بها .

وشبه النمر جمرة ابنة نوفل بالروضة الخضبة ثم وصف الروضة يقول في ذلك[3] :

---

[1] ديوان النمر ، ص ٧٦ .

[2] لسان العرب ، لابن منظور ، فصل الصاد ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .

[3] ديوان النمر ، ص ١٢٦ – ١٢٨ .

* عزت : غلبت ، غلبت شبهاً لها ، وهي فوق التشبيه .

* أرمام : جبل في ديار باهلة ، وقيل : أرمام : وادي في ديار بني أسد .

* الميثاء : هي الرملة السهلة ، والرابية الطيبة . * الهطل : الكثير الهطلان ، وهو تتابع القطر .

كأن جمرة أو عزت* لها شبها   في العين يوم تلاقينا بأرمـــــــــــــــــــــــام*

ميثاء* جاد عليها وابل هطـــــــــــل*   فأمرعت* لاحتيال* فرط أعـــــــــــــــــوام*

إذا يجف ثراها بلها ديـــــــــــــــــــــــــــــــــم   من كوكب نزل* بالماء سجـــــــــــــــــــــام

لم يرعها أحد وارتبها* زمنـــــــــــــــــا   فأو* من الأرض محفوف بأعلام

تسمع للطير في حافاتها زجلا   كأن أصواتها أصوات جـــــــــــــــــــــــــــــرَّام*

كأن ريح خزاماها* وحنونهـــــــــــــــــا   بالليل ريح يلنجوج* وأهضـــــــــــــــــــام*

---

* أمرعت : أمرعت الأرض إذا أعشبت

– تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي – تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط ١ ،٢٠٠١م ، الباب: العين واللام مع النون ، ج ٢، ص٢٤٠ .

* لاحتيال : أي بعد احتيال ، وهو مرور الأحوال .

* فرط أعوام : بعد أعوام .   * نزل : ذو نزل ، كثير المطر .

* ارتبها : رعاه وأصلحه .   * الفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال .

– البرصان والعرجان ، الجاحظ ، ج١ ، ص٢٨٩ .

* جرام : الذين يصرمون التمر ، أي يقطعونه .

* الخزامى والحنوة : نباتان طيبا الرائحة .

* اليلنجوج : العود الهندي الذي يتبخر به .

* الأهضام : كل شيء يتبخر به غير العود اللبنى .

وهنا تظهر رقة " النمر" وسلاسته حينما وصف محبوبته بالجمال ، والنضارة ، والخفة ، والعفة ، والروعة ، والرقة المتناهية لمَّا شبهها بروضة بلدتها ، وأمعن في وصف الروضة وهذا جانب تفرد فيه النمر.

وقال النمر – في تتمة الأبيات السابقة[1] – :

ومنهل* لاينام القوم حضرتــــــــــــــــــــــه من المخافة أجن* ماؤه طامــــــــــــــــــــي

قـــد بت أحرسه وحدي ويمنعـــــــــــــــــــــــي صوت السباع به يضبحن والهـــــــــام

---

[1] ديوان النمر – ص ١٢٨ – ١٢٩ .

* المنهل : المورد ، حتى صارت منازل السفار على المياه منهل .. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائ ، الباب : باب الها واللام والنون معها (ل ه ن) ، ج ٤ ، ص ٥١ .

* آجن : والآجن الماء المتغير .. غريب الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد – العراق ، ط ١ ، ١٣٩٧ه ، الباب : حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

* وجناء : الوجين الغلظ من الأرض ، وناقة وجناء . جمهرة اللغة ، أبو بكرمحمد بن حسن بن دريد الأزدي ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، الباب : جهواي ، ج ٢ ، ص ١٠٤٦ .

* مجذام : سريع . الأمالي ، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد المبارك اليزيدي ، مطبعة جمعية دائرة المعارف ، حيدر آباد – الدكن ، الهند ، ط ١ ، ١٣٩٧ه– ١٩٣٨م ، الباب : ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ج ١ ، ص ١٩ .

* الصُفنة : من أدم كالسفرة لأهل البادية يجعلون فيها زادهم ، وربما استقوا به الماء كالدلو . المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الباب : مقلوبه (ص ف ن) ، ج ٨ ص ٣٣٨ .

ما كان إلا اطلاعي في مدالجـــــــــــه   ثم انصرافي إلى وجناء*
مجـــــــــــــــــــــــذام*

أفرغت في حوضها صفنا* لتشربه   في داثر خلق الأعضاد
أهـــــــــــــــــــــــــدام

فعافت الماء واستافت* بمشفرهـــــــــــــــا   ثم استمرت سواه
طرفها ســـــــــــــــــــــــــــام

صدت كما صد عما لا يحل لـــــــــــــــــه   ساقي نصارى قبيل
الصبح صــــــــــوام

أرمي بها بلداً ترميه عن
بلـــــــــــــــــــــــــــــــد   حتى أنيخت على أحواض
ضرسام*

وبعد تلك المقدمة الوصفية السابقة راح واصفا الحوض الذي وقف للشرب فيه ، فقال : هو حوض ذو ماء آجن متسخ غير صالح للشرب ، في منطقة موحشة ومسكن للسباع وغيرها .. فلم يمكث عنده طويلاً وامتطى إبله التي عافت ذلك الماء ، وقال : صدت كما يصد صائم النصارى – وأظنه قالها قبل الرسالة الإسلامية – ، وصبرا على العطش إلى أن وصلا ماءً يدعى " ضرسام " ، فشربا من مائه نهلاً وعللاً .

وشبهها النمر بالروضة مرة أخرى قائلاً [1] :

صرمتك* جمرة واستبد بدارهـــــــــــــا وعدت عوادي الحرب دون مزارها

زبنتك* أركان العدو فأصبحـــــــت أجأ وجبة من قرار ديارهـــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وكأنها دقرى* تخيل نبتهـــــــــــــــــــــــــــــــا
أنف يغمُّ الضال* نبت بحارهـــــــــــــــــــــــــــا

عزبت* وباكرها السمي* بديمة* وطفاء* تملأها إلى أصبارهــــــــــــــــــــــــا*

وكأن أنماط* المداين وسطهـــــــــا من نور حنوتها ومن جرجارهـــــــــــــــــــا

---

[1] ديوان النمر ، ص ٦٨ .
* استاف : شم ، يقال ساف يسوف سوفاً ، إذا شمَّ .
– لسان العرب ، لابن منظور ، فصل السين المهملة ، ج٩ ، ص١٦٥ .
* صرمتك : قطعتك . * زبنتك : دفعتك .
* دقرى : اسم روضة . * أنف : التي لم تُرع .
* الضال : السدر . * عزبت : العازب الذي لا يرعاه أحد .
* السمي : المطر . * الديمة : مطر يكون مع السكون لا رعد فيه ولا برق .
* وطفاء : الديمة . * الأصبار : النواحي والجوانب ، وأراد أعاليها وجوانبها .
* الأنماط : ضرب من البسط له خمل رقيق .
* عيناء : واسعة العينين مع حسن الحدقة ، يعني البقر الوحشي .
* الجؤذر : ولد البقر الوحشي . * خذلت : تخلفت عن الظباء .
* الصوار : القطيع من الغنم . * خرق : يعني الجؤيذر .

ولقد لهوت بطفلة

ميالـــة بلهاء تطلعني على أسرارهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

عبق الممسك والعبير بجيبهـــــــــــــــا وكأن نضخ دم على أظفارهـــــــــــــــــــــــــــــا

وكأنها عيناء* أم جؤيـــذر* خذلت* له بالرمل خلف صوارهـــــــــــــا*

خرق* إذا ما نام طافت حولـــــــــه طوف الكعاب على جنوب دوارها*

بأغن* طفل لاتصاحب غيـــــــره فله عفافه* درها وغرارهـــا*

وسبق أن قلنا بأن النمر لم يستطع نسيانها فها هو ذا يبكي ، ويألم لفراقها ساخطاً على الحرب التي منعته منها ، وشبهها بالروضة اليانعة ، النضرة ، المورفة الأشجار ، المترامية الظلال ، روضة بريِّةَّ لم ترعها يدُ البَرِيَّة ، متنوعة النباتات والأزاهر ثم قال : " إنها في براءتها ورقتها وسذاجتها طفلة تطلعني على مابداخلها ولا تنتقى كلامها أبدا ، وقال إنها ذات رائحة عطرة تنفح منها كأنها المسك والعبير ، وهذه الرائحة قد تكون طبيعية نتيجة حبه لها ، وربما صناعية مجتلبة " .

وأتانا بصورة الجؤيذر فشبه حبه لها وتعلقه بها واهتمامه بها بتلك العيناء التي ترعى ابنها ، وتراقبه وتتخلف عن القطيع من أجله فإن نام طافت حوله وحفَّته بالاهتمام والرعاية خوفاً عليه ، فهي تصحبه معها دائماً ولا تفارقه ، وهذه صورته مع

---

* الدوار : صنم تدور حوله العرب .
* أغن : في صوته غنه .
* العفافة : ما كان في الضرع من لبن .
* الغرار : ارتفاع اللبن بعد الدرة .

" جمرة " ولكن لا يمنع الحذرُ القدرَ ، إذ النمر نقلنا من صورة طبيعية ساكنة ألا وهي الروضة إلى صورة طبيعية متحركة وهي الجؤيذر وأمه . قال فيها :

والنمر – كما ذكرنا – كثير الوصف ، ودائما يتناول الطبيعة في وصفه ومن ذلك أبيات – في الحكمة ، في قصة الوعل – فقال في أولها[1] :

فلو أن من حتفه ناجيـــــــــــــــــــــــــــــا لألفيته الصدع الأعصمـــــــــا

بإسبيل ألقت به أمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــه على رأس ذي حبك أيهما

إذا شاء طالع مسجـــــــــــــــــــــــــــــورة ترى حولها النبع والساسما

يكون لأعدائه مجهـــــــــــــــــــــــــــــــلا مضلا وكانت له معلمـــــــــــــــــــــــا

سقتها الرواعد من صيـــــــــــــــف وإن من خريف فلم يعدمـــــــــــــــــــــــــــــا

أتاح له الدهر ذا وفضـــــــــــــــــــــــة يقلب في كفه أسهـــمـــا

فراقبه وهو في قتـــر وما كان يرهب أن يكلـــمـــــــــــــــــــا

[1] ديوان النمر ، ص ١١٨ – ١٢١.

فأرسل سهما له أهزعـــــــــــــــــا فشك نواهقه والفـــمــــــــــــــــــــــــا

فريغ الغرار على قـــــــــــــــــدرة وما كان يرهب أن يكلمـــــــــــا

فظل يشب كأن الــــــــــــــولــــــو ع كان بصحبته مغرمـــــــــــــــا

أتى حصنه ما أتى تبعـــــــــا وأبرهة الملك الأعظمــــــــــــــــــــا

لقيم بن لقمان من أختــــــــــــه فكان ابن أخت له وابنمـــــــــــــا

ليالي حمق فاستحصـــــــــنت إليه فغر بها مظلمـــــــــــــــــــــــــا

فأحبلها رجل نابـــــــــــــــــــــــــــــــــــه

فجاءت به رجلا محكمـــــــــــــــــــا

بدأ في سرد قصة " الوعل " الذي ذهبت به أمه بعيداً عن الصيادين ، ولكن رمقته عين أحدهم فأصابه بسهمه ، فظل ينزو في السماء حين أصابه السهم ، والولوع : اسم من أسماء الدهر ، أي كأن الدهر كان مغرماً به ، ولكن الموت أتى حصنه كما هو حال السابقين ، أمثال " تبع " و" أبرهة " ، وتمثل بقصة " لقيم بن لقمان " الذي حمّق كما حمّقت أم ذاك الوعل ، فراح " الوعل " ضحية ، ولكن ليس هذا إلا قدراً مسطوراً

. وخلاصة ما أراده الشاعر أن يدعو إلى الإقدام ، والشجاعة ، والتصدي لكل معتدٍ ، لأن قصارى الحياة الهرم[1] .

ونجده كثيراً ما يتمثل بالقصص القديم مستصحباً ما به من عبر ، ودروس وذلك أيضاً في قصة آل عادياء[2] :

هلا سألت بعادياء وبيتـــــــــــه والخل والخمر التي لم تمنـــــــــــــــــــــــــــــــــعِ

وفتاتهم عنز عشية آنست من بعد مرأى في الفضاء ومسمعِ

إلى آخر الأبيات التي يروي فيها قصة " عنز" ، وفي هذه الإشارة التاريخية نبصر اتساع ثقافة النمر ، وارتباطه بالقصص القديم .

ومما نسب إليه[3]:

ألثت* عليها ديمة بعد وابـــــــــــــــــــــــــــــــل فللصخر من جوخِ* السيول وجيب*

[1] الإختيارين – المفضليات والأصمعيات – ، الأخفش الصغير ، ص٢٧ " بتصرف " .

[2] ديوان النمر ، ص ٨٥ – ٨٧ .

[3] ديوان النمر ، ص ١٤٣ .

* ألثت : دامت أياماً . * جوخ السيول : كسر جنبي الوادي . *الوجيب الخفقان .

* ضربن العرق : أي الجذور ضربت في الأرض باحثة عن ينبوع ماء .

* معين الماء : جريانه . والمعين : الماء الجاري .

* بقينا : أي يبقين على الدهر ، ولا يلحقهن من الآفات ما يلحق الإبل والماشية .

* أراد سعف النخلة تنال سعف الأخرى من قرب بعضها من بعض . وقال الأصمعي :" إذا تباعد النخل بعضهن من بعض كان أجود له ، وأصح لثمره " .

– ديوان النمر ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

وهذا بيت واحد إلا أنه صورة مترعة بالحركة تكاد تسمع لها جوخاً ، وخريراً ، واندفاعاً ، وتراجعاً .

ومما نسب إليه في ذكر النخل[1] :

ضربن العرق* في ينبوع عين طلبن معينة* حتى ارتوينا

بنات الدهر لا يخشين محـــــــــلا إذا لم تبق سائمة بقينــــــــــــــــــــــــــــا*

كأن فروعهن بكل ريـــح عذارى بالذوائب ينتصينـــــــــا*

يصف نخلاً نابتاً في ينبوع من الماء ، وقال حتى إذا أجدب المكان لن يصير معه مكروه ، فهو قادر على المحل والعطش ، وراح يصف فروعه ويمتدح قربها من بعضها ، وشبهها بالذوائب ولكن هذا من الخطأ ، وعدم العلم بالنخل فإذا تباعد كان أجود[2] .

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٤٣ .

[2] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، الباب : ١٥٥ ، المرار العدوي ، ج ٢ ، ص ٦٨٧ .

ونسب إليه في وصف أصحاب النبيذ[1]:

لايعتري شربنا اللحـــــــــــــــــاء* وقد توهب فينا القيان* والحلل*

وفتية كالسيوف أحضرهـــــــــــــــــم لاحصر* فيهم ولا بخـــــــــــــــل

بيض* مساميح في الشتاء وإن أخلف نجم عن وبله وبلوا

لا يتأرون* في المضيـــــــــــــــق وإن نادى منادٍ أن انزلوا نزلـــــــوا

يفخر بأنهم قوم شرفاء الألسن ، والأحساب ، والأنساب ، حسنو المعشر ، معطاؤون لايهمهم المال .. حتى في أحلك الأوقات ، وأعصبها وأن مجالسهم مجالس أنس وحلم وسكون لا سباب فيها ، ولا شتم ، ويعين بعضهم بعضاً ، وينصره .

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٤٦ .

* ينتصينا : أراد أن سعف النخلة تنال سعف الأخرى من قرب بعضها من بعض . وقال الأصمعي " إذا تباعد النخل بعضهن عن بعض كان أجود له ، وأصح لثمره .

* اللحاء : السباب . * القيان : جمع قينة : وهي الجارية المغنية .

* الحلل : جمع حلة. أراد انهم قوم لا يعتريهم النزاع ، وقد يجود الواحد منهم بالقينة والحلة ، أراد عزتهم وكرمهم . * الحصر : البخل .

* البيض جمع أبيض وهو الرجل النقي من العيوب ؛ أراد أحسابهم . *تأرى بالمكان : إذا تحبس ، يقول : لا يجمعون الطعام في الضيقة .

– ديوان النمر ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

وصف الشيب وبكاء الشباب :

وقلنا : إن النمر كان رجلاً حكيما معمراً ، تغنى بكل مراحل عمره ووصف كثيراً مما اعتراه قصداً أو غير قصد فنراه هنا يصف شعوره تجاه الشيب وعتابه لجمرة قائلاً[1] :

تصابى وأمسى علاه الكبر   وأمسى لجمرة حبل غرر

وشاب ولا مرحباً بالبيـــــــــــــــــــــــــــــــــا
ض من غائب ينتظـــــــــــــــــــــــــــــــر

والنمر في بداية المرحلة الثانية من شبابه ، ولنقل في شباب شيخوخته ساخطاً على الشيب لأنه منتقل إلى مرحلة جديدة ستحرمه الكثير ، متحسراً على ما مضى قائلاً[2] :

لقد أصبح البيض الغواني كأنما   يرين إذا ماكنت فيهن أجربـــــــــــــا

وكنتُ إذا لاقيتهن

ببلـــدة   يقلن على النكراء أهلاً ومرحباً

فقوله[3] : " على النكراء " تتميم ، ولو كانت بينه وبينهن معرفة لم ينكر له منهن أهلاً ومرحباً .

---

[1] ديوان النمر ، ص ٦٣ .

[2] السابق نفسه ، ص ٣٨ .

[3] الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق : علي أحمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩ه ، الباب : مثاله ، ج١ ، ص ٣٩٠ .

وقال[1] :

لعمري لقد أنكرت نفسي ورابنـــى
خلائق منها لم تكن من شمائلـــي

مطاوعتي من كنت لست أطيعـــــــــــــــــــــــــــــه وإني
أرى بثي عن اللهو شاغلــــــــي

وبدل رأسى الشيب بعد
ســواده فأصبحت ذا
شغل وأقصر باطلي

وأصبحت قد أعرضن عني وسؤننى وأخلفني عهد الخليل
المماطـــــــــــــــــــــــــــــــــل

ألا إن شيب الرأس ليس
بآفـــة تضيرك إلا في النساء
الجواهـــــــــــــــــــــــل

يتعجب مما أصابه من كبر وعجز ، مما جعله شخصا غير مرغوب من النساء ، لا يولينه إهتماما أبداً ، ولهذا جاء نعته لهن بالجهل حرقة ، وغَضَباً من فعالهن .. وتظاهر بأن الشيب ليس بالعيب ، وماهو بالشيء السيء إلا عند النساء الجواهل ، اللائي لا يَعِين ولا يُمَيِّزن . وقال[2] :

أودى الشباب وحب الخالة الخلبة وقد برئت فما بالصدر من قلبـــــة

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٠٩ .

[2] السابق نفسه ، ص ٣٩ .

وقد تثـــــلم أنيــــابي

وأدركنـــي

قــــرن علــــي شديــــد فاحــــش الغلبــــــــــة

وقد رمى بسراه الدهر معتمـــــــــــــــــــــــــــــــدا في المنكبين

وفي الساقين والرقبة

ففي أبياته الأولى نراه ساخطاً على الشيب ، غير متقبل لما اعتراه ، ولكن يبدو أنه كان أكبر سناً حين قال هذه الأبيات ، لأنه سلم لأمر الشيب ، أو لنقل إنه استوعبه ، وقال : كبرت ، وذهب حبُّهم عنِّي ، وبرئ صدري من ود النساء فلم يبق فيه شيء منه ، ورمى الهرم بسهامه في جميع جسمي .

ونراه يلزم نفسه بالوقار الذي تتطلبه هذه المرحلة ، فقال هازئاً وساخراً من نفسه التي تنزو إلي الصبا أحياناً[1] :

أليس جهلا بذي شيب تذكـــــــــــــــــــــــــــــره ملهى

ليال خلت منه أيـــــــــــــــام

وقيل للنمر بن تولب : كيف أصبحت يا أباربيعة ؟ فقال[2] ارتجالاً –على البديهة – :

أصبحت لا يحمل بعضي بعضا أشكو العروق النابيات نبضا

كما تشكى الأرحبي الغرضـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

كأنما كان شبابي قرضـــــــــــــــــــــــــــــــــــا

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٢٨ .

[2] السابق نفسه ، ص ٧٩ .

وقال[1] – واصفاً ما وصل إليه من وهن وضعف – :

لعمري لقد أنكرت نفسي ورابنـــــــــــــــي مع الشيب
أبدالي التي أتبـــــــــــــــــدل

فصول أراها في أديمي بعدمـــــــــــــــــا
يكون كفاف اللحم أو هو أفضـــــــــــــل

كأن محطا من يدي حارثيـــــــــــــــــة
صناع علت مني به الجلد من عل

وقولي إذا غاب يوما بعيرهـــــــــــــــم
تلاقونه حتى يعود
المنخـــــــــــــــــــــــــل

فيضحى غريبا غير ذاهب غربـــــــــة وأرسل إيماني ولا
أتحـــــــــــــــــــــــــــــــ
ـــــلل

وظلعي ولم أكسر وإن ظعينتـــــــــــــي تلف بنيها
في البجاد وأعـــــــــــــــــــــزل

ودهري فيكفيني القليل
وإننـــــــــــــــــــــــــي أؤوب إذا ما شبت لا
أتعـــــــــــــــــــــلل

وكنت صفي النفس لا شيء دونه فقد صرت من إقصا حبيبي أذهل

[1] السابق نفسه ، ص ٩٨ – ١٠١ .

وبطئ عن الداعي فلست بآخـــــــــــــــــذ إليه سلاحي مثل ما كنت أفعـــــــــــــــــــل

تدارك ما بعد الشباب وقبلـــــــــــــــــــــــــه حوادث أيام تمر وأغفـــل

يود الفتى بعد اعتدال وصحـــــــــــــــــــة ينوء إذا رام القيام ويحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــل

يود الفتى طول السلامة والغنـــــــى فكيف ترى طول السلامة يفعـــــــــــــل

دعاني العذارى عمهن وخلتنـــــــــــــــــي لي اسم فلا أدعى به وهـــــــــــــــــو أول

وقد كنت لا تشوي سهامي رمية فقد جعلت تشوي سهامي وتنصل

قال إنه كبر وبدل بعد الشباب ، والنضار ، والنشاط ، عجزاً ووهناً ، وشيباً .. وفي البيتين " الرابع ، والخامس " يريد أنه خرف وصار رأيه مجانباً الصحة ، أو أظنه يقصد أن نظره ضعف ، وصار يقنع بالقليل ، ولا يكثر من الشكوى والتمارض .. ومع صبره هذا إلا أنه معزول مُبعَد ولا ذنب له غير الكبر !! .

وقال : " إن الإنسان بعد اعتدال قامته وصحته في زمن الشباب ، تكون غاية أمنيته في الشيخوخة أن يقدر على القيام ولو بمشقة " .

والمراد بالعذارى : الأبكار ، فهن لا ينادينه باسمه ، فهو في مقام آبائهن ، وهذا لا يعجبه ، ويصيبه بالإحباط ، واليأس ، وصار يخطئ كل هدف من النظر والارتعاش أو غيرهما من آثار الكبر ، وعوامل العجز .

ومما نسب إليه[1] :

كانت قناتي لا تلين لغامـــــــــــــــــــــــز فألانها الإصباح والإمساء

ودعوت ربي بالسلامة جاهد ليصحني فإذا السلامة داء

يفخر بأنه كان رجلاً جسوراً إلا أن الأيام أبدلت قوته سقماً ، وصحته ألماً ، وأن الزيادة في العمر لم تزده إلا مرضاً ووهناً ورهقاً .

ومما عرضنا له خلال دراستنا لديوان النمر ، وغوصنا في صوره الشعرية ، نصل إلى الآتي :

عاش النمر في مناطق خصب وزرع وخضرة ، رأينا أثرها في إثراء أبياته بالصور الساكنة ، والمتحركة التي لحظها من الطبيعة ، فانعكس هذا في الاستقرار الذهني والنفسي والذي يمكننا أن نقول فيه : إنه أخرج صوراً طبيعية متكاملة ، ومكنه من توصيل كل ما اعتراه في أشكال وقوالب مختلفة ، كأنما عاش لإيصالها " حكماً ووصايا وصوراً " علها توضح الصور أو تقربها .

أما حاتم فله من الصور ما حكمنا عليه فيها بالجودة ، والقصد ، إلا أنه لم يصل إلى ما وصل إليه النمر بن تولب العُكْليّ .

---

[1] ديوان النمر ، ص ١٤١ .

الباب الثاني

الدراسة الفنية

- الفصل الأول : الموسيقى
- الفصل الثاني : الصورة الشعرية
- الفصل الثالث : بناء القصيدة
- الفصل الرابع : اللغة والمعجم الشعري

الفصل الأول

الموسيقى

المبحث الأول – الموسيقى الخارجية

أ: الأوزان :

الخليل بن أحمد " هو الذي اخترع علم الموسيقى العربية ، وصنفها أنغاماً ، وحين تخمَّرت في رأسه هذه الأنغام حبس نفسه في بيته أياماً وليالي كان يستعرض فيها ما روي من أشعار العرب ، ثم خرج على الناس بقواعد مضبوطة ، وأصول محكمة سمَّاها علم العروض كان له ولد " جلف " فدخل على أبيه يوماً فوجده يقطِّع بيت شعر بأوزان العروض فخرج إلى الناس وقال : إن أبي قد جنَّ . فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه . فقال – مخاطباً له[1] – :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وعلم العروض هو علم يعرف به صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها ، وما يعتريها من الزحافات والعلل[2].

---

[1] المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر ، عدنان حقي ، دار الرشيد ، بيروت– لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م ، ص ٨.

– ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، أحمد الهاشمي ، تحقيق : حسين عبد الجليل يوسف – مكتبة الداب (علي حسن) ، القاهرة – مصر ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م ، ص٦ .

[2] موسيقى الشعر العربي قديمة وحديثة ، عبد الرضا علي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط١ ، ١٩٩٧م ، عمان– الأردن ، ص ١٥ .

والعروض لغوياً على مسميات عدة نجملها فيما يلي[1]:

العروض – في اللغة – الناحية أو الطريق الصعبة .

والعروض : السحاب الرقيق ، أو الناقة الصعبة .

والعروض : الخشبة المعترضة وسط البيت من الشعر ونحوه .

والعروض : من أسماء مكة المكرمة ويقال إن الخليل سمَّاه " عروضاً " تيمناً بها ، ويقال : إنه ابتكره فيها .

ولعلم العروض قواعد وقوانين تمكن الدارس من الإلمام بكل نواحي الشعر ، ومن ثم معرفة البحور أو القوالب الصحيحة السليمة والتي بها يبتعد عن اللحن والغلط .

وتتكون البحور العروضية من تفعيلات ، والتفعيلة هي وحدة صوتية موسيقية لايدخل في حسابها نهاية الكلمات إذ هي تنتهي أحياناً في آخر الكلمة وأحيانا في وسطها[2] فالبيت من الشعر يقسم إلى وحدات صوتية معينة أو إلى مقاطع صوتية تعرف بالتفاعيل بقطع النظر عن بداية الكلمات ونهايتها[3] كما في قول حاتم[4] :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحلُّ جديبُ

أضاح ك ضيفي

قـــبــــــ ل إنزا

ل رحلـــه

---

[1] العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه ، فوزي سعد عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، مكتبة الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٨م ، ص ١٥ .

[2] العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه ، فوزي سعد عيسى ، ص١٢ .

[3] علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت– لبنان ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م، ص ١٢.

[4] ديوان حاتم ، شرح وتحقيق عباس إبراهيم ، ص١٥ .

فُعُولُ

مَفَاْعِيْلُـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــنْ　فَعُوْلُنْ

مَفَاْعِلُـــــــــــــــــــــــــــــــنْ

ويخصـــب

عنـــ

ـــــــــــــدي　ول محلل

جديـــــــــــــــــــــــو

فَعُولُ

مَفَاْعِيْلُـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــنْ　فَعُوْلُنْ

مفَاْعـــــــــــــــــــــــــــــي

والشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء هي : اللفظ والوزن والمعنى والقافية . الشيء الأول منها الوزن وهو من أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية ، وهو يشتمل على القافية ، وجالب لها ضرورة إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيبا في التقفية لا في الوزن[1] .

والوزن هو : الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري كتابة عروضية ، أو هو الموسيقى الداخلية المتولدة من الحركات والسكنات في البيت الشعري . والوزن هو القياس الذي يتعمده الشعراء في تأليف أبياتهم ومقطوعاتهم وقصائدهم[2] .

---

[1] العمدة ، ابن رشيق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الباب : الاستعارة ، ج١ ، ص ١١٩ .

[2] المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، إيميل بديع يعقوب ، ط١ ، ١٤١هـ – ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان– ص ٤٥٨ .

والتفعيلات تكوِّن بحور الشعر المختلفة وعددها خمسة عشر بحراً ، واستدرك الأخفش بحراً آخر سماه الخبب " المتدارك "[1] .

والبحر هو الوزن الخاص الذي على مثاله يجري الشاعر ويسمى بحراً لأنه يوزن به ما لا يتناهى من الشعر ، فأشبه البحر الذي لايتناهى بما يغترف منه[2] . البحور التي تناولاها أولاً بحر الطويل :

وهو أول البحور وأطولها وأوفرها في أشعار الشاعرين هو بحر الطويل ، وسمي طويلاً لمعنيين[3] أحدهما : أنه أطول الشعر لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه "

ثمانية وأربعين حرفاً " غيره . وثانيها : أن الطويل يقع في أوائل أبياته الأوتاد وتليها الأسباب بعد ذلك ، والوتد أطول من السبب فسمي طويلاً . ووزنه[4] :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

مثال الأول قول حاتم[5] :

فلو كان ما يعطى رياءً لأمسكت   به جنبات اللوم يجذبنه

جــــذبــــــــــــــــا

---

[1] الورد الصافي من علمي العروض والقوافي ، حسن إبراهيم عمري ، الدار الفنية ، القاهرة – مصر ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م ، ص ١١ .

[2] المرشد الوافي في العروض والقوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، منشورات : محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، ص ٤٣

[3] الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق : الحساني حسن عبد الله ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م ، ص٢٢ .

[4] القواعد العروضية وأحكام القافية العربية ، محمد بن فلاح المطيري ، تقديم : سعد بن عبد العزيز مصلوح وعبد اللطيف بن محمد الخطيب ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، غراس للنشر والتوزيع ، مكتبة أهل الأثر ، الكويت ، ص ٤٠.

[5] ديوان حاتم ، ص٣٠ .

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلـــــــــــــــــــــــــن فعول مفاعلين فعولن مفاعلين

هذا قليل من كثير عند حاتم فهو نظم حوالي أربعا وثلاثين من اثنتين وخمسين قصيدة في الطويل وهذا ليس غريباً إذ إن أغلب موضوعاته دارت حول الفخر والحماسة وقيل[1] : (العرب القدماء من أطول الأمم نَفَساً في الشعر لذلك نظموا أغلب أشعارهم في الطويل والبسيط) .

هذا شيء والآخر أن لكلٍّ موضوعاته التي تشده وتؤثر عليه ويؤثر بها أي لكلِّ شاعر موضوعاته ، ولكلٍّ قوالبه التي يصبو لها ، ويصبُّ عليها ، وقيل[2] : (إن أغلب الموضوعات التي نظم فيها الشعر الجاهلي رأيناها لا تخرج عن الفخر والحماسة والمدح بما في ذلك الرثاء .. وحماسة الجاهليين وفخرهم كان من النوع الهادي الرزين الذي يتطلب التأني والتؤدة . ولذلك جاءنا في قصائد طويلة وأوزان كثيرة المقاطع ..) .

وهذا يعنى أن هناك ربطاً بين الغرض الشعري والبحر المستعمل فيه وأشار إلى ذلك عبد الله الطيب قائلاً[3] : (.. لو تأمل الناقد ودقَّق وتعمَّق فاختلاف البحور نفسه معناه أن أغراضاً مختلفة دعت إلى ذلك وإلا فقد كان أغنى بحر واحد ووزن واحد وهل يتصور في المعقول أن يصلح بحر الطويل الأول للشعر المعبِّر عن الرقص والنقزان والخفة ..) .

والإعتقاد أن هناك تناسب بين حالة الشاعر النفسية " ومستواها ودرجاتها وشدة انفعالها " . وبين البحر المعين . فربما كتب قصيدة في حالة حزن و أسى شديدين وربما كتبها في حالة استدعاء الحزن والأسى والبون بعيد جداً ، ففي الحالة الأولى :

[1] موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط٢ ، ١٩٥٢م ، ص ١٧٤ .

[2] السابق نفسه ، ص ١٧٥ .

[3] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ط ٣ ، الكويت ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٩٣ - ٩٤ .

إحساس عميق ، وشعور طبعي ، فيكون الشاعر في ذروة الاندفاع والتعبير ، ولا مجال لتؤدة ولا استمهال ، فيخرج في بحور قصيرة خفيفة – كما قيل – تناسب الحالة ليس الغرض . أما في الحالة الثانية : فمع الحزن وتوفر الشعور حتماً إلا أن الشعور يكون تطبُّعياً بعض الشيء ، وهذا ينعكس على الإندفاع والتدفق فيكون الشاعر مستمهلاً يستدعي ملكته وينتقي كلماته وأبحره ، وإن كان ما سبق تفسيره لحالة الشاعر النفسية عامة ، ومايلزمها إلا إننا نقول : إن الشاعر مزاجي من الدرجة الأولى في أغلب حالاته وليس بعيداً أن يطرب ويقصر إن كان في الحالة الأولى – حالة الحزن والاندفاع – ، ويبطئ ويطيل إن طرأت عليه الحالة الثانية والعكس .

وها هو ذا النمر بن تولب حين قيل له : كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فقال – ارتجالاً على البديهة –[١] :

أصبحت لايحمل بعضي بعضا

أشكو العروق النابيات نبضـــــــــــــــــــــــــا

كما تشكّي الأرحبي الغرضـــــــــــــــــــــــــا

كأنما كان شبابي

قرضـــا

فهل بلغ الكِبَر في ليلة وضحاها ؟ لا .. إلا أن السؤال أثار كوامن أحاسيسه ، ولامس أوتار مشاعره فاندفق دفقة في " مشطور الرجز " إذن حالة الشاعر النفسية والشعورية هما اللتان تحددان ما يكتب فيه .

فالشعرُ يوازن شعور الشاعر من فرحٍ أو حزن فيتزن ذلك الشعور ومن ثم التعبير.

---

[١] ديوان النمر ، ص ٧٩ .

ومن أمثلة بحر الطويل في شعر حاتم قوله[1] :

ولست إذا ما أحدث الدهر نكبة بأخضع ولاج بيوت الأقـــــــــــــــــــــــــــارب

إذا أوطن القوم البيوت وجدتهم عماة عن الأخبار خرق المكاسب

وشر الصعاليك الذي هم نفســــه حديث الغواني واتباع المـــــــــــــــــــــــــــآرب

وقال[2] :

نعما محل الضيف لو تعلمينه بليل إذا ما استشرفته النوابحُ

تقصى إلي الحي إما دلالــــــــــــــــــــــة علي وإما قاده لي ناصـــــــــــــــــــــــــــح

وقال[3] :

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم

ومن أكثر البحور استعمالاً عند النمر الطويل ولكن حاتما أكثر منه إذ له أربع عشرة من خمس وخمسين قصيدة في الطويل، إذن اعتمد حاتم على الطويل أكثر من غيره وموضوعاته تتيح له ذلك إذ لم تخرج عن الفخر إلا قليلاً ومما قاله في الطويل[4] :

أشاقتك أطلال دوارس من دعد خلاء مغانيها كحاشية البـــــــــــــــرد

---

[1] ديوان حاتم ، ص٣٠ .

[2] السابق نفسه ، ص٣٣ .

[3] السابق نفسه ، ص٨٦ .

[4] ديوان النمر ، ص ٥٦ .

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا كبدا مما لقيت على دعـــــــــــــــــد

ويقول[1] :

لقد أصبح البيض الغواني كأنما يرين إذا ما كنت فيهن أجربـــــــــــــــــا

وكنت إذا لاقيتهن ببلـــدة

يقلن على النكراء أهلا ومرحبـــــــــــــــــا

ولست بشيخ قد توجه دالـــــــــــــــــــــــــــف ولكن فتى من صالح القوم عقبا

إذن بحر الطويل بحر واسع ، ومما يدلك على سعته أنه يتقبل من الشعر ضروباً عدة كاد ينفرد بها عن البسيط .

" وأخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبتاره ، ومن رقة الرمل دون لينه المفرط ، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه ، وسلم من جلبة الكامل ، وكزازة الرجز ، وأفاده الطول أبهة وجلالة فهو البحر المعتدل حقاً . ونغمه من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به . وتجد دندنته مع الكلام المصوغ فيها بمنزلة الإطار الجميل من الصورة ، يزينها ولا يشغل الناظر عن حسنها شيئاً "[2] .

وقيل : " إنه ليس بين بحور الشعر بحر يضارع الطويل في نسبة شيوعه فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن "[3] .

---

[1] ديوان النمر ، ص ٣٨ .

[2] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص ٤٣٣ (بتصرف) .

[3] موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ط٢ ، ١٩٥٢م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص٥٧ .

ثانيا: بحر المديد :

سمي مديداً لأن الأسباب امتدت في أجزائه السباعية ، فصار أحدهما في أول الجزء والآخر في آخره . فلما امتدت الأسباب في أجزائه سمي " مديداً " وهو على ستة أجزاء[1] :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن   فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

وقيل إنه وزن شجي فيه تكسر وميل إلى القصر ، ولا يلائم العنف والقوة في مثل قول الشاعر[2] :

وإذا مج القنا علقـــــــــــــــــــــــــــــا   وتراءى الموت في صوره

قام في ثنيى مفاضته   أسد يدمي شبا ظفـــــــــــــــــــــــــــــره

وإنما يناسب نحو كلمته :

يا كثير النوح في الدمن   لا عليها بل على السكن

سنة العشاق واحـــــــــــــــــــــــــــدة   فإذا أحببت فاستكـــــــــــــــــــــن

ومثاله قول النمر[3] :

بكرت باللوم تلحانـــــــــــــــــــــــــــا   في بعير ضلَّ أوحانـــــــــــــــــــــــــا

---

[1] الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ٣١ .

[2] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص١٧٧ (بتصرف) .

[3] ديوان النمر ، ص ١٣٥ .

علقت لوّاً تكررهـــــــــــــــــــــا إن لوّاً ذاك أعيـــــــــــــــــــانـــــــــــــــــــــا

اعلمي أن كل مؤتمر مخطئ في الرأي أحيانا

أما حاتم فلم ينظم في بحر المديد ألبتة .

ثالثا : بحر البسيط :

وسمي بسيطاً لأن الأسباب انبسطت في أجزائه السابعية فحصل في أول كل جزء من أجزائه السباعية سببان فسمي لذلك بسيطاً ، وقيل سمي بسيطاً لانبساط الحركات في عروضه وضربه[١] وأصل تفاعيله[٢] :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وتحدث عبد الله الطيب عن الطويل والبسيط قائلاً[٣] : " هذان البحران في الشعر العربي بمنزلة السداسي عند اليونان ، والمرسل عند الإنجليز ، والمزدوج عند فرنجة القرن الثامن عشر . والبسيط منهما يحل المكان المتقدم في شعر العامي باسم " الكان كان " أو " الدوبيت " علاوة على أنه مقدم مرموق المكان بين أشعار الفصحاء " ، ومن أمثلة البسيط عند حاتم قوله[٤] :

مهلاً نوار أقلي اللوم والعـــــــــــــــــــذلا ولا تقولي لشيء فات ما فعـــــــــــــــــــــــــــــــــــلا

---

[١] الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق : الحساني حسن عبد الله ، ص٣٩ .

[٢] أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، محمود مصطفى ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص ٣٤ .

[٣] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص٤٣٥ .

[٤] ديوان حاتم ، ص ٧٣

ولا تقولي لمال كنت مهلكـــــــــــــــــــــــــه مهلا وإن كنت أعطي الجن والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله سبـــلا

وقوله[1] :

يا مال! إحدى صروف الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها بنـــزاح

يا مال! جاءت حياض المـــــــــــــــــــــــوت واردة من بين غمر فخضناه وضحضاح

ومنه قول النمر[2] :

أودي الشباب وحب الخالةِ خلبة وقد برئتُ فما بالصدر من قلبـــــــــــــــــه

وقد تثلم أنيابي وأدركنـــي قرن علي شديد فاحش الغلبـــــــــــــــــــــــــــه

وقد رمى بسراه الدهر معتمــــــــــــــــدا في المنكبين وفي الساقين والرقبه

---

[1] السابق نفسه ، ص٣٣ .

[2] ديوان النمر ، ص٣٩ – ٤٠ .

وقول حاتم[1] :

يا مال إحدى صروف الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها

بنـــزاح

وقول حاتم[2] :

ألاسبيل إلى ماء

يعارضـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــنـــــــــــــــــــــــــــي كما

يعارض ماء الأبطح الجـــــــــــــــــــــــــــــــــاري

[1] ديوان حاتم ، ص ٣٣ .

[2] السابق نفسه ، ص ٥٩ .

رابعاً : بحر الوافر :

سمي الوافر وافراً لتوفر حركاته ، لأنه ليس في الأجزاء أكثر حركات من "مفاعلتن" ومايفك منه وهو " متفاعلن " وقيل سمي وافراً لوفور أجزائه . وهو على ستة أجزاء[1] :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن   مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ومثاله قول النمر[2] :

لعمر أبيك ما لحمي بربٍّ   ولا لبني عليٍّ ولا سلائـــــــــــــــــــــي

(وفي الوافر تدفق استمده من أصله " بحر المتقارب " ، إلا أن نغمه ينبتر في آخر كل شطر ، وهذا الإنبتار شديد المفاجأة ، وله أثر عظيم جدا في نغمة الوافر – إذ يكسبها رنة قوية ليست في المتقارب –)[3] .

وحقيقة الأمر أن الوافر بحر مسرع النغمات متلاحقها ، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق ، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعا دفعا كأنه يخرجها من مضخة . لا في انثيال كما يفعل صاحب المتقارب ، ولا في رشاقة كما يفعل صاحب الكامل .

والوافر في نظم الشعراء ذو أساليب تغلب عليها الخطابة ، وأحسن ما يصلح هذا البحر في الإستعطاف ، والبكائيات ، وإظهار الغضب في معرض الهجاء ، والفخر والتفخيم في معرضا المدح . ومن هذا قول حاتم[4] :

وما من شيمتي شتم ابن عمي   وما أنا مخلف من يرتجيني

---

[1] الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ٥١ .
[2] ديوان النمر، ص٣٥ .
[3] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص ٤٠٦-٤٠٧ .
[4] ديوان حاتم ، ص ٩٠ – ٩١ .

سأمنحه على العلات حتـــــــــــــــــــــــــــــــى أرى ماوي أن لا يشتكينـــــــــــــــــــي

وكلمة حاسد في غير جرم سمعت وقلت مري فانقذيني

وعابوها علي ولم تعبنـــــــــــــــــــــــــي ولم يعرق لها يوما جبينـــــــــــــــــــــي

وذي الوجهين يلقاني طليقا وليس إذا تغيب يأتسينـــــــــــــــــــــــــــي

نظرت بعينه فكففت عنـــــــــــــــــه محافظة على حسبي ودينـــــــي

فلوميني إذا لم أقر ضيفيـــــــاً وأكرم مكرمي وأهن مهينـــــــــــــــــي

وهنا يفخر حاتم بأخلاقه الفاضلة كـــ " عفة اللسان ، والوفاء ، والعطاء ، والحلم ، والحكمة ، والشجاعة " في قالب وافري مليء بالنغم ، والجرس العذب .

خامساً : بحر الكامل :

سمي كاملاً لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره وهو على ستة أجزاء[١] :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

كقول حاتم[٢] :

ولقد بغى بجلاد أوس قومه ذلّاً وقد علمت بذلك سنبسُ

---

[١] الكافي في العروض والقوافي ، القزويني ، ص ٥٨ .

[٢] ديوان حاتم ، ص ٦٥ .

وقوله[1] :

إن كنت كارهة معيشتنـــــــــــــــــا هاتي فحلي في بني بـــــــدر

جاورتهم زمن الفساد فنعم الحيِّ في العوصاء واليسر

ويقول النمر[2] :

صرمتك جمرة واستبدَّ بدارهاوعدت عوادي الحرب دون مـــــــــــــــــــــــــزارها

ويقول أيضاً[3] :

بين البدي وبين برقة ضاحك غوث اللهيف وفارس مقـــــــــــــــــــــــــدام

ومقابر بين الرسيس وعاقـــــــــــــل درست وفيها منجبون كـــــــــــــــــــــــــرام

سادساً : بحر الرجز:

سمي رجزاً لأنه مأخوذ من قولهم : " ناقة رجزاء " إذا ارتعشت عند قيامها لضعف يلحقها أو داء فلما كان هذا الوزن فيه اضطراب سمي " رجزاً " تشبيها بذلك[4] . وسبب اضطرابه جواز حذف حرفين من كل تفعيلة من تفعيلاته وكثرة اصابته

[1] السابق نفسه ، ص ٥٤ .

[2] ديوان النمر ، ص٦٧ .

[3] السابق نفسه ، ص١١١ .

[4] الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ٧٧ (بتصرف) .

بالزحافات والعلل والشطر والنهك والجزء فهو من أكثر البحور تقلبا فلا يبقى على حال واحدة .

وقيل سمي بذلك لأن الشائع منه المشطور ذو الثلاثة أجزاء ، فهو بهذا شبيه بالراجز من الإبل وهو ما شُدَّ إحدى يديه وبقى قائماً على ثلاث قوائم[1] .

أجزاء الرجز ستة وهي[2] :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن   مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وأمثلته قليلة عند النمر أما حاتم فلم يرجز في شعره . ومثاله عند النمر[3] :

إنَّا أتيناك وقد طال

السفــر

نقود خيلا ضمَّرا فيها

عســــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

نطعمها الشحم إذا عزَّ الشجــــــــــــــــــــــــر

والخيل في إطعامها اللحم ضــــــــرر

يا قوم إني رجل عندي

خبــــــــــــــــــــــــــــــر

---

[1] المرشد الوافي في العروض والقوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، ص ٧٩ .

[2] ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، محمد الهاشمي ، ص٥٥ .

[3] ديوان النمر ، ص ٧٧ .

الله من آياته هذا

القمـــ

ــر

والشمس والشعرى وآيات أخـــــــــــــــــــــــــــــر

وقوله – أيضاً –[1] :

أصبحتُ لا يحمل بعضي بعضا

أشكو العروق النابيات

نبضـــــــــــــــــــــــا

كما تشكى الأرحبي

الغرضـــــــــــــــــــــــا

كأنما كان شبابي

فرضـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وكانوا يكثرون منه في المبارزات ، والخصومات ، والحداء وهلمَّ جرًّا ، والإيجاز أحسن في كل هذه المقامات من الإطناب .

[1] السابق نفسه ، ص ٧٩ .

سابعاً : بحر السريع[1] :

سمي بالسريع لسرعة النطق به وهذه السرعة متأتِّية من كثرة الأسباب الخفيفة ، والأسباب أسرع من الأوتاد في النطق بها .

ووزنه[2] :

مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ   مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ

لم ينظم النمر في السريع ومثاله قول حاتم[3] :

أوقد فإنَّ الليل ليل قـــــــــــــــــــــــــــر   والريح يا موقد
ريح صـــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

" والناظم فيه يحتاج إلى البطء والتأني وقد يوقعه هذا في التكلف والتقعر إن لم يلائم بين أغراضه ونغماته ، ولعل هذا الوزن في أولياته عدل به عن الرجز ليناسب الحداء بالإبل المحملة وهي تهبع بأعناقها في الصحارى الأماريت .. " .

ولذلك لم ينظم فيه حاتم سوى مقطوعة واحدة ، ولم ينظم فيه النمر ألبتة .

---

[1] المرشد الوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، ص ٨٨ .

[2] القواعد العروضية ، محمد بن فلاح المطيري ، ص ٦٧ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٥٩ .

ثامنا: بحر المنسرح :

سمي بالمنسرح لانسراحه أي لسهولته على اللسان ووزنه[1] :

مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن　　مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن

وإذا بحثت في الشعر الجاهلي لم تجد المنسرحيات فيه تخرج عن أحد الغرضين : الرثاء المراد به النوح ، والنقائض .

والرثاء إذا أريد به النوح حوى عنصراً قوياً من التأنُّث واللين ، وكيف لا والنوح إنَّما كانت تقوم به النساء ولا شكَّ أنَّهنَّ كنَّ يتخذن منه معرضاً للفتنة والتبرج ، ويقول الشاعر في هذا :

من كان مسرورا بمقتل مالك　　فليأت نسوتنا بوجه نهـــــار

يجد النساء حواسرا يندبنـــه　　يلطمن أوجههن بالأسحار

قد كن يخبأن الوجوه تستـــرا　　فاليوم حين برزن للنظـــار

وكان الحظ فيه للنمر الذي قال فيه[2] :

لايعتري شربنا اللحاء وقـــد　　توهب فينا القيان والحُلـــل

وفتية كالسيوف أحضـــرهم　　لا حصر فيهم ولا بخـــل

بيض مساميح في الشتاء وإن　　أخلف نجم عن وبله وبلوا

---

[1] المرشد الوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، ص ٩٤ .

[2] ديوان النمر ، ص ١٤٦ .

لا يتأرون في المضيـــــــــــــــق وإن نادى منادٍ أن انزلوا نزلــــــــوا

تاسعاً : بحر الخفيف :

سمي خفيفا لأن الوتد المفروق اتصلت حركته الأخيرة بحركات الأسباب فخفَّت ، وقيل : سمي خفيفا لخفته في الذوق والتقطيع لأنه يتوالى فيه لفظ ثلاثة أسباب والأسباب أخف من الأوتاد ، وهو على ستة أجزاء[1] :

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

" واختلفت أغراض هذا البحر بين طرفي الغزل والحماسة ، والمديح ، والهجاء ، والرثاء ، والفخر ومع هذا فقد كان ذا طابع واحد في جميع هذا ، من وضوح النغم واعتداله بحيث لا يبلغ حدَّ اللين ، ولا حدَّ العنف ولكن يأخذ من كلٍّ بنصيب " .

ومثاله قول حاتم[2] :

أبلغ الحارث بن عمرو بأنيَّ حافظ الودَّ مرصد للصوابِ

ومجيب دعاءه إن دعانـــــــــــــــــــي عجلا واحدا وذا أصحـــــــــــــاب

ولم ينظم النمر في هذا البحر الخفيف .

عاشراً : بحر المتقارب :

---

[1] الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ١٠٩ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٢٧ .

سمي متقارباً لتقارب أوتاده بعضها من بعض لأنه يصل بين كل وتدين سبب واحد فتتقارب الأوتاد فسمي لذلك متقارباً وهو على ثمانية أجزاء[1] ووزنه[2] :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

" بحر المتقارب سهل يسير ذو نغمة واحدة متكررة .. ، وأقل ما يقال عنه إنه بحر بسيط النغم ، مطرد التفاعيل ، منساب طبلي الموسيقى ، ويصلح لكل ما فيه تعداد للصفات ، وتلذذ بجرس الألفاظ وسرد للأحداث في نسق مستمر ، والناظم فيه لا يستطيع أن يتغافل عن دندنته فهي أظهر شيء فيه ، ولذلك فتجويد الصناعة فيه أمر مهم جداً ، وكثير من الشعراء الفحول يتحامونه لأنه يتطلب اندفاعا وراء النغم كما يندفع التيار في غيرما توقف " .

ومثاله قول حاتم[3] :

أبى طول ليلك إلا سهـــــــــــــــــــــــودا فما
إن تبين لصبح عمـــــــــــــــــــودا

أبيت كئيبا أراعي النجـــــــــــــــــــــــــوم
وأوجع من ساعدي الحديـــــــــــــــــدا

أرجي فواضل ذي بهجـــــــــــــــــــــــــــة
من الناس يجمع حزما وجودا

نمته أمامة
والحارثـــان
حتى تمهل سبقا جديـــــــــــــــــــــــــــــــدا

[1] الكافي الخطيب القزويني ، ص ١٢٩ .
[2] القواعد العروضية ، محمد بن فلاح المطيري ، ص ٨١ .
[3] ديوان حاتم ، ص ٣٩ .

كسبق الجواد غداة الرهـــــــــــــــــــان أربى على السن
شأوا مديـــــــــــدا

ومثاله قول حاتم[1] :

أبا الخيبري وأنت امـــــــــــــــــرؤٌ حسود
العشيرة شتامهــــــــــــــا

فماذا أردت إلى رمـــــــــــــــــــــة
بدوية صخب هامهـــــــــــــــــا

تبغي أذاها وإعسارهـــــــــــــــــا
وحولك غوث وأنعامهـــــــــــا

وإنا لنطعم
أضيافنـــــــــــــــــــا من الكوم
بالسيف نعتامها

ومن قول النمر[2] :

سلا عن تذكره تكتمـــــــــــــــــا وكان
رهيناً بها مغرمـــــــــــــــــا

وأقصـــــــــــــر عنها وآياتهـــــــــــــا
تذكـــــــــــــــــره داءه
الأقدمـــــــــــــا

وذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال[1] : سألت الخليل – بعد أن عمل كتاب العروض – لم سميت الطويل طويلاً ؟ . قال: لأنه طال بتمام

---

[1] السابق نفسه ، ص ٨٩ .
[2] ديوان النمر ، ص ١١٤ .

أجزائه. فقلت : فالبسيط ؟ . قال : لأنه انبسط عن مدى الطويل ، وجاء وسطه " فعلن " وآخره " فعلن" ، قلت : فالمديد ؟ . قال : لتمدد سباعيه حول خماسيه ، قلت : فالوافر ؟ . قال : لوفور أجزائه وتداً بوتد . قلت : فالكامل ؟ . قال : لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر . قلت : فالهزج ؟ . قال : لأنه يضطرب شبهه بهَزَج الصوت . قلت : فالرجز ؟ . قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام . قلت : فالرمل ؟ . قال : لأنه شبه برمل الحصير لضم بعضه إلي بعض . قلت : فالسريع ؟ . قال : لأنه يسرع على اللسان . قلت : فالمنسرح ؟ . قال : لانسراحه وسهولته . قلت : فالخفيف ؟ . قال: لأنه أخف السباعيات . قلت : فالمقتضب؟. قال : لأنه اقتضب من السريع . قلت : فالمضارع ؟ . قال : لأنه ضارع المقتضب . قلت : فالمجتث ؟ . قال : لأنه اجتث أي قطع من الطويل دائرته . قلت : فالمتقارب ؟ . قال : لتقارب أجزائه ، لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .

وهذا وصف للبحور في جملتها وعلى لسان صاحبها وواضعها ، ولأننا لم نعرض لها كلها بل ما إستخدمه الشاعران فقط مع مراعاة الترتيب لا الأغلبية في الاستخدام .

ونجد حزناً عميقاً كامناً في روح الشاعرين –ظهر في صور الموت ونحوها– وماهي إلا نفس الشاعر الحساسة وإحساسه المرهف فيحزن لفراق المحبوبة وهجر الديار وتذكر مصائب الدنيا ، وآلامها ، وآهاتها ، فيتأوه ويلفظ زفرات تلوها زفرات أحر في أبحر أشاعت هذا اللون من الشعر وهذا الإحساس فغلب عليهما الطويل و البسيط ، وقل عندهما استخدام البحور الخفيفة ك " الرجز والخفيف " أما الزحافات فذكرناها في مكانها.

---

[1] العمدة ، ابن رشيق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج١ ، ص١٣٦ .

الجـــــــــــــــــــــــداول

جدول يوضح تفاصيل البحور المستخدمة لدى الشاعرين

أولاً : حاتم :

الرقم	نوع البحر	عدد القصائد فيه	النسبة المئوية
١	البحر الطويل	٣٤	%64.2
٢	البحر البسيط	٦	%11.3
٣	البحر الوافر	٤	%7.5
٤	البحر الكامل	٣	%5.7
٥	البحر السريع	١	%1.9
٦	البحر الخفيف	١	%1.9
٧	البحر المتقارب	٤	%7.5
المجموع		٥٣	%١٠٠

البحور التي تحاماها حاتم : المديد ، والهزج ، والرجز ، والرمل ، والمنسرح ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجتث ، والمتدارك .

ثانياً : النمر :

الرقم	نوع البحر	عدد القصائد فيه	النسبة المئوية
١	بحر الطويل	١٤	%25.5
٢	بحر المديد	١	%1.8
٣	بحر البسيط	٨	%14.5
٤	بحر الوافر	١٠	%18.2
٥	بحر الكامل	١٠	%18.2
٦	بحر الرجز	٢	%3.6
٧	بحر المنسرح	١	%1.8
٨	بحر المتقارب	٩	%16.4
المجموع		٥٥	%١٠٠

البحور التي تحاماها النمر : الهزج ، والرمل ، والسريع ، والخفيف ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجتث والمتدارك .

ب: القوافي :

القفو[1] : مصدر قولك : قفا يقفو ، وهو أن يتبع شيئاً . وقفوته أقفوه قفواً وتقفية أي : اتبعته . قال الله عز وجل* : (ولا تقف ما ليس لك به علم) وقال تعالى* : (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) وقال الشاعر[2] :

وقام ابن ميَّة

يقفوهـــــــــــــــــــــــــــــــــم كما يختل

الفهدة الخاتلــة

ويقال قد قفا فلان فلاناً : أي قد رماه بالقبيح .

والقفا " مقصور" : مؤخر العنق ، ويذكَّر و يؤنث وقيل[3] :

وما المولى **وإن** عرضت قفاه بأجمل للمحامد من

حمـــــــــــــــــــار

يقول : ليس المولى وإن أتى بما يحمد عليه بأكثر من الحمار حامد .

والجمع " قِفِي" على " فعول " مثل " عصى وعِصِي " ، ويجمع في القلة على أقفاء مثل " رحى وأرحا " ، وقد جاء عنهم أقفية وهو على غير قياس لأنه جمع الممدود مثل سماء وأسمية .

---

[1] العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي ، الباب : باب القاف والفاء ، ج٥ ، ص ٢٢١ .

* سورة الإسرء ، آية ٣٦ .

* سورة الحديد ، آية ٢٧ .

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الباب (قفا) .

[3] لسان العرب ، لابن منظور ، فصل القاف ، ج١٥ ، ص ١٩٣ .

وقافية كل شيء آخره وسميت قافية البيت لأنها تتلو ما قبلها من الكلام[1] .

وبالقافية يكتمل الطرب ، وتزول بواقي الرتابة ، فيتفاعل الإنسان مع الأبيات وإن جاءت في معارض الحزن والأسى ، والألم والحسرة . وقيل : " فوجود القافية ضروري لوجود شعر دقيق في تكوينه الموسيقي ، لذلك بوسعنا أن نعتبر الشعر العربي أدق أشعار الدنيا من حيث الروعة الموسيقية ، لما يلتزمه الشاعر من قواعد في أجزاء القافية ، فضلاً عن تفاعيل البحر الذي ينظم فيه وهو ما لا تجده في عروض كثير من اللغات الأخرى" .

وفي الإصطلاح[2] : آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله وهو قول الخليل .

وعن الأخفش : إنها آخر كلمة في البيت .

وقيل : إنها حرف الروي .

والقافية في البيت الآتي[3] :

أهابك إجلالاً وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبهـــــــــــــــــــــــــــــــــا

عند الخليل : كلمة " بيبها " .

عند الأخفش : كلمة " حبيبها" .

---

[1] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق: حسن عبد الله العمري مطهر ابن علي الأرياني ، يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ودار الفكر ، دمشق – سوريا ، ط١ ، عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، الباب : قفا .

[2] المرشد الوافي في العروض ، محمد بن حسن بن عثمان – دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان– ط١– ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤ –ص ١٥٢. " بيبها " .

[3] فن التقطيع الشعري والقافية العربية ، محمد بن فلاح المطيري ، ص ١٠٤ – ١٠٨ .

إذن " القافية مجموعة أصوات في آخر الشطر أو البيت وهي كالفاصلة الموسيقية يتوقع السامع تكرارها في فترات منتظمة وبطبيعة الحال أقل عدد يمكن بل يجب تكرره من هذه المجموعة من الأصوات التي تكوَّن القافية هو حرف " الروي " وبه تعرف القصيدة من عينية ، ورائية ، ودالية ، وسينية .. " .

حروف القافية[1] : وهي ستة :

الروي ، الوصل ، الخروج ، الردف ، التأسيس ، الدخيل .

وهي إن دخلت أول القصيدة لزمت سائر أبياتها .

١- الروي : وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه ، فيقال : قصيدة ميمية أو دالية أو لامية .

٢- الوصل : وهو حرف مد ينشأ من اشباع حركة حرف الروي المتحرك فيتولد من الفتحة ألف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء وكل " هاء " تحرك ما قبلها فهي وصل .

٣- الخروج : وهو حرف مد ناتج عن اشباع حركة هاء الوصل وإن وجد لزم في القصيدة كلها ومن نماذجه قول الشاعر:

فاقنع بما قسم المليك فإنما   قسم الخلائق بيننا علامهـــــــــا (ا)

ما أحلى الوصل وأعذبـــــــــــــــــه
لــــــــــــــــولا الأيــــــــــــــــــــام
تنكــــــــــــــــــــــده (و)

ونراه يصغي للحديث بقلبه   وبسمعه ولعله أدري
بــــــــــــــــــه (ي)

---

[1] القواعد العروضية وأحكام القافية العربية ، محمد بن فلاح المطيري ، ص ١٠٤ – ١٠٨ .

٤- الردف : وهو حرف مد ولين يقع مباشرة قبل حرف الروي وهو لازم إن كان ألفاً مثل :

وما من شدة إلا سيأتـــــــــــــــــــــــــــي لها من بعد شدتها رخاء

٥- التأسيس : وهو ألف بينها وبين حرف الروي حرف متحرك .

قال الشاعر:

إذا بلغ الأمر المشورة فاستعن برأي حكيم أو نصيحة حازم

٦- الدخيل : وهو الحرف الذي بين ألف التأسيس وحرف الروي ، ولا يلزم وإنما تلزم حركته كهمزة " زائل " :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائـــــــــــــــــــــــــــل

ب: أنواع القوافي :

قسمت القوافي أقسام كثيرة منها :

القوافي المقيدة[1] :

وهي التي يكون حرف الروي فيها ساكناً . كقول سويد اليشكري[2] :

بسطت رابعة الحبل لنـــا

فوصلنا الحبل منها ما اتســــــــــــــــــــــــــــــــــــــع

ومنه قول الشاعر[3] :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهمـــــــــــــــــــــــــــا وهل أنا إلا من ربيعة أو مضـــــــــــــــــــــــــــــــر

إذا حان يوما أن يموت أبوكمـــــــــــــــــــــــا فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعـــــــــــــــــــــــــــــر

وقولا هو المرء الذي لا حريمـــــــــــــــــــــــــه أضاع ، ولا خان الصديق ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتـــــــــــــــــــــــذر

---

[1] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص ٥٣ – ٥٤ .

[2] ديوان سويد بن أبي كهل اليشكري ، تحقيق: شاكر العاشور ، مراجعة : محمد جبار المعيدي ، ط١، ١٩٧٢م ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة – العراق ، ص ٢٣ .

[3] المرشد ، ج١ ، ص ٥٥ .

ومن هذا قول حاتم[1] :

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكر وما ذاك من حب النساء ولا الأشر

ولكنني مما أصاب عشيرتـــــــــــــــي وقومي بأقران حواليهم الصبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

ليالي نمسي بين جوٍّ ومسطح نشاوى لنا من كل سائمة جـــــــــــــــــــــــــــــــزر

فياليت خير الناس حيا وميتـــــــــــــا يقول لنا خيراً ويمضي الذي ائتمـــــــــــــــر

وقال النمر[2] :

تصابى وأمسى علاه الكبـــــــــــــــر أمسى لجمرة حبل غـــرر

وشاب ولا مرحباً بالبيـــا ض والشيب من غائب ينتظر

وقال[3] :

أحار بن عمرو فؤادي خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

القوافي الذلل[4] :

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٥٥ .

[2] ديوان النمر ، ص ٦٣ .

[3] السابق نفسه ، ص ١٤٤ .

[4] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص٥٨ (بتصرف) .

وهي الباء ، والدال ، والراء ، والعين ، والميم ، والياء المتبوعة بألف الإطلاق والنون في غير تشديد أسهلها جميعا . والنونيات الجياد تكاد تعد على الأصابع ، والتاء قريبة من النون في السهولة إذا جاءت مكسورة .

القوافي النفر[1] :

هي الصاد ، والزاي ، والضاد ، والطاء ، والهاء الأصلية ، والواو . أما الزاي فجاءت فيها كلمات نادرة كزائية الخنساء في صخر[2] :

تعرقني الدهر نهسا وحـــــــــــــــــــــــزا وأوجعني الدهر قرعا وغمـــــــــــــــــــــــزا

وهي جيدة جداً . كقول الشاعر :

لا درَّ دري إذا أطعمت زائركم قرف الحتي وعندي البر مكنوز

القوافي الحوش[3] :

هي " الثاء ، والخاء ، والشين ، والظاء ، والغين ، وكلها قد ركبها الشعراء فلم يجيئوا إلا بالغث ، فالثاء كريهة ، والخاء ما دخلت شعرا إلا أفسدته وقد رويت منها أشياء كريهة، والذال مع قبحها فقد استعملت كثيرا ولم أجد في الشين شيئا يستحق الرواية إلا بيتا واحدا في قطعة أتأثم من روايته ، والظاء فظيعة ، والغين مثلها ... " .

[1] السابق نفسه ، ص ٧٥ (بتصرف) .

[2] ديوان الخنساء ، شرح: حمدو طماس ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، ص ٦٩ .

[3] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص ٧٩ .

عيوب القافي[1] :

الشاعر لابد أن يُلتزم في القافية حروفا معينة ، وحركات معينة ، إذا أخل بها وقع في عيب من عيوب القافية وهذه العيوب كثيرة أهمها أربعة :

١- التضمين : وهو ألا يستقل البيت بمعناه بل يكون المعنى مجزءاً بين بيتين وبعبارة أخرى يكون البيت الثاني مكملاً للبيت الأول في معناه وذلك كأن يرد المبتدأ أو الفعل في البيت الأول ثم يأتي الخبر أو الفاعل أو المفعول به أو ما شابهه في البيت الثاني . ومثال ذلك[2] :

وهم وردوا الجفار على تميم　　وهم اصحاب يوم عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صادقـــــات　　شهدن لهم بصدق الود منـــي

٢- الإيطاء : وهو إعادة كلمة الروي بلفظها ومعناها بعد بيتين أو ثلاثة إلى سبعة أبيات ، وهذا يدل على قلة إلمام الشاعر بمفردات اللغة ، وكلما بعدت المسافة كان أفضل .. وقيل : (يتحقق الإيطاء بتكرار الكلمة ولو بلفظها فقط) ومثال الإيطاء ، قول الشاعر:

وواضع البيت في خرساء مظلمة　　تقيد العير لا يسري بها الساري

لايخفض الزر عن أرض ألمَّ بها　　ولا يضل على مصباحه الساري

ومن ذلك أيضا قول النمر[3] :

رأت أمنا كيصا يلفف وطبـــــــــــه　　إلى الأنس البادين وهو مزمــــــــــــل

---

[1] علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ج١، ص ١٦٦ .

[2] أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، محمود مصطفى ، ج١ ، ص ١٠٢ .

[3] ديوان النمر ، ص ١٠٢ .

فلما رأت أمنا هان وجدهــــــــــــــــــــــــــــا وقالت : أبونا هكذا سوف يفعل

أرى أمنا أضحت علينا كأنما تجللها من نافض الورد أفكـــــــــــــــــــل

يود الفتى بعد اعتدال وصحــــــــــــــــة ينوء إذا رام القيام ويحمـــل

يود الفتي طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل

فالإيطاء بين " يفعل " و " يفعل " .

٣- الإقواء : وهو اختلاف المجرى الذي هو حركة الروي المطلق بكسر وضم ، كقول النابغة[١] :

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مـــــــــــــــــــزود؟

إلى أن يقول :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأســـــــــود

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بـــــــــــــه إن كان تفريق الأحبة في غد

فالروي هنا " الدال " والمجري الذي هو حركة الروي المطلق هنا هو الكسرة في جميع أبيات القصيدة عدا البيت المنتهي بكلمة " الأسود " .

٤- الإسناد : وهو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات ، كقول النمر[١] :

---

[١] ديوان النابغة الذبياني ، اعتنى به حمدي طماس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م ، ص ٣٨ .

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيح

فالمال فيه تجلة

ومهابـــة

والفقر فيه مذلة وقبـــوح

وهنا الإختلاف في الحركات " الياء " و" الواو " أما في الحروف ففي قول حاتم – قافية مقيدة –[2] :

تذكرت من وهم بن عمرو جـــــــــــــــــلادة وجرأة معداه إذا نازح بكـــر

فأبشر وقرَّ العين منك

فإننـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي أجيء كريما لاضعيفا ولاحصـــــــــــــــر

وإن وضع النقاد قواعد الشعر فهذا من قبيل المساعدة على معرفة حدود الشعر القديم وقوانينه ومن ثم المحافظة على القصيدة العربية الأصلية ومن يخرج عنها فإنه مخطئ معيب ، ولا اعتراض على مبادئ القدماء الذين رسخوا للأمة وتراثها الكثير إلا أننا نقف عند إحداها وهي " عيوب القافية " فيجب أن نتدرج في درجة قبحها وفي هذا التدرج المتنفس للشعراء فيتسع المجال لمن اضطر ونسميه " إضطرارا " لا " عيباً " لأن الذوق العام والعادة لا يألفانه أو نسميه " الإضطرار في الأوزان و القوافي " بدلاً من " عيوب القافية " خاصة لو عرض لها عرضا ولم يكثر منها فلا تنقص حينها من شاعريته ولا تقدح في ذخائره اللغوية ، والمعرفية ، والذوقية .

فإن وقفنا عند التضمين فليس عيباً كبيراً وقال في ذلك عبد الله الطيب[3] : ".. وكثيراً ما يحسن موقعه إذا كان البحر قصيراً أو كان الشعر قصصياً آخذاً بعضه

---

[1] السابق نفسه ، ص ٥٣ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٥٦ .

[3] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص٥١ .

برقاب بعض ، أو خطابياً حامياً .. وخير أمثلة التضمين في الشعر القصصي قول ابن أبي ربيعة من الرائية " أمن آل نعم " :

فبت رقيباً للرفاق على شفـــــــــــــــــــــــــــــــا أحاذر منهم من يطوق وانظر

إليهم متى يستمكن النوم فيهـــــم ولي مجلس لولا اللبانة أوعــــــــــــــر

وإن وقفنا عند الإيطاء فلا يعد من أشنعها وإن عدوه عيباً ، واستثنى هذا التكرار لأنه مرتبط بنفس الشاعر وإحساسه وعمده وقصده .

ولا أظن الشاعر يكرر إلا ما حاز شغاف فؤاده ، وملك أقطار قلبه ، فاستحوذ العقل منه .

ووضعوا القواعد هذه لكي لا يكون هناك قطع لموسيقى الأبيات واستهجان يذهب بنا عن الإستمتاع عن اللفظ والمعنى ومن ثم يقربه إلى النثر أو السجع أو غيرهما ..

والإيطاء ينبغي أن يعاب حسب درجته ولا سيما في الشعر الذاتي ذي العواطف الواضحة التدفق ، المليئة بالمشاعر ، المعبَّقة بالرهف واللطف كالغزل – مثلاً – وأتفق مع من يقول[١] : " وقد استثنوا من الإيطاء تكرار ما يستلزم ذكره كاسم الله تعالى ، واسم محمد " صلى الله عليه وسلم " ، واسم محبوبة الشاعر التي يتيم بها ، ومن أمثلة ذلك الإيطاء والتضمين المباحين ما نجده عند حاتم[٢] :

أماوى ! قد طال التجنب والهجـــــر وقد عذرتني من طلابكم العــذر

---

[١] أهدي سبيل إلى علمي الخليل ، محمود مصطفى ، ج١ ، ص ١٠٢ .

[٢] ديوان حاتم ، ص ٥٠ – ٥١ .

أماوي ! إن المال غادٍ ورائـــــــــــــــــــــــــــــح
ويبقى من المال الأحاديث والذكـــــــــــــــــر

أماوي ! إني لا أقول لسائــــــــــــــــــــــــــــــــل
إذا جاء يوما حل في مالنا نــــــــــــــــــــــــــزر

أماوي ! إما مانع
فمبيـــن
وإما عطاء لاينهنهه
الزجـــ
ـــــــــر

أماوي ! ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها
الصدر

إذا أنا دلاني الذين
أحبهـــم لملحودة زلج
جوانبها
غبـــ
ــــــــــــــر

وراحوا عجالاً ينفضون أكفهـــــــــــــــــــــــــــم يقولون
: قد دمَّى أناملنا الحفـــــــــــــــــــــــــــــــــــر

أماوي ! إن يصبح صداي بقفــــــرة من الأرض لا ماء هناك ولا
خمـــــــــــــــــــــــــــــــر

ترى أن ما أهلكت لم يك ضرني وأن يدي مما بخلت به
صفـــر

أماوي ! إني ربَّ واحد أمِّـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه
أجرت فلا قتل عليه ولا
أســـر

والتكرار هنا لا يخفى على أحد ملحوظ وملفوظ ، أما التضمين فمن قوله : " إذا أنا دلاني الذين أحبهم .. " إلى قوله : " ترى أن ما أهلكت .. " وهذا من قبيل " الشعر القصصي " الذي تحدثنا عنه آنفا .

وهذه القصيدة مليئة بالإستشهادات الكثيرة ، وعرضنا على كثير منها في حديثنا عن الأغراض الشعرية . ومن ذلك التضمين قول النمر[١] :

وذي إبل يسعى ويحسبها له   أخي نصب في سقيها ودؤوب

غدت وغدا رب سواه يسوقها   وبدل أحجارا وجال قليـــــــــــــــــــــــــــب

وأمثلة هذا كثيرة عندهما .

أما الإقواء : فقبلته الأذواق الجاهلية ولكن أذواق المحدثين ، وأكثر شعراء الإسلام نبت عنه فتجنبوه في منظوماتهم .

وقال عبد الله الطيب في ذلك[٢] : (وقد أحسَّ علماء الشعر بجمال قوافي المولدين والمجوِّدين من الإسلاميين مثل القطامي ، وذي الرمة فأرادوا أن يبالغوا في هذا التحسين بزيادة القيود وحث الشعراء على أن يلتزموا الأعراب حتى في القوافي المقيدة " الساكنة " ومثل هذا الإلتزام عسير جداً ..) ، ومن ذلك قول حاتم[٣] :

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكر   وما ذاك من حبِّ النساء ولا الأشر

---

[١] ديوان النمر ، ص ٤٤ .
[٢] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج١ ، ص ٤٤ – ٤٥ .
[٣] ديوان حاتم ، ص ٥٥ .

ولكنني مما أصاب عشيرتـــــــــــــــــــــــي وقومي بأقران حواليهم الصبـــر

ولا أجد سببا لهذا التقيد والتقييد إلا ما ذكر مسبقاً ولو أفسحنا المجال لكثر المقال ، وعم الجمال ، ولنتقيد بالقديم إن أردنا ونجدد فيه حسب حدود المنطق والذوق ، أو نصنع جديدا نرتضيه وترضى به أذواق العامة يكون لنا متنفساً ومتسعاً .

وآخرها السناد :

وحسبنا منه ما قاله عبد الله الطيب[1] : (السناد أربعة أنواع ليست بقبيحة حقا وإنما تحسن وتقبح بحسب مواقعها .. واشتراطات العلماء التي ذكروها تحكم وتعنت ليس إلا) .

واستشهد بأمثلة كثيرة مفصلة عن هذا الأمر .

والشاعران نهج القصيدة العربية القديمة وتنفسا بالمتسعات السابقة " ضرورات القوافي " وعرضنا لكل منها في مكانها ، كما استلطفا بعض القوافي دون غيرها فنظما على "الراء" أغلب قصائدهما لحلاوتها ، وخفتها ، وجرسها . وأكثر النمر من الباء سهولتها . وأقلا من الحاء والفاء ، كما أن النمر نظم على قوافٍ أكثر من حاتم .

[1] المرشد ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨ – ٥١ .

جداول توضح تفاصيل القوافي لديهما

أولاً : حاتم :

الرقم	حرف القافية	عدد استخدامه	النسبة المئوية
١	الباء	٣	%5.7
٢	التاء	٢	%3.8
٣	الحاء	٢	%3.8
٤	الدال	٩	%17.0
٥	الراء	١٤	%26.4
٦	السين	٢	%3.8
٧	العين	٤	%7.5
٨	الفاء	٢	%3.8
٩	اللام	٥	%9.4
١٠	الميم	٨	%15.1
١١	النون	٢	%3.8
	المجموع	٥٣	%١٠٠

ثانياً : النمر :

الرقم	حرف القافية	عدد استخدامه	النسبة المئوية
١	الهمزة	٢	%3.6
٢	الباء	١٠	%18.2
٣	الجيم	١	%1.8
٤	الحاء	٢	%3.6
٥	الدال	٣	%5.5
٦	الراء	١٠	%18.2
٧	الضاد	١	%1.8
٨	العين	٤	%7.3
٩	الفاء	١	%1.8
١٠	القاف	٣	%5.5
١١	اللام	٦	%10.9
١٢	الميم	٨	%14.5
١٣	النون	٤	%7.3
المجموع		٥٥	%١٠٠

المبحث الثاني

الموسيقى الداخلية

ونقصد بعض الألوان البلاغية المستخدمة لدى الشاعرين ، والموسيقى الصوتية ، والأجراس ، والترانيم التي اعترت الأبيات ، فأضفت النغم على المعنى ، وسنتحدث أولاً عن الألوان البديعية في أبيات الشاعرين ، ولكن لنعرفه أولاً :

البديع[1] لغة : من البدع : وهو إحداث شيء لم يكن من قبل خلق ، ولا ذكر ولا معرفة ، والله بديع السماوات والأرض ابتدعهما ولم يكونا قبل ذلك شيئاً يتوهمهما متوهم .

وسقاء بديع[2] : جديد .

هو علم[3] يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد إحرازه لمعاني البلاغة ، وأنواع الفصاحة ووضوح دلالته ، وجودة مطابقته .

واصطلاحاً[4] : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . وعلم البديع كما يقال[1] : (محاولة للكشف عمَّا في الأسلوب من جمال آسر، وحسن ساحر) .

---

[1] العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، الباب : باب العين والدال والباء معهما ع ب د .

[2] المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م ، الباب : باب العين و الدال والميم .

[3] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة علي بن إبراهيم الحسين العلوي الطالبي (المؤيد بالله) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ ، ج٣ ، ص ١٣٧ .

[4] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، ج٤ ، المطبعة النموذجية ، ط؟ ، ص٢ .

وتنقسم المحسنات إلى نوعين[1] :

لفظيَّة ومعنويَّة .

المحسنات اللفظية :

تفيد تحسين اللفظ أما المعنوية تفيد تحسين المعنى ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون اللفظ في ذاته من غير نظر إلى المعنى ، ولهذا استقبح في قول أبي تمام :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت   فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسن في قول أبي الفتح البستي :

ناظراه فيما جنت ناظـــــــــــــــــــــــراه   أودعاني

أمت بما أودعانـــــــــــي

لأنه في الأول لم يزدك على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها

والمحسنات اللفظية[2] : هي التي تفيد تحسين اللفظ أولا ويجيء بها تحسين المعنى تبعاً ولأن هذه المحسنات لفظية يشترط فيها بقاء هيئة الكلام كما هي دون تغيير، فإن تغيرت هيئة الكلام زالت المحسنات اللفظية .

والمحسنات اللفظية كثيرة نأخذ منها الجناس ورد العجز على الصدر .

---

[1] البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقد ، تحقيق : أحمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد ، راجعه : إبراهيم مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، عام ؟ – ص٥ .

[2] دراسات في البلاغة العربية ، عبد العاطي غريب علام ، منشورات جامعة بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٧، ص ٢٠٥ .

أوّلاً: الجناس :

ويقال له المجانسة والتجانس ، وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ، ويختلفان في المعنى .

وسنقسم الجناس إلى قسمين رئيسيين هما[1] :

١- الجناس التام :

وشرطه أن تتفق حروف اللفظين في عددها ، وترتيبها ، ونوعها ، وضبطها وهو أفضل أنواع الجناس ومثله قول حاتم[2] :

هما سألاني ما فعلت وإنني كذلك مما أحدثا أنا سائل

فقلت : ألا كيف الزمان عليكما؟ فقالا : بخير كل أرضك سائل

فكلمة " سائل " الأولى مراد منها السؤال والاستفهام ، أما الثانية فالمراد منها المسيل أو الجريان ، أي : سائل بالماء .

ومنه قول النمر :

ولا أخون ابن عمي في حليلته ولا البعيد نوى مني ولا جاري

حتى يقال إذا وريت في جدثي لقد مضى نمر عار من العار

فالمراد من " عار " الأولى الخلو والتجرد ، أما الثانية فالمراد منها " الصفة المذمومة " .

ولم يتطرق الشاعران لهذا النوع من الجناس إلا في المثالين السابقين .

---

[1] علم البديع ، محمود أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ص ١١٠ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٧٧ .

٢- الجناس غير التام :

وهو الجناس الذي يحدث بين لفظية خلاف في أحد الشروط الأربعة الواجب توافرها في الجناس التام (نوع الحروف ، وعددها ، وهيئتها ، وترتيبها) .

وأمثلة هذا كثيرة عندهما إذا قورنت بالآخر. ونأخذ الاختلاف في نوع الحروف فإما أن يكون الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج ، وإما أن يكونا متباعدين ، وإما أن يقعا في أول الكلمة ، أو وسطها ، أو آخرها . ومن هذا قول حاتم[1] :

عنينا زمانا بالتصعلك والغنى   كما الدهر في أيامه العسرُ واليسرُ

فالجناس بين كلمتي " العسر" و " اليسر" فالاختلاف في بداية الكلمة .

وقوله[2] :

وعاذلة هبَّت بليل تلومـــــــــــــــــــــــــــــــــني
وقد غاب عيوق الثريا فعـــــــــــــــــــــرَّدا

تلوم على إعطائي المال ضلة   إذا ضنَّ بالمال البخيل وصرَّدا

وقوله أيضاً[3] :

وأبرز قدري بالفضاء قليلهـــــا   يرى غير مضنون به وكثيرها

وأبلي رهن أن يكون كريمها   عقيرا أمام البيت حين أثيرهـــــــــــــا

فالجناس بين " كثيرها ، وأثيرها " ، وأثيرها : أي أهيجها لتنهض .

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٥١ .
[2] السابق نفسه ، ص ٤٠ .
[3] السابق نفسه ، ص ٦٣ .

وقوله[1] :

أبيت كئيباً أراعي النجـــــــــــــــوم وأوجع من ساعدي الحديـــــــــــــــدا

أرجي فواضل ذي بهجـــــــــــــــة من الناس يجمع حزما وجودا

نمته أمامه والحارثـــــــــــــــــــــــــان حتى تمهل سبقا جديـــــــــــــــــــــدا

كسبق الجواد غداة الرهان أربى على السن شأوا بعيـــــــــــــــدا

فالجناس واضح بين " حديدا ، وجديدا " .

ويقول أيضاً[2] :

أرى أجاً وراء الشقيـــــــــــــــــــق والصهو زوجها عامر

وقد زوجوها وقد عنست وقد أيقنوا أنها عاقـــــــــــــر

فالجناس بين " عامر ، وعاقر " فالأحرف المختلفة وقعت وسطاً .

ومن أمثلة هذا النوع عند النمر قوله[3] :

شديد وهص قليل الرهص معتدلبصفحتيه من الأنساع أندابُ

فالجناس بين " وهص ، ورهص " ، والوهص : شدة وطء الأرض ، والرهص : الغمز ، والعثار .

---

[1] السابق نفسه ، ص ٣٩ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٥٨ .

[3] ديوان النمر ، ص ٣٦ .

أودي الشباب وحب الخالة الخلبة   وقد برئت فما بالصدر من قلبه

والخلبة : الخبال والجنون ، ما به قلبه : ما به وجع ولا مكروه .

وقال[1] :

وقد تثلم أنيابي وأدركنـــــــــــــــي   قرن علي شديد فاحش الغلبة

فالجناس بين " القلبة " في البيت السابق و" الغلبة " في الأخير .

وفاحش الغلبة ، أي شديد الوطء بغلبته .

وقال[2] :

أعذرني ربَّ من حصر وعـــــــــــــــي   ومن نفس أعالجها علاجـــــــــــــا

ومن حاجات نفسي فاعصمني   فإن لمضمرات النفس حاجا

وأنت وليها وبرئت منهـــــــــــــــــــــــــــــــــــا   إليك وما قضيت فلا خلاجـــــا

فالجناس بين " علاجا ، وخلاجا " وهناك جناس في القصيدة نفسها بين كلمة " دجاجا ، وشجاجا " وذلك في قوله[3] :

وتأمرني ربيعة كل يـــوم   لأشريها وأقتني الدجاجـــا

---

[1] السابق نفسه ، ص ٣٩ .

[2] ديوان النمر ، ص ٥٠ – ٥١ .

[3] السابق نفسه ، ص ٥١ .

وما تغني الدجاجُ الضيف عني وليس بنافعي إلا نضاجـــــــــــــــــــــــــــا

أأهلكها وقد لاقيت فيهـــــــــــــــــــــــــــــــــــا مرار الطعن والضرب الشجاجا

وهناك جناس في آخر القصيدة مع أيًّ من الكلمات السابقة وذلك في قوله[1]:

وشدي في الكريهة كل يـــــــــــــــــــوم إذا الأصوات خالطت العجاجـــــــــــــــا

فكلمة " العجاجا " تجانس أي " من الكلمات " دجاجا " و" شجاجا " .

ومنه قوله النمر[2] :

لقد غدوت بصهب وهي ملهبة إلهابها كضرام النار في الشيحِ

جاءت لتسنحني يسراً فقلت لها: على يمينك إني غير مسنـــــــــــــــــوحِ

ثم استمرت تريد الريح مصعدة نحو الجنوب فعزَّتها على الريحَ

فالجناس بين " الشيح ، والريح " .

وقال[3] :

أشاقتك أطلالُ دوارس من دعـــــــــــــــد خلاء مغانيها كحاشية البـــــــــــــــردِ

---

[1] السابق نفسه ، ص ٥٢ .

[2] السابق نفسه ، ص ٥٤ .

[3] ديوان النمر ، ص ٥٧ .

أهيم بدعد ما حييت فإن أمـــــــــــــــــــــت فواكبدا مما لقيت على دعـــــــــــــــــــــدِ

على إنها قالت -عشية زرتها- : هبلت ألم ينبت لذا حلمه بعدي

ألست بشيخ قد خطمت بلحيـــــــــــــــــــــة فيقصر عن جهل الغرانقة المردِ

فالجناس هنا بين " البرد ، والمرد " ، والبرد : الثوب الموشى ، والمرد : جمع أمرد وهو الشاب الذي بلغ خروج لحيته ، وطرَّ شاربه .

ويقول[1] :

أبقي الحوادث والأيام من نمـــــــــر أسباد سيف قديم إثره بـــــــــــــــــــــــــــــادٍ

تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي

فالجناس بين " بادي ، وهادي " .

ويقول[2] :

بأغن طفل لاتصاحب غيـــــــــــــــــــــــــــــره فله عفافه درها وغـــــــــــــــــــــــــــرارها

هل تذكرين جزيت أحسن صالح أيامنا بملحية فهرارهـــــــــــــــــــــــــــــــــا

فالجناس بين " غرارها ، وهرارها " ، والغرار : ارتفاع اللبن بعد الدرة . والهرار: اسم موضوع .

---

[1] السابق نفسه ، ص ٥٨ .

[2] السابق نفسه ، ص ٧١ .

ويقول[1] :

أجزت إليه سهوب الفـــــــــــــــــــــلاة   ورحلي على جمل مسفرِ

طويل الذراع قصير الكراع   يواشك بالسبسب الأغبـــــرِ

فالجناس بين " الذراع ، والكراع " .

والاختلاف الثاني يكون في عدد الحروف ، وهذا النوع لم يورده الشاعران كثيراً وما جاء فيه قول حاتم[2] :

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه   وشق على الضيف الضعيف عقورها

فالجناس في لفظتي " الضيف ، والضعيف" والزيادة كانت في الوسط بحرف العين وهذا جناس ناقص .

والاختلاف الثالث والرابع " هيئة الحروف وترتيبها " ولم يوردهما الشاعران .

ثانيا : رد العجز عن الصدر[3] :

وهذا النوع من المحسنات اللفظية ، سماه ابن المعتز " رد أعجاز الكلام على صدورها " ، وهو يتناول موضوع لفظين بينهما علاقة خاصة في الشعر يكون أحد اللفظين في آخر البيت ، واللفظ الثاني يكون إما في صدر المصراع الأول ، أو في حشوه أو في آخره ، أو في صدر المصراع الثاني .

هذا من حيث موقع اللفظين في الشعر . أما من حيث العلاقة بين اللفظين فهي إما أن يكون اللفظين " المكررين " متفقين لفظاً ومعنى ، أو يكونا " ملحقين بالمتجانسين " أي يجمعهما الاشتقاق أوشبهه . إذن هو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول .

---

[1] ديوان النمر ، ص ٧٥ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٦٢ .

[3] علم البديع ، أحمد حسن المراغي ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

٢- ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول .

٣- ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه .

وأمثلة الأول قول حاتم[١] :

فقلت : دعيني إنما تلك عادتي   لكل كريم عادة يستعيـــــــدها

وآخر كلمة في البيت " يستعيدها " ، وافقت آخر كلمة في صدر البيت " عادتي " ، وهذا من نوع الملحقين . وقال[٢] :

لم ينسني أطلال ماوية ناســــي   ولا أكثر الماضي الذي مثله ينسى

ومن ذلك قال النمر[٣] :

وقريت في مقرى قلائص أربعا   وقريت بعد قرى قلائص أربـــــع

وقال – أيضاً –[٤] :

نعاها بالنداء لنا حـــــــزام   أحق ما يقول لنا حـــــــزام

وأمثلة الثاني قول حاتم[٥] :

أشاور نفس الجود حتى تطيعني   وأترك نفس البخل لا أستشيرها

---

[١] ديوان حاتم ، ص ٤٤ .

[٢] السابق نفسه ، ص ٦٦ .

[٣] ديوان النمر ، ص ٨٤ .

[٤] السابق نفسه ، ص١١٣ .

[٥] ديوان حاتم ، ص ٦٣ .

فالكلمة الأخيرة في البيت " أستشيرها " ، والكلمة التي جاءت في أول النص الأول هي " أشاور " .

ويقول[1] :

وسادي بها جفن السلاح وتارة إلى عدواء الجنب غير موسد

ومنه قول النمر[2] :

لا تجزعي إن منفسا أهلكتـــــــــــــــه وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

وأمثلة الثالث والأخير قول حاتم[3] :

هما سألاني مافعلت وإنـــــــــــــــي كذلك عما أحدثا أنا سائـــــــــــــــــــــــل

ويقول[4] :

وليس على ناري حجاب يكنها لمستوبص ليلا ولكن أنيرهـــــــــــــــا

ويقول[5] :

لعمرك ما أضاع بنو زيـــــــــــــــــــاد ذمار أبيهم فيمن يضيـــــــــــــــــــــــع

---

[1] ديوان حاتم ، ص٣٧ .

[2] ديوان النمر ، ص ٨٢ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٧٧ .

[4] السابق نفسه ، ص ٦٣ .

[5] السابق نفسه ، ص ٦٧ .

وقال[1]:

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن		عليك فلن تلفي لك الدهر مكرما

وقال[2] :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا		وما فيَّ إلا تلك من شيم العبد

وقال[3] :

وإن كلابي قد أهرت وعودت		قليل على من يعترينى هريرها

ويقول النمر[4] :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت		فوا كبدا مما لقيت على دعـــــــــــــد

ويقول[5] :

ومن حاجات نفسي فاعصمني		فإن لمضمرات النفس حاجـــــــــــــــــا

ويقول[6] :

ثم استمرت تريد الريح مصعدة		نحو الجنوب فعزتها على الريح

---

[1] السابق نفسه ، ص ٨٠ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٤٤ .

[3] السابق نفسه ، ص ٦٣ .

[4] ديوان النمر ، ص ٥٧ .

[5] السابق نفسه ، ص ٥٠ .

[6] السابق نفسه ، ٥٤ .

ويقول[1] :

إذا كنت في سعد وأمك منهم   غريبا فلا يغررك خالك من سعد

ويقول[2] :

ففي جسم راعيها هزال وشحبة   وضر وما من قلة اللحم يهـــــــــــزل

ويقول[3] :

فإني قد لبست العيش حتى   مللت من الحياة فقلت : قدني

وهذا الأخير من نوع الملحقين بالمتجانسين ، أي اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق . وهنا شبه اشتقاق بين " قدني " في آخر البيت و " قد " في حشوه .

وأحيانا يأتي " رد العجز على الصدر " وتكون الكلمة في آخر البيت ، والأخرى في صدر المصراع الأول من البيت ، ومن هذا قول حاتم[4] :

الله يعلم أني ذو محافظة   مالم يخني خليلي يبتغي بدلا

فإن تبدل ألفاني أخا ثقة   عف الخليقة لا نكسا ولا وكلا

ويقول[5] :

وإني لعف الفقر مشترك الغنى   وودك شكل لا يوافقه شكلـــــــــــــــــــــــــــي

---

[1] السابق نفسه ، ص ٦٠ .
[2] السابق نفسه ، ص ١٠٥ .
[3] ديوان النمر ، ص ١٣٣ .
[4] ديوان حاتم ، ص ٧٤ .
[5] السابق نفسه ، ص ٧٥ .

وشكلي شكل لا يقوم لمثلـــــــــــــــــــــــه   من الناس إلا كل ذي نيقة مثلي

ويقول[1] :

وعاذلتين هبتا بعد هجعـــــــــــــــــــــــــــــــة   تلومان متلافا مفيدا ملومـــا

تلومان لما غور النجم ضلة   فتى لا يرى الإتلاف في الحمد مغرما

ويقول[2] :

تنادي إلى جاراتها أن حاتمـــــــــــــا   أراه لعمري بعدنا قد تغيـــــــــــــــــــــــــــــــــــرا

تغيرت إني غير آت لريبـــــــــــــــــــــــــــــــــة   ولا قائل يوما لذي العرف منكـــــــــــــــــــــرا

ويقول النمر[3] :

وحمر تراها بالفناء كأنهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا   ذرى كثب قد مسها الطل من عل

عليها من الدهنا عتيق ومورة   من الحزن كلا بالمرابع تأكـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــل

وهذا من نوع شبه الاشتقاق بين " عل " و " عليها " في صدر البيت الثاني .

ولم يكثر النمر من هذا النوع ، ولحاتم النصيب الأكبر في كلِّ أنواعه .

---

[1] السابق نفسه ، ص ٨٠ .

[2] السابق نفسه ، ص ٤٨ .

[3] ديوان النمر ، ص ١٠٤ .

المحسنات المعنوية[1] :

وهي التي يكون التحسين بها راجع إلى المعنى أولاً أو بالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً . وهي كثيرة نأخذ منها نوعاً واحداً وهو " الطباق " لكثرة وروده ، ووجوده عن شاعرينا .

والطباق : ويسمى المطابقة ، والتكافؤ ، والتضاد .

في اللغة : وضع طبق على طبق ، كوضع غطاء القدر منكفئاً على فم القدر حتى يغطيه بإحكام .

واصطلاحا : هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى ، وهما قد يكونا اسمين ، أو فعلين ، أو حرفين ، أو مختلفين .

والطباق ينقسم إلى قسمين :

طباق ايجاب وطباق سلب .

ومن الأول قول حاتم[2] :

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

ويقول[3] :

أماوي ! إما مانع فمبيـــــــــــــــن وإما عطاء لا ينهنهه الزجـــــــــــــــــــــــــــــــــر

فالطباق بين " غاد ، ورائح " ، و" مانع ، وعطاء " . ويقول :

---

[1] دراسات في البلاغة العربية ، عبد العاطي غريب علام ، ص ١٦٠ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

[3] السابق نفسه ، ص ٥٠ .

عنينا زمانا بالتصعلك والغنـــــــــــــــــــــــــــى كما الدهر في أيامه العسر واليسر

كسينا صروف الدهر لينا وغلظة وكلا سقاناه بكأسيهما الدهـــر

طابق بين " التصعلك ، والغنى " و " العسر ، واليسر " و " اللين ، والغلظة " .

ومن طباق الإيجاب عند النمر قوله[1] :

ترى أن ما أبقيت لم أك ربـــــــــه وأن الذي أمضيت كان نصيبي

ويقول[2] :

وتأمرني ربيعة كل يـــــــــــــــــــــــــــــوم لأشريها وأقتني الدجاجــا

ويقول[3] :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيح

فالمال فيه تجلة ومهابـــة

والفقر فيه مذلة وقبـــــــــــــــــــــــــــــــوح

والطباق فيما سبق بين " أبقيت ، وأمضيت " و " أشريها ، وأقتني " و " تجلة ، ومذلة " .

---

[1] ديوان النمر ، ص ٤٤ .

[2] السابق نفسه ، ص ٥١ .

[3] السابق نفسه ، ص ٥٣ .

أما طباق السلب فأمثلته عند حاتم قوله[1] :

إذا مابت أختل عرس جاري ليخفيني الظلام فلا خفيـــــــــــــــــــــــت

وقوله[2] :

وحتى تركت العائدات يعدنه ينادين لا تبعد وقلت له : ابعد

ومن أمثلته عند النمر قوله[3] :

لا تجزعي إن منفسا أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعـــــــــي

فالطباق بين " لا تجزعي ، واجزعي " . ويقول[4] – أيضاً – :

وقد كنت لا تشوى سهامي رمية فقد جعلت تشوى سهامي وتنصل

فالطباق بين " لا تشوى ، وتشوى " . والطباق من أكثر أبواب البديع وروداً عندهما ولا سيما حاتم ، فذكراه بأنواعه المختلفة ، وأوردنا أكثرها عند الشاعرين .

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٣١ .

[2] السابق نفسه ، ص ٣٧ .

[3] ديوان النمر ، ص ٨٤ .

[4] السابق نفسه ، ص ١٠١ .

الفصل الثاني

الصورة الشعرية

يعبر الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره في صور حقيقية واقعية أو خيالية وهمية ، وإما أن تكون صورة واحدة يجمع فيها إحساسه ، أو صوراً متفرقة تتحد في تكوين صورة كاملة . ولما عني علم البيان بدراسة الصورة أردنا التمهيد له وعرضه بشيء من التعريف.

فكلمة[١] " البيان" تدل في معناها اللغوي على الوضوح ، والإبانة سواء في القول الملفوظ أو المكتوب أو الإشارة أو الهيئة التي يبدو عليها الشيء ، وقد ظل مصطلح " البيان " لفترة طويلة من الزمان متسعاً لمعانٍ كثيرة منها الإعراب عما في النفس من خواطر وأفكار ، ومنها مضاهاة معنى الفصاحة والبلاغة في جمال التعبير ، وتمام الدلالة . ثم تطور البحث البلاغي فأصبح " البيان " علماً من علوم البلاغة .

---

[١] علم البيان ، محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م ، ص ١٣ .

المبحث الأول

التشبيه

نبدأ بالتشبيه إذ إنه من أكثر كلام الناس نثرا وشعرا ، وقيل[1] : " .. إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبَّه ولا بغيره من كل الجهات ، إذا كان الشيئان تشابها من جميع الوجوه ، ولم يقع بينهما تغاير ألبتة اتحدا فصار الإثنان واحداً . فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ، ويوصفان بها ، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد " .

وللعلماء والباحثين في علوم العربية اهتمامات كبيرة بهذا العلم لما فيه من سعة ومتعة ، ومن أبرزهم الجاحظ الذي تنبه إلى طرفي التشبيه ، وإلى ما في التشبيه من تأثير وجداني ، وأنه عرف التشبيه المقلوب ، وأن وجه الشبه يكون في أظهر الصفات في المشبه به ، وعرف من أدوات التشبيه " الكاف ، وكأن ، ومثل وغيرها " .

قال أبو العباس المبرد[2] : العرب تشبه على أربعة أضرب :

تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه : وهو أخشن الكلام .

ومن طريف التشبيه قول حاتم[3] :

يقمص دهداق البضيع كأنـــــــــــــــــــــــــه رؤوس
القطا الكدر الدقاق الحناجرِ

---

[1] نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، الباب : نعت التشبيه .

[2] الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الباب: حديث أبي النجم العجلي مع هشام .

[3] ديوان حاتم ، ص ٥٣ .

كأن ضلوع الجنب في فورانهـــــــــــــــــا اذا استحمشت
أيدي نساء حواســــــــــــــــــرِ

إذا استنزلت كانت هدايا وطعمة ولم تختزن دون العيون
النواظـــــــــــــــــــــــرِ

كأن رياح اللحم حين تغطمطت رياح عبير بين أيدي
العواطـــــــــــــــــــــــــــرِ

والشاعر الجاهلي يفترض أن الشعر ليس مجرد القدرة على نظم كلمات موزونة مقفاه بقدر ما هو قدرة على دقة الوصف والتشبيه . والوصف يعني القدرة على تصوير الأشياء في هيئة تشبيهات دقيقة قادرة على تقديمها للمتلقى[١] " . ومن أجمل صور التشبيه عند حاتم قوله[٢] :

وعرجلة شعث الرؤوس كأنهـــــــــــــــــــم بنو الجن لم
تطبخ بقدر جـــــــــــــــــزورها

فشبه أولئك الرجال في شدتهم ، وتأهبهم ، وبأسهم بالجن ، والتشبيه هنا ليس " بليغاً" ، إذ إنه مكتمل الأركان ، إلا أن وصفه هنا وصف بليغ بل في غاية البلاغة ومنتهاها ، لماذا ؟ لا أظن أحداً يأتي بوصف لهيأة أولئك الأقوام أبلغ من وصفه لهم بالجن في تأهبهم وهيأتهم ، وشعثهم ، وغبرتهم ، وتجردهم ، وتفردهم ، وشراستهم ، وعدم القدرة على الإتيان بمثلهم ، فإن شبههم بأناس أيًّاً كانوا فهم أقل من الجن الذين يتمتعون بقدرات أعلى من كل البشر.

---

[١] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، ص ١٠٤ .

[٢] ديوان حاتم ، ص ٦٤ .

وقيل : إن النعمان حينما أسر رهط حاتم واستوهبهم حاتم فوهب له بني امرئ القيس ابن عدي ولم يهبهم بني عبد شمس قال حاتم[1] :

اتبع بني عبد شمس أمر صاحبهـــــــم   أهلي فدؤاك إن ضروا وإن نفعوا

لا تجعلنا – أبيت اللعن – ضاحكة   كمعشر صلموا الآذان أو جدعوا

أو كالجناح إذا سُلَّت قوادمـــــــــــــــــــــــــــــــــــه   صار الجناح لفضل الريش يتبع

شبه حالة نقصهم هذه بقوم بلا أنوف أو بلا آذان ، نقص نفسي وعضوي إذن هم بالنسبة لهم ركن مهم جدًّاً .

وشبَّه حالهم في البيت الثالث بالجناح الذي فقد أهم عناصره التي تساعده على القيام والطيران ألا وهو القوادم .

وحاتم لم يفرط في تشبيهاته ولم يقل : إنهم لايستطيعون العيش بدونهم ولكنما يعتريهم النقص والعجز فقط .

ومن أمثلة التشبيه قول النمر[2] :

وفتية كالسيوف أحضـــــــــــــــــــــــرهم   لا حصر فيهم ولا بَخَـــــــــــــــــــــــــــــلُ

وقيل في مثل هذا التشبيه " إفراط " ، ولا أرى إفراطاً في هذا أو ما هو في حكمه . ولن أقول : إن أعذب الشعر أكذبه ؛ لأن الكذب ممقوت أينما وجد وحيثما حلَّ إلا أنه

---

[1] السابق نفسه ، ص ٦٩ .

[2] ديوان النمر ، ص ١٤٦ .

من الصدق أن نقول : الشاعر يرى بإحساسه ويحسُّ بعاطفته المميزة فيبصر الأشياء بعدسة حقيقية مكبرة فيصف ، ويمدح ، ويتغزل ، ويشبه أنى شاء .

وأمثلة التشبيه كثيرة عند النمر وأبرزها وأجملها التي شبه فيها زوجته ومحبوبته " جمرة " بروضة غنَّاء ، وحديقة وارفة الظلال .. شبه فأمتع ، ووصف فأبدع ، ومن ذلك قوله[1] :

كأن جمرة أو عزت لها شبهـــــــــــــــاً   في العين يوم تلاقينا بأرمـــــــــــــــــــــــــــــــــامِ

ميثاء جاد عليها مسبل هطـــــــــــــــل   فأمرعت لاحتيال فرط أعـــــــــــــــــــــــــــــوامِ

إذا يجف تراها بلها ديـــــــــــــــــــــــــــم   من كوكب نزل بالماء سجـــــــــــــــــــــــــــــــامِ

لم يرعها أحد وارتبها زمـــــــــــــــــــــنا   فأوٌ من الأرض محفوف بأعـــــــــــــــــلامِ

تسمع للطير في حافاتها زجلا   كأن أصواتها أصوات جـــــــــــــــــــــــــــــــرامِ

كأن ريح خزاماها وحنوتهـــــــــــــــــا   بالليل ريح يلنجوج وأهضـــــــــــــــــــــــــــــامِ

وفي هذه الأبيات أكثر من تشبيه ففي البيت الأول ذكر أداة التشبيه " كأن " إذ شبه زوجه بالروضة ، وذلك من نوع تشبيه المفرد بالمركب ، وفي البيت الخامس تشبيه

[1] السابق نفسه ، ص ١٢٦ – ١٢٨ .

مفرد بمفرد ، والبيت السادس تشبيه متعدد بمتعدد ، فقد شبه رائحة الخزامى ، والحنوة باليلنجوج، والأهضام ، وقيل من جيد التشبيه قوله في إعراض المرأة[1] :

فصدت كأن الشمس تحت قناعها　　　بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل : هو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، وأخذه عنه قيس بن الخطيم وزاد فيه قائلاً :

كان المنى بلقائهـــــــــــــــــــــــــــــا
فلقيتهـــــــــــــــــــــــــا　　　ولهوت من لهو امرئ
مكذوبـــــــــــــــــــــــــــــــي

فرأيت مثل الشمس عن طلوعها　　　في الحسن أو كدنوها
لغـــــــــــــــــــــــــــــــروب

وأمثلة التشبيه لا تفصيل فيها ومنها نأتي لما حذفت فيه الأداة ، ووجه الشبه ألا وهو " التشبيه البليغ " ، ومنه قول حاتم – مادحاً بني زياد – أبيات بمعنى قوله السابق "عراجلة .."[2] :

بنو جنية ولدت سيوفـــــــــــــــــــــــا　　　صوارم كلها ذكر صنيعُ

وشبه النمر سابقا الفتية بالسيوف ، وفي نفس القصيدة أتى بالتشبيه البليغ قائلاً – بعد تلك الأبيات مباشرة –[3] :

---

[1] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري ، ج١ ، ص ٥٣٨ .
– ديوان النمر ، ٤٢ .
[2] ديوان حاتم ، ص ٦٧ .
[3] ديوان النمر ، ص ١٤٧ .

بيضٌ مساميحُ في الشتاء وإن أخلف نجم عن وبله وبـــــــــــــــــلوا

أراد أنهم أنقياء من العيوب ، أسخياء ، كالغيث للناس إذ أجدبوا ، ولنا أن نقول : إن تشبيهات حاتم وأوصافه كانت قصيرة ، مكررة ، متداولة في كلامهم نثراً وشعراً ، ولم يأت فيها بجديد متفرد يذكر ، وتنبئ عن ضعفه في مهارة الوصف في الأغراض عدا الفخر والحماسة وقلة مقدرته على التصوير كما في تشبيهه رائحة اللحم بالعبير في قوله[1]:

كأن رياح اللحم حين تغطمطت رياح عبير بين أيدي العواطر

تشبيه خالٍ من البراعة يعكس مستوى قدراته الوصفية . وفي هذه القصيدة ذاتها أمثلة أخرى لهذا الموضوع .

وكذلك قوله[2] :

أتعرف أطلالا ونؤياً مهدما كخطك في رق كتاباً منمنما

فهذه المعاني مكررة لم يات فيها بجديد يذكر ، وكان حري به أن يبرز من براعة الوصف ألواناً تنأى به عن السابقين واللاحقين . وهو يمتلك من الأدوات الرائعة والموضوعات الشائقة ما يكفي ولا سيما إذا شحذ قريحته الأصيلة ، ومقدراته ووجهها نحو هذا الأمر حتى يكون غرض الوصف منه يوازي وصفه وتصويره في الفخر والحماسة .

وعن البيت الأخير الذكر فهو من المعاني المكررة ولكن (قد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر فتشترك الجماعة في الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن أو تأكد يوضع موضعه ،

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٥٣ .

[2] السابق نفسه ، ٧٩ .

أو زيادة اهتدى لها دون غيره فيترك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع[1]) .

ومن أصحاب المعنى السابق امرؤ القيس الذي يقول[2] :

لمن طلل أبصرته فشجـــــــــــــــــــــاني كخط زبور في عسيب يماني

ولكن حاتماً في بيته التالي يقول[3] :

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً وأياماً وحولاً مجرمـــــــــــــــــــا

الترتيب في العجز غير سليم ، كيف تأتي الشهور قبل الأيام ؟ كان أجدر به أن يقول :

إذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً أيا صحبي وحولاً مجرماً

ويخرج بندائه عن خطأ يؤاخذه عليه النقاد والعامة .

أما النمر فصاغ من الحكم شواهد وأوصافاً كأنما هي صور متحركة صاغها بكل تفاصيلها الدقيقة ويظهر ذلك في (قصة الوَعْل) التي صوَّر فيها ملاحقة القدر للمرء أنى ذهب ، قائلاً[4] :

فلو أن من حتفه ناجيـــــــــــــــــــــــــا لألفيته الصدع الأعصمـــــــــا

---

[1] الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضي الجرحاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الباب: السرقات الشعرية .

[2] الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الباب : السرقات الشعرية .

[3] ديوان حاتم ، ص ٧٩ .

[4] ديوان النمر ، ص ١١٨ – ١١٩ .

بإسبيل ألقت به أمـــــــــــــــــــــــــــــــه على رأس ذي حبك أيهمـــا

إذا شاء طالع مسجـــــــــــــــــــــــــورة ترى حولها النبع والساسما

يكون لأعدائه مجهـــــــــــــــــــــــــلا مضلا وكانت له معلمـــــــــــــــــا

سقتها الرواعد من صيف وإن من خريف فلن يعدمـــا

أتاح له الدهر ذا وفضـــــــــــة يقلب في كفه أسهمـــــــــــــــــــــــــــــــا

فراقبه وهو في قتـــــــــــــــــــــــــــــــرة وما كان يرهب أن يكلمـــــــــــــا

فأرسل سهما له أهزعـــــــــــــــا فشك نواهقه والفمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

فريغ الغرار على قـــــــــــــــــــــدرة وما كان يرهب أن يكلمـــــــــا

فظل يشب كأن الولـــــــــــــــــــــــو ع كان بصحبته مغرمـــــــــــــــــا

المبحث الثاني

الإستعارة

هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه . وتريد أن تقول : (رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء) فتدع ذلك وتقول : (رأيت أسداً)[1] ، ومن ذلك وقول حاتم[2] :

قطعتُ بمرداة كأن نسوعها   تشدُّ على قرم علندي مخاطرِ

" والمرداة " الصخرة ، يريد قطعت بناقة شديدة كالمرداة . وقال النمر:

قطعت بسمحة كالفحل عجلى   مواشكة اذا جنح الأصـــــــيل

سمحت الناقة : أي انقادت فأسرعت فحذف الناقة واستعار صفتها " سمحت " .

وقال ابن جني[3] : " الاستعارة لا تكون إلَّا للمبالغة وإلا فهي حقيقة " . وعقَّب على هذا الكلام صاحب العمدة قائلاً : " وكلام ابن جني حسن في موضعه ، لأن الشيء إذا أعطى وصف نفسه لم يسم استعارة ، فإذا أعطى وصف غيره سمى استعارة ، لأنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ، ولا يقربها كثيراً حتى يحقق ، ولكن خير الأمور أوسطها " . ومن المبالغات قول حاتم[4] :

يامال ! جاءت حياض الموت واردة من بين غمر فخضناه وضحضاح

---

[1] دلائل الإعجار ، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني ، القاهرة – مصر ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، ص ٦٧ .

[2] ديوان حاتم ، ص٥٣ .

[3] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، الباب : ذكر المعاظلة والتثبيج .

[4] ديوان حاتم ، ص ٣٣ .

إذ جعل للموت حياض ماء يردها الناس . وقال الجرجاني[1] : " الاستعمارة أن يريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه ، ومن ذلك استعارة لفظ القمر للنبي " صلى الله عليه وسلم " في قول النمر[2] :

اللهُ من آياته هذا القمر

أراد النبي " صلى الله عليه وسلم " فحذف المشبه وأتى بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية .

ومن قوله[3] :

رأت أمنا كيصاً يلفف وطبة   على الأنس البادين وهو مزملُ

ومما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا إلى أن يلحق الشكل بالشكل وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد .

ومن ذلك استعارة السحاب للوعد ، استعار السحاب للوعد وشبه الوعد بالضباب واستعار " الصحو" للإخلاف وانتهاء الوعد كما استعار " هطول الغيم وجوده " للإيفاء ، والضباب للإخلاف والصحو للإيفاء .

فالاستعارة وإعمال الفكر هنا أضفى على المعنى جمالاً آخر. وذلك في قول حاتم :

ألا أخلفت سوداء منك المواعد   ودون الذي أملت منها الفـــــــــــــــــراقد

[1] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، الباب : ذكر المعاظلة والتثبيج .

[2] ديوان النمر ، ص ٧٧ .

[3] السابق نفسه ، ١٠٢ .

تمنيننا غدوا وغيمكم غـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدا

ضباب فلا صحو ولا الغيم جائد

ولم تكن الاستعارة عندهم أكثر من الكناية ، فأكثرا منها بأنواعها .

المبحث الثالث

الكناية

الكناية مصدر كنى يكني ، وكنيته تكنية حسنة ، ولامها واو وياء ، يقال : كناه يكنيه ويكنوه ، والكنية بالأب أو بالأم وفلان يكنى بأبي عبد الله وفلانة تكنى بأم فلان[1] : والكناية مقوله على ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره وقال الشاعر :

وإني لأكنو عن قدور بغيرها وأعرب أحيانا بها وأصارح

والكناية[2] : هي الإرداف بعينه – عند علماء البيان – ، والكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى ردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه .

مثال ذلك قولهم " طويل النجاد كثير الرماد " يعنون بذلك أنه طويل القامة ، كثير القِرى .

---

[1] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله ، الناشر : المكتبة العنصرية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤٢٣هـ ، ج١ ، ص ١٨٦ .

[2] خزانة الأدب وغاية الإرب ، ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، تحقيق : عصام شيقو ، دار مكتبة هلال ، بيروت – لبنان ، دار البحار ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤م ، الباب : ذكر الكناية .

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أنواع باعتبار المكنى عنه[1] :

النوع الأول : يكون المكنى عنه صفة من الصفات كالكرم أو الشجاعة أو العفة ومن هذا عند حاتم قوله[2] :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها   لتشرب مافي الحوض قبل الركائب

والكناية هنا عن صفة ألا وهي " الإيثار " .

ومن قول النمر[3] :

سواء عليها الشيخ لم تدر ما الصِّبا   إذا ما رأته والألوف المقتــــــل

كناية عن أدبها وعفتها .

النوع الثانى : يكون المكنى عنه نسبة يزاد بها إثبات الصفة للشيء بإثباتها لما يلابسه ويعد جزءاً منه . ومن ذلك قول الشاعر:

يبيت بمنجاة عن اللوم بيتها   إذا ما بيوت بالملامة حلـــــــت

فقد نفى اللوم عن بيتها وهو نفى اللوم عن شخصها ، فهي تتجنب كل ما يسيء إلى بيتها ويوجه إليه اللوم . ومن ذلك قول حاتم[4] :

بلاد امرئ لا يعرف الذمُ بيته   له المشرب الصافي وليس له الكدرُ

النوع الثالث[1] : لا يكون المكنى عنه صفة أو نسبة بل هي كناية الموصوف بشرط أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ، كقول الشاعر:

---

[1] علم البيان ، مصطفى هدارة ، ص ٨٣ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٢٩ .

[3] ديوان النمر ، ص ٩٧ .

[4] ديوان حاتم ، ص ٥٦ .

الضاربين بكل أبيض مخدم والطاعنين مجامع الأضغان

فقد كنى بمجامع الأضغان عن القلوب وهي الموصوف ، ولا تكون الأضغان أو عاطفة الكره إلا بها .

وتنقسم الكناية إلى[2] :

١- كناية قريبة : فهي الكناية التي قلت لوازمها الذهنية أو كانت فيها العلاقة أو الملابسة بين المكنى به والمكنى عنه أمراً لاتتدخل فيه وسائط عدد ، وهذه الكناية تكون في العادة واضحة ظاهرة ، يسهل على معظم الناس إدراك المقصود منها ، ومن ذلك قول حاتم[3] :

وإني وإن طال الثواء لميت ويعطمني ماوي بيت مثقفُ

كناية عن " القبر" . وكثيرا ما يكنى عن القبر ومن ذلك قوله[4] :

ولا تشقين فيه فيسعـــد
وارث به حين تخشى أغبر اللون مظلمـــا

يقسمه غنما ويشري
كرامـــة وقد صرت في خط
من الأرض أعظما

في قوله : " أغبر اللون " أراد " القبر " ، والنمر كنى عن القبر ببيت واحد قائلاً[5]
:

---

[1] علم البيان ، هدارة ، ٨٤ .

[2] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ج١ ، ص ١٣٧ – ١٣٨
.

[3] ديوان حاتم ، ص ٧١ .

[4] السابق نفسه ، ص ٨٠ .

[5] ديوان النمر ، ص ٤٤ .

غدت وغدا ربُ سواه يسوقها   وبدل أحجارا وجال قليـــــــــــــــــــــــب

٢- كناية بعيدة : وهي التي كثرت لوازمها الذهنية ، أو كانت فيها العلاقة أو الملابسة بين المكنى به والمكنى عنه تتدخل فيه وسائط متعددة .

ومثل هذا يحتاج إلى تأمل وتفكير ومن هذا قولنا : " كثير الرماد " وكثرة الرماد تستلزم كثرة إيقاد النيران ، وكثرة إيقاد النيران تدل على الطبخ ، وكثرة الطبخ تدل على كثرة الآكلين ، وكثرة الآكلين عند الرجل تدل على احتفائه بالضيوف ، وهذا يدل على جوده وكرمه .

كانت أشعار حاتم والنمر واضحة ، وكلماتهما قريبة الفهم ، واستخدما من ألوان البلاغة أسهلها ، وأيسرها فهما فلا يحتاج قارؤها لإعمال فكر ، ولا استجماع فهم ، فاستخدما من أنواع الكنايات " أقربها " ومن " البعيدة " استخدم حاتم الجارية على ألسنة الناس كـــ " إذا ما بخيل الناس هرَّت كلابه ... " ، ومثله كثير ولم يكن للنمر حظ منها . ومن أمثلة الكناية القريبة قول حاتم[١] :

متى يأت يوماً وارثي يبتغي الغنى   يجد جمع كفَّ غير ملءٍ ولا صفْرِ

ففي قوله : " غير ملء ولا صفر " كناية عن التوسط .

ويقول تلو البيت السابق :

يجد فرساً مثل العنان وصارمـــــــــــــــــاً   حساماً إذا ما هُزَّ لم يرض بالهبرِ

وقوله : " إذا ما هزَّ لم يرض بالهبر" كناية عن الحدة والقوة .

[١] ديوان حاتم ، ص ٤٦ .

وقوله[1] :

ولستُ إذا ما أحدث الدهر نكبة   بأخضع ولاَّج بيوت الأقـــــــــــــــــــــــــــــارِبِ

وفي عجر البيت كناية عن " الشجاعة " وربما العفة ، والطهر ، وحفظ الأقارب في غيبتهم لأن هذا المعنى كثيراً ما يتناوله حاتم في ثنايا قصائده .

وقال[2] :

فما رمته حتى أزحت عويصه   وحتى علاه حالك اللون أسودُ

وقوله : " حالك اللون أسود " كناية عن الدم .

وقال[3] :

ينام الضحى حتى إذا ليله استوى   تنبه مثلوج الفؤاد مورَّمـــــــــــــــــــــــــا

وقوله : " مثلوج الفؤاد " كناية عن الكسل وعدم الهمة .

وغير هذه الأمثلة كثير أما النمر فقال " من الكنايات القريبة "[4] :

وكل خليلٍ عليه الرعـــــــــــــــــــــــــــــــا   ث والحبلات كذوب مـــــــــــــــــــــــــــــــلق

فقوله : " عليه الرعاث والحبلات " كناية عن النساء .

---

[1] السابق نفسه ، ص ٣٠ .

[2] السابق نفسه ، ص ٣٥ .

[3] السابق نفسه ، ص ٨٢ .

[4] ديوان النمر ، ص٩١ .

وقوله[1] :

لا يعلم اللامعات اللامحات ضحى   ما تحت كشحي ولا يعلمن أســــــــــــــراري

حاتم يكني عن عفته بأن النساء لا يعرفنه ، ولا يعرفن أسراره .

وقال[2] :

وقد كنت لاتشوى سهامي رمية   فقد جعلت تشوى سهامي وتنصلُ

كناية عن الكبر ، والضعف ، والوهن الذي أصابه بعد صحة وعافية .

وهناك كنايات بعيدة كثيرة الوسائط بين المكنى به والمكنى عنه إلا أنها واضحة غير خفية لتداولها أو لوضوح الوسائط فيها . ومن ذلك قول حاتم[3] :

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه   وشقَّ على الضيف الضعيف عقورها

فإني جبان الكلب بيتي موطـــــــــــأ   أجود إذا ما النفس شح ضمــــــــــــــــيرها

وإن كلابي قد أهرت وعـــــــــــــودت   قليل على من يعتريني هريــــــــــــــــرها

فقد كنى عن جوده وكثرة قراه للأضياف بجبن الكلب ، ونباحه الزوار ، أمر هو طبيعة في الكلاب ولكن لما كثر الزوار اعتادهم الكلب . وربما سئم وتعب فتخلى عن عادته ، وكثرة هؤلاء الزوار دلالة على أن صاحب الدار قبلة للقاصي والداني ، ومن هذا إلى أنه يقري الأضياف ، ومنه إلى صفة الجود .

---

[1] السابق نفسه ، ص ٧٤ .

[2] السابق نفسه ، ص ١٠١ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٦٢ – ٦٣ .

ومن قول حاتم[1] :

نعَّما محلّ الضيف لو تعلمينه بليل إذا ما استشرفته النوابـــــــــــحُ

إذن الكلب ينبح كدليل على مكان صاحبه ، ولكن لا ينبح الزوار ليطردهم .

وقال حاتم – أيضاً –[2] :

لما رأيت الناس هرت كلابهــــــم ضربت بسيفي ساق أفعى فخرت

وقوله : " هرَّت كلابهم " كناية عن البخل ، أي ينبح الكلب الزوار ومن ثم يبتعد الزوار خوفاً على أنفسهم فينقطع عنهم الزائر فيصيرون بأنفسهم في الدار لايطعمون ولا يسقون ومن هنا نصل إلى صفة البخل .

وإن كان النمر حسن التشبيهات ، عميق الأوصاف ، والاستعارات فحاتم له حظ من الكناية فاقه فيه قليلاً ، وما عرضنا عليه إنَّما نماذج ترينا جوانب من استخدامهما لتلك الفنون البلاغية .

[1] ديوان حاتم ، ص ٣٣ .

[2] السابق نفسه ، ص ٣٢ .

الفصل الثالث

بناء القصيدة

القصيدة العربية :

من المؤكد أن القصيدة العربية مرت بأطوار عديدة إلى أن وصلتنا بهذه الطريقة المهذبة ، المنمقة ، المتزنة ، ولا نسلم بأن امرأ القيس ، و المهلهل من ابتكراها – وأفاض في هذا الأمر النقاد قديمهم وحديثهم[١] – .

كما لا يمكننا تحديد مبتكر لها ، ولكن نقول إن القصيدة العربية استوت عند هؤلاء وفي عصرهم ، فعدت فترتهم البداية الأساسية الناضجة للقصيدة العربية ، ونرجع هذا لعوامل عديدة منها ما كان متصلاً باللغات ، أو المعاني ، أو الديانات وقيل[٢] : (.. وجدت في الشعر عوامل أسرعت به إلى الإتقان ، والنضوج . فقد تغلبت لهجة قريش على اللهجات الأخرى ، وأصبحت لغة الشعراء من جميع القبائل ، واهتدى العرب إلى تفاعيل ، وأعاريض كثيرة نظموا منها أشعارهم . ذلك من حيث اللغة ، أما من حيث المعاني فقد حدثت في شبه جزيرة العرب أحداث سياسية عند العرب ، وكثرت رحلاتهم إلى البلاد المتاخمة ، وكثرت تبعاً لذلك مشاهداتهم ، وتسربت إلى داخل شبه الجزيرة الوثنية ، وتعاليم مسيحية ، ويهودية " ، وارتقت حياة العرب المادية بعض الشيء واشتعلت الحروب .. فمن مجموع هذه العوامل ولد الشاعر الناضج صاحب الكلمات المتزنة ، والأخيلة الواسعة ، والمدارك المتفتحة ، والمقدرات الكبيرة ، وكان الرجز ثم القصيدة بل المعلقات ، أو المطولات التي تحمل نظاماً معيناً من المعاني والموضوعات .

---

[١] انظر تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي" ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢٢ ، القاهرة – مصر ، ص ١٨٦ .

[٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه أحمد إبراهيم ، ط؟ ، ١٩٣٧ ، ص ١٦ .

(ونرى[1] أصحاب هذه القصائد يفتتحونها غالباً بوصف الأطلال ، وبكاء آثار الديار ثم يصفون رحلاتهم في الصحراء ، وما يركبونه من إبل ، وخيل ويمضون في تصويراتهم ثم يخرجون إلى الغرض من قصيدتهم مديحاً أو هجاءً ، أو فخراً أو عتاباً ، واعتذاراً أو رثاءً) .

كما أن القصيدة العربية اتسمت بالتعدد في أغراضها ، وموضوعاتها ، وفنونها واتفق في هذا كل الشعراء الجاهليين وأغلب من أتى بعدهم .

وإذا نظرنا إلى القصيدة العربية ككل لوجدناها مجموعة من القواعد ، والقوانين الإنسانية مرتبة ترتيباً تعرّفه العرب جيلاً تلو جيل حتى صار ديدنا ذُمَّ كلٌّ من خرج عنه . ومنهم من شبه القصيدة العربية بالإنسان في اتصال أجزائه ببعض ، وقيل[2] : (.. إذا قدمت مؤخراً ثم أخَّرت مقدماً أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما لو حوِّل الرأس موضع اليد أو اليد موضع الرجل) . إذن هي ثلاثة أجزاء رئيسة : مبدأ ، وخروج ، وخاتمة .

---

[1] تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي" ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، دار المعارف ، ج١ ، ص ١٨٣ .

[2] فن التحرير العربي – ضوابطه وأنماطه– ، محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر و التوزيع ، حائل – السعودية ، ط٥ ، عام ١٤٢٢ – ٢٠٠١م ، ج١ ، ص ١١١ .

المبحث الأول

المطلع

وهو أول المبدأ وأول المقدمة وهو البداية ، والمفتتح ، والواجهة للبيت يعكس فيه الشاعر مقدراته ، ومستواه ، ودرجته من النظم ومع ضرورته " المعنوية " ، فهو وسيلة لجذب السامع ، وترغيبه على السمع ، والإضغاء ، وهو تهيئة ، وتمهيد به يستقطب القراء ، والسامعين فيطلعهم على ما يريد " حكماً ووصايا ، ومدحاً ، وفخراً ، وحماسة ..)، وبه يصل إلى ما يصبو في أرقى أسلوب ، وأكمل صورة ، ويكون القارئ أو السامع في غاية البسطة والهدوء .

ولما للمطلع من مكانة مُيِّز وأطلقت عليه الآراء والأحكام فمنها ما هو موضوعي ومنها ما دون ذلك .

ووضعوا له القواعد والقوانين ، ومنهم من قال[1] : (فينبغي للشاعر أن يحترز في مفتتح أشعاره مما يُتطيَّر به ، أو ما يستجفى من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ، ووصف إقفار الديار ، وتشتت الألّاف ، ونعي الشباب ، وذم الزمان ، ولاسيما في القصائد التي تتضمن التهاني ، وتستعمل هذه المعاني في المراثي ، ووصف الخطوب الحادثة حذراً أن يتطير السامع ، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه) .

ومنهم من لخَّص وعلَّق على قول ابن قتيبة – في هذا الموضوع – قائلاً[2] : (.. ولكن لابد للشاعر قبل الدخول في الموضوع المقصود من التمهيد للطلب لهذا بذكر الديار والآثار..) إذن ينبغي أن يكون المطلع ، والمقدمة بأكملهما مناسبين للممهد له والمراد التحدث عنه .

---

[1] من النقد والأدب ، أحمد أحمد بدوي (المجموعة الخامسة) ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٥ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ص ١٥٦ .

[2] مفاهيم في الأدب والنقد ، حكمت علي الألوسي ، مطبعة دار التاليف ، بغداد – العراق ، عام ١٩٧٦م – ١٩٧٧م ، ص ٩٦ – ٩٧ .

وينبغي أن تكون حدود المطلع " رقَّة اللفظ وعذوبته ، وقوته ، وصدقه " ، وكل من ذلك في موضعه الذي يليق به ، ويتأتّي معه . ومن المعايير التي وضعت للمطلع[1] :

١- أن يكون المطلع مطابقاً ومناسباً للموقف ، ولذلك عاب النقاد على الشاعر ذي الرُّمة* مطلع قصيدته التي مدح بها الخليفة إذ قال :

مابال عَيْنكَ مِنْها الماء يَنْسَكِب　　　كأنَّه مِنْ كُلىً مَفرِيَّةٍ سَرِبُ

واتهموه بفساد الذوق ، لأن المقام مقام مدح ، ومثل هذا المعيار ينبغي أن يكون في القصيدة كلها ، وليس مقتصراً على المطلع .

٢- أن يكون قويَّاً وله روعة ، كقول أبي تمام :

السيف أصدق أنباءً من الكتب　　　في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

وقولنا فيه كقولنا في المعيار السابق ، وينبغي أن يضيفوا عنصراً أهم مع القوة والروعة وهو أن يكون " جذاباً " فهذه الصفة تميِّزه كمطلع ومفتتح للكلام .

٣- أن يكون المطلع خالياً من التعقيد ، فقد عاب النقاد قول المتنبي[2] :

أرقٌ على أَرقِ ومِثْلِيَ يَأْرَقُ　　　وجَوىً يزيدُ وعبرة تترقرقُ

والتعقيد مذموم في كل الكلام منثوره ومنظومه ، وليس هذا مختصاً بالمطلع وحده ، فمن النقاد من آخذ على التعقيد حتى داخل القصيدة وهم كُثُر ، والأمثلة كثر، ومنها ما هو عند أبي الطيب نفسه حينما قال[1] :

---

[1] قضايا النقد القديم ، محمد صايل حمدان و عبد المعطي نمر موسى و معاذ السرطاوي ، ط١ ، عام ١٤٠٤ – ١٩٩٠م ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد – الأردن ، ص ٧١ – ٧٢ .

*غيلان بن عقبة .

[2] ديوان المتنبي ، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي ، ج١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧ه – ١٩٨٦م ، ص ٧٣ .

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا　　　قلاقل عيس كلهن قلاقل

٤- أن يكون المطلع خالياً من الأخطاء النحوية ، وعابوا على المتنبي قوله[٢] :

هذي برزت لنا فهجتِ رسيسا　　　ثم انصرفت وماشفيتِ نسيسا

٥- أن يكون المطلع نادراً انفرد الشاعر باختراعه كقول المتنبي[٣] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان　　　هو أول وهي المحلُ الثاني

ومن العناصر السابقة ما هو " حكم عام " ولا نخص به المطلع فحسب ، فينبغي أن يكون المقال مناسباً المقام ، وأن تكون أبيات القصيدة قوية ورائعة ، وغير معقدة ولا تحوي أخطاءً نحوية أو صرفية أو لغوية .. ، وتكون الألفاظ والمعاني مبتكرة قدر المستطاع ، كل هذا مسلَّم به لكن أحسب أنه ليس بمقدورنا أن نضع قواعد محددة ونحصرها لتمكن الشاعر من الإتيان بمطلع مستوف للشروط .

وربما استوفى مطلع الشاعر كلَّ ما سبق من شروط ومع هذا يُحكم له بالجودة ، إذن هذه المسألة مع ما سبق ذكره منوطة بالقلب ، والذوق المحض ليس إلا ، وما ذكر أساسيات عامة وليست معايير خاصة بالمطلع – مثلاً – أخذ على المتنبي يقوله :

أرق على أرقٍ ومثلي يـــــــــــــــــأرق　　　وجوىً يزيد وعبرة تترقـــــــــــــــــرقُ

وأرى فيه جمالاً أخَّاذاً ، ورقَّة متناهية ، وإحساساً عذباً يخترق شغاف القلوب ، مع حلاوة الجرس ، ورقة النغم ، وليس المطلع وحده بل القصيدة بأكملها ، وصدق من قال : " لولا اشتعال النار فيما جاورت .. " .

---

[٢] السابق نفسه ، ص ٢٩٣ .

[٢] ديوان المتنبي ، البرقوقي ، ج١ ، ص ٣٠١ .

[٣] السابق نفسه ، ص ٣٠٧ .

والمتنبي أحسن في المقدمة بأكملها وجعل لها قدراً وبسطة في النسيب ، وانتقل إلى غير هذا من الموضوعات بطريقة رائعة لائقة .

وهناك من قال[1]: (.. فإن الشعر قفل أوله مفتاحه ، ينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة ، وليتجنب " ألا " و" خليلي" و" قد" ، فلا يستكثر منها في ابتدائه ، فإنها من علامات الضعف والتكلان ، لا للقدماء الذين جروا على عرفه وعملوا على شاكلة ..) .

كيف لحروف كـــ " ألا " و" قد " وكلمة كـــ " خليلي " أن تكون مقياساً لجودة بيت بأكمله بيت له حظه من المعاني والصور والايحاءات ؟ وكيف نحكم على بيت كامل وما حوى من أفكار ومعانٍ بالضعف والتكلان لمجرد كلمة أو حرف أتيا في أوله ؟ .

لا عقل ولا منطق يرتضي هذا من جهة المعني ، أما إذا نظرنا إلى جانب محاكاة الأقدمين وما إلى ذلك ، فهذا أمر خاض فيه من خاض فللأقدمين نصيب من الأنصار وللمحدثين نصيب . والعمل الأدبي قديمه وحديثه له قواعده وأحكامه ، والحكم الأول والأخير هو" الذوق " فربما خرج إلى أشياء خالف فيها القواعد والقوانين العامة ، وانفرد المتذوق بقانونه الخاص ونظرته الفردية وذوقه الذاتي .

لم تكن للقصيدة عندهما أجزاء كما في القصيدة العربية القديمة لأن الغالب على شعريهما المقطوعات القصيرة ، ولكن أحياناً يبدءان بعض قصائدهما بـــ " الوقوف على الأطلال ، ووصف الديار ، وذكر الشيب والكبر ، ووصف الدهر" ومن أمثلة ابتدائهما بالوقوف على الأطلال ووصفها والحنين إليها قول حاتم[2] :

أتعرف أطلالاً ونؤياً مهدمـــــــــــــــــــــــــــا كخطك في رقٍ كتاباً منمنما

---

[1] العمدة ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج١ ، ص ٢١٨ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٧٩ .

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً وأياماً وحولا مجرمـــــــــــــــــــــا

وقال[1] :

أرسماً جديداً من نوار تعرف تسائله إذ ليس بالدار موقفُ

وقال النمر[2] :

أشاقتك أطلال دوراس من دعد خلاء مغانيها كحاشية البردِ

وقال[3] :

تأبد من أطلال جمرة مأســـــــــــــــــــــــــل وقد أقفرت منها شراء فيذبـــــــــــــل

وفي عذل العاذلات والرد على لومهن يقول حاتم[4] :

وعاذلة هبت بليل تلومنـــــــــــــــــــــــــــي وقد غاب عيوق الثريا فعـــــــــــــــــــــــــــردا

تلوم على إعطائي المال ضلة إذا ضن بالمال البخيل وصـــــــــــــــردا

تقول : ألا أمسك عليك فإننــــــي أرى المال عند الممسكين معبـــــدا

ذريني وحالي إن مالك وافـــــــــــــــــــــر وكل امرىء جاري على ما تعودا

---

[1] السابق نفسه ، ص ٤٧ .
[2] ديوان النمر ، ص ٥٦ .
[3] السابق نفسه ، ص ٩٤ .
[1] ديوان حاتم ، ص ٤١ .

وقال حاتم – أيضاً –[1] :

مهلاً نوار أقلي اللوم والعـــــــــــــــــذلا ولا تقولي لشيء فات ما فعـــــــــــــــــــــــــــل

ولا تقولي لمال كنت مهلكـــــــــــــــــــــــه مهلا وإن كنت أعطي الجن والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله سبـــــــــــــــــــــــــــلا

وقال – أيضاً –[2] :

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة بعيدا نآني صاحبي وقريبـــــــــــــــــــــــــي

ترى أن ما أبقيت لم أك ربـــــــــــــــه وأن الذي أمضيت كان نصيبـــــــــــــي

وقال[3] :

قالت لتعذلني من الليل اسمع سفها تبيتك الملامة فاهجعي

لا تعجلي لغد وأمر غد لـــــــــــــــــــــه أتعجلين الشر ما لم تمنعـــــــــــــي

وقال حاتم أيضاً – في الغزل والتشبيب –[4] :

أماوي! قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني من طلابكم العذر

---

[1] السابق نفسه ، ص ٧٣ .
[2] ديوان النمر ، ص ٤٣ .
[3] السابق نفسه ، ص ٨٢ .
[4] ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

وقال[1] :

صحا القلب من سلمى ومن أم عامر وكنت أراني عنهما غير صابر

وقال النمر[2] :

صرمتك جمرة واستبد بدارهـــــــــــــــــــا وعدت عوادي الحرب دون مزارها

وقال أيضاً[3] :

ألم بصحبتي وهم هجـــــــــــــود خيال طارق من أم حصــــــــــــــــــــن

وعن ذكر الكبر يقول النمر[4] :

تصابى وأمسى علاه الكبـــــــــــــر وأمسى لجمرة حبـــــــــــــــل غـــــــــــــرر

وعن وصف الدهر يقول حاتم[5] :

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد كذاك الزمان بيننا يتـــــــــــــــــــــــــــردد

---

[1] السابق نفسه ، ص ٥٢ .

[2] ديوان النمر ، ص ٦٧ .

[3] السابق نفسه ، ص١٣١ .

[4] السابق نفسه ، ص ١١٤ .

[5] ديوان حاتم ، ص ٦٣ .

يرد علينا ليلة بعد

يومهـــا فلا نحن ما نبقى ولا الدهر ينفد

وما سبق إحصاء لمقدماتهما وتفصيل من الأكثر ، إلى القليل ، فالأقل . وامتازت مقدماتهما بالجودة إلا أنها قليلة وها نحن قد حصرناها فيما سبق .

المبحث الثاني

الخروج

وكانوا ينتقلون من المقدمة إلى الموضوع المراد التحدث عنه بطريقة سلسة ويسمى هذا " تخلصاً " أو " خروجاً " وهو " أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تتمادى فيما خرجت إليه[1] " وكانت العرب حينما تريد الخروج من غرض إلى آخر تقول: " دع ذا " أو " دع عنك .. " وغيره .

وامرؤ القيس أول من قال[2] : " دع ذا " في الخروج عن النسيب إلى المديح وغيره .

أو هو الانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود برابطة تجعل المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض بحيث لا يشعر السامع بالإنتقال من نسيب إلى مدح أو غيره لشدة الإلتئام والانسجام " ، ومن ذلك قصيدة حاتم " إن الجواد يرى في ماله سبلا " والتي ابتدرها بالنوار لائماً وعاذلاً ، وتحدث فيها عن البخيل وصفاته ، يقول حاتم في مطلعها[3]:

مهلاً نوار أقلي اللوم والعـــــــــــــــــــــــــــــذلا
ولا تقولي لشئ فات ما فعـــــــــــــــــــلا

ولا تقولي لمالٍ كنت مهلكه مهلاً   وإن كنت أعطي الجن والخبلا

وأتى بأبيات متحدثاً فيها عن البخيل قائلاً :

يسعى الفتى وحمام الموت يدركه   وكل يوم يدنى للفتى الأجـــــــــــــــــــــــــلا

---

[1] العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج١ ، ص ٢٣٤ .

[2] الأوئل ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، الناشر: دار البشير ، طنطا – مصر ، ط١ ، عام ١٤٠٨هـــ ، ج١ ، ص ٤٣٧ .

[3] ديوان حاتم ، ص٧٣ .

إني لأعلم أني سوف يدركنـــــــــــــــــــــــــــــــي
يومي وأصبح عن دنياي مشتغلا

فليت شعري وليت غير مدركـــــــــــــــــــــــة لأي حال بها
أضحى بنو ثعـــــــــــــــــــلا

وهذه الأبيات الأخيرة كانت أبيات انتقال ، انتقل فيها الشاعر من مقدمته " العذلية الوصفية " إلى وصيته لقومه وعشيرته " بنو ثعل " وأحسبه أحسن التخلص في هذه الأبيات .

من التخلص قول النمر [1] :

قالت لتعذلني من الليل اسمع سفهاً تبيتك الملامة فاهجعي

لا تعجلي لغدٍ وأمر غد لـــــــــــــــــــــــه أتعجلين الشر ما
لم تمنعـــــــــــــــــــــي

قامت تبكي أن سبأت لفيتـــــــــــــــــــــة زقاً وخابية بعود
مقطـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــع

واستمر في حواره مع زوجته في بقية الأبيات .

ولكن حاتماً لم يجد التخلص وقفز قفزة واضحة من المطلع إلى بيت الحكمة فهو يقول [2] :

أرسماً جديداً من نوار تعـــــــــــــــــــــــرف تسائله إذ ليس
بالدار مـــــــــــــــــــــــــــوقفُ

تبغ ابن عم الصدق حيث لقيته فإن ابن عم السوء إن سر يخلفُ

---

[1] ديوان النمر ، ص ٨٢ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٧٠ .

وإني لأقري الضيف قبل سؤالـــــــه وأطعن قدماً والألسنة ترعـــــــــــــــــــــــــــفُ

وقيل[1] : " من حسن الخروج عن بكاء الطلل ، وصف الإبل ، وتحمل الأظعان وفراق الجيران – بغير دع ذا ، وعد عن ذا ، واذكر كذا ، بل من صدر إلى عجز لا يتعده إلى سواه ولا يقرنه بغيره " ، ومما استشهدوا به قول حاتم الطائي – يمدح بني بدر[2]:

إن كنت كارهة معيشتنا هاتي فحلِّي في بني بدرِ

والقصيدة العربية القديمة تحمل عدداً من الموضوعات والأغراض الشعرية فخراً ومدحاً ، ورثاءً وغير ذلك " حيث كانوا يروحون عن أنفسهم ، وسامعيهم بهذا الاستطراد الجميل ، وبتعداد نواحي القصيدة ومراميها تكون أشد أثراً وسحراً[3] " . إذن القصيدة طويلة، فحاتم له تسع قصائد فوق الخمسة عشر بيتاً ، أما النمر فله ست قصائد طويلة " فوق الخمسة عشر بيتاً " وما دون ذلك قصائد ومقطوعات ، ومنهجهما في هذه القصائد :

- يبتدءان – أحيانا – بالبدايات التقليدية القديمة .
- لاينتقلان بين موضوعاتهما بـــ " دع عنك ، واترك ذا ، ودع ذا .. " .
- غلب على أشعارهما الموضوع أو الغرض الواحد ولا سيما حاتم .
- يتخلصان بطريقة سلسة بين موضوعاتهما وأفكارهما داخل القصيدة .

---

[1] قواعد الشعر ، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، أبو العباس ، المعروف بـــ " ثعلب" ، تحقيق: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة – مصر ، ط٢ ، عام ١٩٩٥م ، الباب : حسن الخروج .

[2] ديوان حاتم ، ص ٥٤ .

[3] العمدة ، لابن رشيق ، ج١ ، ص٢٣٩ .

وحدثت للقصيدة تطورات عديدة ، وصار الشعراء ينظمون في غرض واحد ، ولكن احتفظوا ببعض ملامح القصيدة القديمة ولا سيما المطالع والبدايات ، ومن هذا ينبغي أن يحدث تطور دلالي لمصطلح " التخلص " وأرى أنه من الدقة أن نعيد تعريفه قائلين عنه – مثلاً – : " هو التنقل بين الأفكار المختلفة داخل الغرض الواحد " ، أو أي تعريف آخر يناسب مفهوم التخلص الحديث .

المبحث الثالث

الخاتمة

والشاعر يلمح بأفكاره أو يصرِّح بها داخل قصيدته ، ويأتي في الخاتمة بخلاصة ما يريد مع مراعاة الإنسياب بين الأول والأخير، وعلى الشاعر أن يعطي الخاتمة حظاً من الإهتمام ، فكما قلنا إن للمطلع أهميته وأثره في نفس السامع كذلك الخاتمة لاتنقص من ذلك شيئاً إذ أنها آخر شيء يبقى في الآذان ، وآخر الكلام ألصق بالجنان ، وذلك لأن الشاعر الحاذق يأتي فيها بالحكم الشافية ، والعبارات الكافية ، والكلمات المقدرة على المعاني .

ومنهم من عرف الإنتهاء قائلاً[١] : (هو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قُفْلاً عليه) . والنمر يحسن ختم قصائده ومن ذلك قصيدته " سلا عن تذكره تكتما .. " وقصيدته " ألمَّ بصحبتي وهم هجود .. " .

كل ذلك رغبة في أخذ العفو ، وإسقاط الكلفة ، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله – يصف السيل عند شدة المطر –[٢] :

كأن السباع فيه غرقى غديَّة　　　　بأرجائه القصوى أنابيش عُنصلِ

ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنَفْس بها متعلقة ، وفيها راغبة مشتهية ، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة ، ونجد مثل هذا في قصيدة " ظل عفاتي مكرمين " والتي يقول حاتم في آخرها[٣] :

ألا ليت أن الموت كان حمامه　　　　ليالي حل الحيُّ أكناف حابر

---

[١] العمدة ، لابن رشيق ، ج١ ، ص ٢٣٩ .

[٢] السابق نفسه ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

[٣] ديوان حاتم ، ص ٥٣ .

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه   حثيثا ولا أرعى إلى قول زاجرِ

ودوية قفر تعاوى سباعها   عواء اليتامى في حذار التراتر

قطعت بمرداة كأن نسوعها   تشد على قرم علندي مخاطر

ومن ذلك قول النمر متحدثاً مع زوجته التي تعذله على العطاء قائلاً[1] :

لا تطرديهم عن فراشي إنَّه   لابدَّ يوماً أن سيخلو مضجعي

هلا سألت بعادياء

وبيته   والخل والخمر التي لم تمنع

وفتاتهم عنز عشية آنست   من بعد مرأى في الفضاء ومسمعِ

قالت أرى رجلاً يقلب نعله   أصلاً وجو آمن لم يفزع

فكأن صالح أهل جو عدوة   صبحوا بذيفان السمام المنقع

كانوا كأنعم من رأيت فأصبحوا   يلوون زاد الراكب المتمتع

---

[1] ديوان النمر ، ص ٨٥ – ٨٧ .

ورأت مقدمة الخميس وقبلـــــــــــــــــــــــــــــــه رقص
الركاب إلى الصباح بتبع

قالت يمامة احملوني قائمـــــــــــــــــــــــــــــــاً إن تبعثوه
باركاً بي أضـــــــــــــــــــــــــــــــــرع

والغالب على أشعارهم القطع ، والمقطوعات القصيرة والتي لايحتاجون فيها لأجزاء وأقسام .

المبحث الرابع

وحدة القصيدة

(وليس هناك وحدة عضوية في القصيدة الجاهلية بأي شكل من الأشكال ، ولأنه لا صلة فكرية بين أجزائها فالوحدة فيها خارجية لا رباط فيها إلا من ناحية خيال الشاعر ، وحالته النفسية ولكن نقصد بالوحدة العضوية وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، ومايستلزم ذلك من ترتيب الصور ، والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهى إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار ، والصور على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحيَّة ، ولكل جزء وظيفته فيها ، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر)[1] .

ومثال اختلال بنية القصيدة رثاء أم السليك لولدها[2] :

والمنايا رصـــــــــــــــــد   للفتى حيث سلك

أي شيء حسن   للفتى لم يك لـــــــــــــــــك

كل شيء قاتــــــــل   حين تلقى أجـــــــــــــلك

طال ما قد نلت   في غير كدٍ أملـــــك

فإن هناك ربطاً بين البيت الثالث والأول ، وكذلك بين الرابع والثاني على حين لا تبدو الصلة بين البيت الأول والثاني ، والثالث والرابع .

ومما سبق عرفنا أن القصيدة موضوعات متعددة ، وأجزاء مرتبة وفق قواعد بعينها ، وتكوِّن مجموع الأبيات فكرته ومراده ، ومن ثم تتحقق الوحدة الموضوعية في

---

[1] النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة – مصر ، دار ومطابع الشعب، عام ١٩٦٣م ، ص ٤٠١–٤٠٣ " بتصرف " .

[2] ديوان حاتم ، ص ٦٩ .

القصيدة ، فأي إخلال بترتيب الأبيات أو حذف يوهم أو يفسد أحياناً فتختل المعاني المرجوة ، ومثل هذا وجدناه عند حاتم إذ يقول[1] :

إن عدياً إذا ملكت جانبهــا من أمر غوث على مرأى ومستمع

ثم قال :

أتبع بني عبد شمس أمر صاحبهم أهلـــــــــــــي فداؤك إن ضروا وإن نفعوا

فجواب " إذا " محذوف ، وربما يكون مفقوداً سقط كما سقط الكثير من أشعار العرب ، وكذلك النمر لم يسلم فهو يقول – مخاطباً من يحب[2] – :

على أنها قالت – عشية زرتها –: هبلت ألم ينبت لذا حلمه بعــــــــــــــــــدِ

ألست بشيخ قد خطمت بلحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــة فيقصر عن جهل الغرانقة المردِ

وإني كما قد تعلمين لأتقـــي تقاي وأعطي من تلادي للحمدِ

فهناك جواب غير موجود بين البيتين الثاني والثالث وكان عليه أن يقول – مثلاً– :

ألست بشيخ قد خطمت بلحية فيقصر عن جهل الغرانقة المردِ

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٩ .

[2] ديوان النمر ، ص ٥٧ .

بلى إنني شيخ سبته يدُ الهوى   فبات يعاني جاهداً جمرة البعـــــــــــــدِ

وللخروج من مثل هذه القواعد المحكمة دعا البعض إلى وحدة البيت الواحد في القصيدة " وهذا يعني استقلاله استقلالاً تاماً في تركيبه ، وبنائه عن سابقه وعن لاحقه ، وهذا لايعين الذاكرة على حفظ القصيدة بأكملها بل ربما كان سبباً في حدوث شيء من الخلط في نظام القصيدة ، ومواضع الأبيات فيها مما يظهر القصيدة في بعض الأحيان مختلطة مضطربة في الترتيب والنظام ، ومن المعلوم أنه كلما تماسكت أجزاء القصيدة .. كانت أشد بناءً وأحكم نسجاً فتجيء القصيدة كلاً واحداً كالسلسلة الواحدة المتصلة الحلقات[1] " .

ولكن هناك من نادى بوحدة البيت وقيل : (من العيب الواضح عند قدامة الناقد احتياج البيت إلى آخر ليتم معناه ، فالمعنى يطول عن أن تحتمل العروض تمامه في بيت واحد ، فيقطعه الشاعر بالقافية ويتمه في البيت الذي يليه[2]) .

ونجد مثل هذا عند حاتم إذ إن جل موضوعاته واحدة معروفة ينتقل من طريقة إلى أخرى ، ولكن المعاني العامة مشتركة إلا أن كل بيت يمثل وحدة بذاتها[3] :

إذا مات منا سيِّد قام بعـــــــــــــــــــــــده   نظير له يغني غناه ويخلفُ

وإني لأقري الضيف قبل سؤاله   وأطعن قدماً والألسنة ترعـــــفُ

وإني لأخزى أن ترى بي بطنة   وجارات بيتي طاويات ونحفُ

---

[1] في تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، طبعة دار التراث الأول ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ج١ ، ص ٢٨٨ .

[2] في النقد الأدبي ، علي علي مصطفى صبح ، د ط ؟ ، ط؟ ، ج١ ، ص ٤٨ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٧٠ .

أما النمر فامتاز بالوحدة الموضوعية ، والتماسك في مقطوعاته ، حتى في قصائده الطويلة فهو يجيد القصص الشعري ، وبارع في الحكاية ، فتفوق على حاتم في هذا الجانب . ومن نماذجه قوله في قصة " عنز " :

هلا سألت بعادياء وبيتـــــــــــــــه
والخل الخمر التي لم
تمنـــــــــــــــع

وفتاتهم عنز عشية آنســـــــــــــــت
من بعد مرأى في الفضاء ومسمع

قالت أرى رجلا يقلب نعلـــــــــــــه
أصلا وجو آمن لم
يفـــــــــــــــ
زع

فكأن صالح أهل جو غـــــــــــــدوة صبحوا
بذيفان السمام المنقـــــــــــــع

كانوا كأنعم من رأيت فأصبحوا يلوون زاد الراكب
المتمتـــــــــــــع

الفصل الرابع

المبحث الأول – اللغة

المطلب الأول : الظواهر اللغوية :

مما عرضنا من أشعار لكلا الشاعرين وجدنا الكثير من الألفاظ المكررة ، وربما يكون تفسير هذا قرب الشخصيتين ، واتفاقهما في الصفات ، فاتفقت تبعاً لذلك قوالبهما الشعرية ، واستخداماتهما الكلامية ، فأكثرا من استخدام أدوات الشرط[1] ولاسيما " إذا " فيقول حاتم – أكثر استخدامه في الفخر[2] – :

إذا كان بعض المال رباً لأهله   فإني بحمد الله مالي مـــــــــــعبَّدُ

ويقول في نفس القصيدة[3] :

إذا ما البخيلُ الخبُّ أخمد ناره   أقول لمن يصلى بناري أوقدوا

ويقول[4] :

إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد   بفضل الغنى ألفيت مالك حامدُ

ويقول[5] :

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له   أكيلاً فإني لستُ آكله وحدي

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٢٧-٢٩-٣٠-٣١-٣٥-٣٨-٤٠-٤٥-٤٦-٤٨-٤٩-٥٠- ٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٦-٥٨-٥٩-٦١-٦٢-٦٣-٦٦-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٨-٨٠-٨١-٨٢-٣-٨٤-٩١.

[2] السابق نفسه ، ص٣٥ .

[3] السابق نفسه ، ص ٣٥ .

[4] السابق نفسه ، ص ٣٨ .

[5] السابق نفسه ، ص ٤٣ .

ويقول[1] :

إذا الريح جاءت من أمام أخائف وألوت بأطناب البيوت صدورهــــــــــــــــــــــــــا

فإنا نهين المال في غير ظنـــــــــــــــــــــــة وما تشتكينا في السنين ضريرهــــــــــــــــــــــــــــا

إذا ما بخيل الناس هرت كلابـــــــــــــــــــه وشق على الضيف الضعيف عقورها

فإني جبان الكلب بيتي موطـــــــــــــــــــــأ أجودُ إذا ما النفس شحَّ ضميـــــــــــــــــــــــــــــرها

أما النمر فأكثر منها[2] كذلك ولكن أغراضه أكثر تنوعاً ، فهو يقول[3] :

فإذا أتاني إخوتي فدعيهم يتعللوا في العيش أو يلهوا معي

ويقول[4] :

إذا كنت في سعد وأمك منهم غريباً فلا يغررك خالك من سعدِ

ويقول[5] :

وخرق إذا مانام طافت حوله طوف الكعاب على جنوب دوارها

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٦٢ .

[2] ديوان النمر ، ص ٣٨ – ٤٣ – ٤٤ – ٤٨ – ٦١ – ٧٢ – ٨٧ – ٩٩ – ١٠٤ – ١٠٥ – ١٠٦ – ١٠٨ – ١١٠ – ١١٦ – ١١٧ – ١١٨ – ١٢٢ – ١٣٢ – ١٣٥ – ١٣٦ –١٤٧ – ١٤٨ .

[3] السابق نفسه ، ٨٤ .

[4] السابق نفسه ، ٦٠ .

[5] السابق نفسه ، ص ٧٠ .

ويقول[1] :

إذا يجف ثراها بلها ديـــــــــــــــــــــــــــــمُ
من كوكب نزل بالماء سجـــــــــــــــــــــــــــام

كما أكثر الشاعران من النداء[2] ، والغالب في استخدامهما " الهمزة " التي هي للقريب فيقول[3] :

أيا ابنة عبد الله وابنة مـــــــــــــــــــالك ويا ابنة ذي
البردين والفرس الوردِ

ويقول[4] :

أماوي ! إما مت فاسعي بنطفـــــة من الخمر ريّاً فانضحنَّ بها
قبـــــــــــــري

ويقول[5] :

أماوي ! قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني من طلابكم
العـــــــــــــــذرُ

أماوي ! إن المال غاد ورائـــــــــــــــح ويبقى من المال
الأحاديث والذكرُ

أماوي ! إني لا أقول لســـــــــــــــــائل إذا جاء
يوماً حل في مالنا نـــــــــــزرُ

---

[1] السابق نفسه ، ص ١٢٧ .
[2] ديوان حاتم ، ص ٢٨ – ٣٣ – ٤٠ –٤٧ –٥٠ –٥١ –٥٥ –٥٩ – ٦١ .
[3] السابق نفسه ، ص ٤٣ .
[4] السابق نفسه ، ص ٤٥ .
[5] السابق نفسه ، ص٥٠ .

ويقول[1] :

أبا الخيبري وأنت امرؤ حسود العشيرة شتَّامُها

وكذلك النمر له نماذج[2] مما سبق ولكنها ليست كثيرة فهو يقول[3] :

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة بعيداً نآني صاحبي وقريبـــــــــــــــي

ترى أن ما أبقيت لم أك ربـــــــــــــــه وأن الذي أمضيت كان نصيبي

ويقول[4] :

أحار بن عمرو فؤادي خَمر ويعدو على المرء ما يأتمرْ

ويكثران من الإبتداءات بـــ " ألا" الإستفتاحية[5] ، كما يستخدمانها في ثنايا قصائدهما، ومن هذا قول حاتم[6] :

ألا أخلفت سوداء منك المواعد ودون الذي أملت منها الفراقد

ويقول[7] :

ألا أبلغ بني أسد رســـــــــــــــــــــــولاً ومابي أن أزنكم

---

[1] السابق نفسه ، ص ٨٩ .

[2] ديوان النمر ، ص ٤٦ – ٥٥– ٦٤ – ٧٨– ١٣٣ .

[3] السابق نفسه ، ص ٤٣ .

[4] ديوان النمر ، ص ١٤٤ .

[5] ديوان حاتم ، ص ٣٥ – ٤٠ – ٥٣ – ٦١ – ٦٢ – ٨٠ .

[6] السابق نفسه ، ص ٣٨ .

[7] السابق نفسه ، ص ٤٩ .

بغـــد

ر

فمن لم يوفـِ بالجيران قدماً فقد أوفت معاوية

بكـــ

ــــــر

ويقول[1] :

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكرُ وما ذاك من حبّ النساء ولا الأشر

ويقول[2] :

ألا سبيل إلى مال يعارضنـــــــــي كما يعارض ماء البطح الجاري

ألا أعان على جودي بميسرة فلا يرد ندى كفي

إقتـــاري

واستخدم النمر " ألا " الاستفتاحية[3] في قصائده قائلاً[4] :

ألا يالذا الناس لو يعلمو ن للخير خير وللشر

شـــــــــــــــــــــــر

[1] السابق نفسه ، ص ٥٥ .

[2] السابق نفسه ، ص ٥٩ .

[3] ديوان النمر ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

[4] السابق نفسه ، ص ٦٤ .

ويقول[1] :

ألا إنَّ شيب الرأس ليس بآفة تضيرك إلا في النساء الجواهــــــــــــــــــــــــــــــــــــل

كما لهما العديد من الألفاظ والأساليب كثيرة التكرار ، مشتركة بينهما ، كاستخدامهما واو ربَّ[2]، والترخيم[3] وذكر الخمر[4] .

وأحياناً يكرر عبارات كاملة كقوله[5] :

فلا تسأليني واسالي أي فـــــــــــــــــــــــــارس إذا بادر القوم الكنيف المستـــــــــــــــــــــــــرا

ولا تسأليني واسألي أي فـــــــــــــــــــــــــارس إذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا

فلا هي ما ترعى جميعا عشارها ويصبح ضيفي ساهم الوجه أغبــــرا

متى ترني أمشي بسيفي وسطها تخفني وتضمر بينها أن تجـــــــــــــــــزرا

وإني لأغشى أبعد الحي جفنتـــــي إذا ورق الطلح الطوال تحســـــــــــــــــــــــرا

فلا تسأليني واسألي بي صحبتي إذا ما المطي بالفلاة تضــــــــــــــــــــــــــوَّرا

---

[1] السابق نفسه ، ص ١٠٩ .

[2] ديوان حاتم ، ص ٢٩ – ٣٦ –٣٧ – ٤٠ – ٤٤ –٦٣ – ٦٤ –٨٢ – ٨٤ ، وديوان النمر ص ٤٤ – ٦٦ .

[3] السابق نفسه ، ص ٣٣ – ٥٠ –٥١ ، وديوان النمر ص ٤٦ – ١٤٤ .

[4] السابق نفسه ، ص ٤٥ – ٥٠ – ٥١ ، وديوان النمر ص ٨٣ – ٨٥ – ٨٩ – ١٤٤ .

[5] السابق نفسه ، ص ٤٨ – ٤٩ .

وإني لوهاب قطوعي وناقتـــــــــــــــــــــــي إذا ما انتشيت والكميت المصـــدرا

وإني كأشلاء اللجام ولن تــري أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبـــــــــــــــرا

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وإني إذا الموت لم يك دونـــه قدى الشبر أحمي الأنف أن أتأخـــــرا

ففي هذه القطعة كثير من الكلمات والعبارات المكررة كقوله: (فلا تسأليني) وقوله : (ساهم الوجه أغبرا) وقوله : (أخو الحرب) و(وإني) و(إذا) ، والتكرار قد يكون عظيم الأهمية في تبصيرنا بنفسية الشاعر ، أو مثله العليا كما يدل على إعجابه ببعض الصور الفنية ، وقد يكون وسيلة لمعرفة بعض صفات الممدوحين الحقيقية (وإن كان هو نفسه) .

وتكرار الشاعر لبعض المعاني قد يدل على امتلائه بها ، وانشغاله بأمرها ، حتى لتستطيع أن ترى فيها أفكاره الأساسية[١] .

وفي هذه الأبيات يبصرنا حاتم شجاعته ، ويفخر ببسالته ، وعطائه ، وإكرامه الأضياف .

ولهما الكثير من الألفاظ ، والصيغ المكررة ، والمشتركة بينهما ، وهذه تنبئ عن مشاعر مشتركة ، ونفسية واحدة ، نفسية العربي الأصيل الحامي لقبيلته ، المدافع عند قيمه ، وموروثاته الأخلاقية ، والرامي بكل أسهمه في سبيل الحفاظ على الأعراف

[١] النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٩٦م ، ص ٣١١ – ٣١٤ .

والتقاليد الخيِّرة ، الباني لنفسه مكانة بين سراة القوم وساداتهم بلا تواكل ، ولا تخاذل ، ولا اتكاء على مجد الآباء ، والأجداد .

المطلب الثاني : الأبيات التي استشهد بها لكلا الشاعرين :

كان النحاة واللغويون من أشدِّ العالمين غيرة على ما يخصهم ويعنيهم من أشياء " الأقربون ، القبيلة ، الأصدقاء ، العادات ، التقاليد والأعراف " ، واللغة من أولى تلك الأشياء فوجهوا تلك الطاقة والمشاعر الدفاقة إلى التباهي ، والتفاخر بها لأن وضع القواعد والقوانين أمر صعب يحتاج جهوداً (مادية ، ومعنوية) مضنية .

وهي لغة واسعة الأبواب كثيرة الدروس عميقة التفاصيل ، تَفْهمها إن ما سمعتها وتبحر في أقصى أقاصيها إن ما أردت تفسير حرف فيها دعك من كلمة ، ولم تدون بادئ الأمر وحينما اختصها الله وعاء لكتابه الحكيم زاد العرب أنفةً على أنفة ، وفخراً على فخر ، وحبَّاً على حُب ، ومن ثم وضعت القوانين ، ودونت ، وبوبت ، ورتبت ، وأفاض بعض الناس في علومها كثيراً فاتفقوا في بعض الأشياء واختلفوا في أخرى ومن هذه الإختلافات كانت المدارس النحوية (البصرية ، الكوفية) ولازال الناس يغرفون من ذاك البحر الذي لا ينضب .

إذن المرحلة الأولى كانت تدويناً لقواعد اللغة ، وما بعد ذلك دراسة واستقصاء واكتشاف إلى يومنا هذا ، وكلما عرضت لهم مسألة تخالفوا وتنازعوا فيها رجعوا إلى ديوان العرب ، ومخبأ أسرارهم ، وأخبارهم ألا وهو (الشعر العربي) يردهم إلى صوابهم ، ويرجح كفة احتجاجهم ، ولما كان شاعرانا أهل عروبة ، وقِدَم ، وسليقة ، وفطره سليمة ، رجعوا لهما ، واستشهدوا بأشعارهما ، ومما استشهدوا به قول حاتم[1] :

وأغفر عوراء الكريم إدخاره   وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

---

[1] ديوان حاتم ، ص ١٨ .

أي[1] : لإدخاره .

وبعضهم قال[2] : أي أدخره إدخاراً . وكذلك في قولك (تكرماً) أي : اتكرم تكرماً .

وقال النمر[3] :

هلا سألت بعادياء وبيتـــــــــــــــــــــــــه والخل والخمر التي لم تمنع

هلَّا سألت بعادياء وبيته ؛ أي هلَّا سألت عنه – الباء في موضع عن – والخل والخمر التي لم تمنع .

وقال : يجوز حذف الشرط ، والجزاء معاً وإبقاء الأداة ، واستشهدوا بقول النمر ابن تولب[4] :

فإن المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما

أي : أينما يذهب تصادفه .

---

[1] الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، أبو بشر ، الملقب ب سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، عام ١٤٠٨ – ١٩٨٨ ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

[2] الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرد " أبو العباس " ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ، ص ٢٣٢ .

[3] ديوان النمر ، ص ٨٥ .

[4] شرح التصريح علي التوضيح ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري زين الدين المصري ، وكان يعرف بـــ (الوقاد) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١– ٢٠٠٠ ، ج٢ ، ص ٤١١ .

ومن أبيات النمر التي استشهد بها سيبويه[1] قوله :

لا تجزعي إن منفساً أهلكته   وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

على أن الكوفيين أضمروا فعلاً رافعاً لـــ (منفس) ، أي إن هَلَك منفسٌ ، أو هُلك منفسٌ ، أورده في باب الإشتغال أيضاً كذا ، وأما البصريون فقد رووه : (لا تجزعي إن منفساً أهلكته ، وكذا أورده سيبويه بنصب منفس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره (إن أهلكت منفساً أهلكته) ، فأهلكته المذكور مفسر للمحذوف .

وهناك أبيات استخدمها اللغويون ليفسروا بها بعض الأشياء ، من ذلك استشهادهم بقول حاتم في تفسير كلمة الريان ، وقيل : الريان جبل بين بلاد طي والأسد ، قال حاتم :

لشعب من الريان أملك بابه   أنادي به آل الكبير وجعفرا

وقال النمر[2] :

ولا أسقي ولا يسقى تشريبي   وأمنعه إذا أوردت مائي

قال : شريبه الذي يشرب معه ، والمعنى : لا أسقي حتى يسقى شريبي ، كما تقول: لا آكل ولا يأكل أخي ، أي لا آكل حتى يأكل أخي ، وأمنعه : أراد ولا أمنعه .

وقوله[3] :

فلا الجارة الدنيا لها تلحينها   ولا الضيف فيها إن أناخ محول

---

[1] خزانة الأدب ، البغدادي ، ج١ ، ص ٣١٤ .

[2] ديوان النمر ، ص٣٥ .

[3] المعاني الكبير في أبيات المعاني ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : سالم الكركلوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدرأباد الدكن ، الهند ، ط١، ١٣٦٨- ١٩٤٩ ، الباب الأبيات في مكارم الاخلاق .

قالوا[1] : النصف الأول مختل ، لأنه خالف فيه وجه الاستعمال ، ووجهه أن يقول :

فهي لا تلحى الجارة الدنيا ، أي القريبة .

وكذلك قوله[2] :

إذا هتكت أطناب بيت وأهله   بمعطنها لم يوردوا الماء قيلوا

وهذا مضطرب لتناوله المعنى من بعيد ، ووجه الكلام أن يقول : إذا دنت إبلنا من حيٍّ ولم ترد إبلهم الماء قيَّلوا من إبلنا ، والقِيْل : شُرْبُ نصفِ النهار.

ومما يعاب علي النمر قوله في وصف السيف[3] :

أبقى الحوادث والأيام من نمر   أسباد سيف قديم إثره بـــــــــــــــــــــــادي

تظل تحفر عنه إن ضربت به   بعد الذراعين والساقين والهادي

أي أن قطع ذلك كله ثم رسب في الأرض ، حتى احتاج إلى أن يحفر عنه ، وهذا من الإفراط والكذب[4] .

ومن النقاد من استجاد أبياتاً لقيس بن الخطيم بل قالوا إنها أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم فهو يقول :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

---

[1] ديوان النمر ، ص ٥٨ .

[2] السابق نفسه ، ص ١٠٥ .

[3] ديوان النمر ، ص ٥٨ .

[4] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ج١ ، ص ٣٠٠ .

وقالوا أخذ من قول النمر:

فصدت كأن الشمس تحت قناعها   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقالوا في بيت النمر[1] :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت   فواكبدا مما لقيت علي دعد

ما له هم إلا من يعشقها بعده ؟ ألا قال[2] :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت   فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

المبحث الثاني

المعجم الشعري

لكل منَّا كلمات وأساليب يكثر استخدامها ، وتتكرر في كلامه ويعتبرها وسيلة أسهل وأداة أيسر للتعبير عن ذاته فيظل يرددها في عامة كلامه أو نثره أو شعره .

وإن تفرد النمر بالقصص والحاكايات والسرد ، وامتاز حاتم عن صاحبه بأسلوب الحوار سواء كان هذا الحوار حقيقياً كما في حديثه مع ماوية ، أو العاذلة أو غير حقيقي متكلف يفترضه في خياله بغية الفخر وتوسعة لأساليبه .

ومع اختلاف الأساليب الكلامية وتنوعها ، فقد علقت بأذهانهما كلمات معينة فجرت على لسان كل منهما ، وباتا يكررانها بين الفينة والأخرى ، ويتضح ذلك جلياً في قول حاتم[1] :

---

[1] ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، دار الجيل – بيروت ، ج١ ، ص ٢٢٩ .

[2] التذكرة الحمدونية ، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤١٧ه ، ج٧ ، ص٢٩١ .

أماوي ! قد طال التجنب والهجـــــر وقد عذرتني عن طلابكم العـــــــــــــــــــــــــــــــــــذرُ

أماوي ! إن المال غادٍ ورائــــــــــــــــــــــــح ويبقى من المال الأحاديث والذكـــــــــــــــــــــرُ

أماوي ! إني لا أقول لسائـــــــــــــــــــــــــــــل إذا جاء يوماً حلَّ في مالنا نـــــــــــــــــــــــــــــزرُ

أماوي ! إما مانع فمبيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــن

وإما عطاء لاينهنهه الزجـــرُ

أماوي! إما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر

والتكرار ظاهرة قديمة استعملها الشعراء كثيراً لأسباب نفسيَّة كثيرة كالشوق ، والحنين مثلاً[2] وما سبق ذكره درج تحت التكرار الملفوظ .

ومن الألفاظ التي تكررت عنده لفظ المال وفي الأبيات السابقة تكرر مرتين وفيما عداه أكثر من خمس عشرة مرة ومن ذلك قوله[3] :

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٥٠ – ٦٦ – ٤٥ –٧١ – ٩٠ .

[2] انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج١ ، دار الآثار الإسلامية ، ط٣ ، الكويت ، ١٩٨٩م – ١٤٠٩هـ ، ص ٨٨ – ١٤٩ .

[3] ديوان حاتم ، ص ٤٠–٤١ – وكذلك ذكره في – ص ٣٥ –٥٠ –٥١ –٥٩ –٦٢ –٧٣ –٨٠ – ٨١ .

وعاذلة هبت بليل تلومنـــــــــــــــــــــــــــــــــــي وقد غاب عيوق الثريا فعـــــــــــــــــــــــــــــــــردا

تلوم على إعطائي المال ضلـــــة إذا ضن بالمال البخيل وصـــــــــــــــــــــــــردا

تقول : ألا أمسك عليك فإننـــــــي أرى المال عند الممسكين معبـــــــــــدا

ذريني وحالي إن مالك وافـــــــــــــــــــــــــر وكل امرئ جار على ما تعـــــــــــــــــــودا

أعاذل لا آلوك إلا خليقتــــــــــــــــــــــــــــــــــي فلا تجعلي فوقي لسانك مبـــــــــــــــــــــــــــردا

ذريني يكن مالي لعرضي جنة يقي المال عرضي قبل أن يتبددا

ويقول بعد تلك الأبيات :

يقولون لي: أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيـــــــــدا

ثم يقول :

سأذخر من مالي دلاصا وسابحا وأسمر خطيا وعضبا مهنـــــــــــــــــــــــــــدا

وذلك يكفيني من المال كلـــه مصونا إذا ما كان عندي متلدا

أي أورد كلمة " المال " في هذه القصيدة وحدها تسع مرات وهذا في الرد على عاذلته والمال هو الموضوع الأساس في هذه القصيدة ، بل في أغلب موضوعات حاتم أيا كان هذا المال . فإما يكون في موضع فخر ببذله ووهبه أو رداً على من يلوم أو منعاً من بخيل تأديباً وتأنيباً ، وتحدثنا عن ذلك في الموضوعات آنفة الذكر .

ومما يُخزي منه ويُتحرج البطنة ، فهي شيء يكرهه حاتم وذلك في قوله[1] :

وإني لأخزى أن ترى بي بطنـــــــــــــــــــــــــــة وجارات بيتي طاويات ونحـــــــــــــــــــــــف[2]

وقال مفتخراً[3] :

لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهى مخافة يوماً أن يقال لئيـــم

وفسر ما سبق بقوله[4] :

وإنك مهما تعط بطنك سؤلـــه
وفرجك نالا منتهى الذم أجمعـــــــــــــــــــــــــــــــــا

أبيت خميص البطن مضطمر الحشا حياء أخاف الذم أن أتضلعـــا

كما كرر لفظ " الصعاليك[5] ، والليل[6]، والفقر[7]، وثعل[8]، والضيف[1]، والسيف[2] " ، وكل هذه الألفاظ استخدمها في تعبيره عن الفخر سواء بنفسه أو بقبيلته . ودارت كلها حول هذه المعاني .

---

[1] ديوان حاتم ، ص ٧٠ .

٢ السابق نفسه ، ص ٧٠ .

٣ السابق نفسه ، ٨٦ .

[4] السابق نفسه ، ٦٨ .

[5] السابق نفسه ، ص ٣٠ –٥٠ –٣٥ – ٨٢ .

[6] السابق نفسه ، ص ٣١ –٣٢ –٣٣ –٣٤ –٥٩ –٦٣ –٧٦ –٧٩ ٨٠ ٨٢ – ٨٦ .

[7] السابق نفسه ، ص ٤٦ –٥٤ – ٦٤ .

[8] السابق نفسه ، ص ٢٨ – ٧٣ – ٧٤ – ٦٤ – ٣٤ – ٤٢ .

أما النمر فأكثر من ذكر جمرة ولاغرو في ذلك لأنها ملكت عليه أقطار نفسه فهو يقول[3] :

تصابى وأمسى علاه الكبر   وأمسى لجمرة حبل غـــــــــــــــــــــــــــــــــرر

وشاب ولا مرحبا بالبيـــــــــــــــــــــــا   ض والشيب من غائب ينتظر

فلو أن جمرة تدنو لـــــــــــــــــــــــه   ولكن جمرة منه سفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

وقال[4] :

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفـــــــــــل   جزاء مغل بالأمانة كـــــــــــــــــــــــــــــــاذب

لهان عليها أمس موقف راكب   إلى جانب السرحات أخيب خائب

وعاش النمر عمراً جنى منه الكثير من الحكم التي ضمنها شعره ، وشكا العجز والضعف والوهن الذي اعتراه بعد شدة وقوة وصحة وشباب فعبر عن ذلك مكرراً كلمة الشيب التي تدل على مشاعر سلبية تعتريه بين وقت وآخر نسبة لابتعاد الناس عنه وعذل الأقربين له أي ليس الكبر وحده بل مواقف من حوله هي التي جعلته يشكو ويقول[5] :

---

[1] السابق نفسه ، ص ٣٢ –٣٣ –٤٠ –٤٤ ٥٩ – ٧٠ ٧٢ .

[2] السابق نفسه ، ص ٣٥ –٣٧ – ٦٤ –٧١ – ٨٨ .

[3] ديوان النمر ، ص ٦٣ – ٦٤ .

[4] السابق نفسه ، ص ٤١ – ٤٢ ، وذكرها ص ٦٤ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١٢٦ .

[5] السابق نفسه ، ص٩٨ – ١٠١ . كما ذكر الشيب في ص ٦٨ ، ١٠٩ ، ١٢٨ .

لعمري لقد أنكرت نفسي ورابني مع الشيب أبدالي التي أتبـــــــــــــــــــــــــــــــــدل

فصول أراها في أديمي بعدمـــــــــــــــا يكون كفاف اللحم أو هو أفضــــــــــــــــــــل

كأن محطا من يدي حارثيــــــــــــــــــــــــــــة صناع علت مني به الجلد من عل

وقولي إذا ما غاب يوما بعيرهم تلاقونه حتى يؤوب المنخـــل

فيضحى قريبا غير ذاهب غربة وأرسل إيماني ولا أتحـــلل

وظلعي ولم أكسر وأن ظعينتـــــــي تلف بنيها في البجاد وأعـــزل

ودهري فيكفيني القليل وأننـــي أؤوب إذا ما شبت لا أتعـــلل

وكنت صفي النفس لا شيء دونه فقد صرت من إقصا حبيبي أذهل

وبطءٍ عن الداعي فلست بآخذ إليه سلاحي مثل ما كنت أفعـــل

تدارك ما بعد الشباب وقبلـــه حوادث أيام تمر وأغفــل

يود الفتى طول السلامة والغنـــــــــــــــــــى فكيف ترى طول السلامة يفعــــــــــــــــــــل

دعاني العذارى عمَّهن وخلتنـــــــــــــــــــــــــي لي اسم فلا أدعى به وهـــــــــــــــــــــو أول

وقد كنت لا تشوى سهامي رميـــــــــــــة فقد جعلت تشوى سهامي وتتصـــــــــــل

كما كرر ذكر " المال " فقال[1] :

يلوم أخي على إهلاك مالي وما إن غاله ظهري وبطني

ولا ضيعته فألام فيــه فإن ضياع مالك غير معنـــــي

ثم قال – آخر القصيدة – :

رأيت المانعين المال يومـــــــــــــــــــــــــا مصيرهم لإلقاء فدفـــــــــــــــــــــــــــــــــن

إذن هما لا يضعان للمال وزنا ، ولا قيمة ، ويحسبان أن الآخرين أولى به .

[1] ديوان النمر ، ص ١٣٣ – ١٣٤ . وذكره في ص ٤٨ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ١٣٨ .

ردد النمر ألفاظا كثيرة مثل : (الشيخ[١] ، الشباب[٢] ، السيف[٣] ، الإبل[٤] ، فرسه[٥] " صهبى " ، الخيل[٦] ، الناس[٧] ، المنهل[٨] ، الموت[٩] ، أيام العرب[١٠]) .

كما اهتم بعامل الزمن في أشعاره كالغدوة ، والصباح ، والأصيل . ومن ذلك قوله[١١]:

قالت لتعذلني من الليل اسمع   سفها تبيتك الملامة فاهجعي

لا تعجلي لغد وأمر غد لـــــه   أتعجلين الشر مالم تمنــــع

وقال – في نفس القصيدة – :

هلا سألت بعادياء وبيتــــه   والخل والخمر التي لم تمنــــع

وفتاتهم عنز عشية آنســـت   من بعد مرأى في الفضاء ومسمع

---

[١] ديوان النمر ، ص ٣٨ ، ٥٧ ، ٩٧ .

[٢] السابق نفسه ، ص ٣٩ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٣٢ .

[٣] السابق نفسه ، ص ٥٨ ، ١٦ ، ١٤٦ .

[٤] السابق نفسه ، ص ٣٥ ، ٤٤ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ١٠٤ .

[٥] السابق نفسه ، ص ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ .

[٦] السابق نفسه ، ص ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٣ .

[٧] السابق نفسه ، ص ٤٧ ، ٦٤ ، ١٠٢ .

[٨] السابق نفسه ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ١٠٤ ، ١٢٨ .

[٩] السابق نفسه ، ص ١١٦ ، ١٣٤ .

[١٠] السابق نفسه ، ص ٧٥ ، ١٠٨ .

[١١] السابق نفسه ، ص ٨٢ ، ٨٥ – ٨٧ .

قالت : أرى رجلا يقلب نعله أصلا وجو آمن لم

يفـــزع

فكأن صالح أهل جو غـــــــدوة صبحوا بزيفان السمام

المنقـــــــــــــــــــــــع

كانوا كأنعم من رأيت وأصبحوا يلوون زاد الراكب

المتمتـــــــــــــــــــــــــــــــــع

ورأت مقدمة الخميس وقبـــــــــــــــــــــــــــله رقص

الركاب إلى الصباح بتبع

فلا يخلو بيت من " زمن " ما عدا البيت الأول منها .

ويبدو أن بيئة النمر أقل قسوة من حاتم فهو يذكر المواضع الخصبة ، وأماكن المياه والآبار ، كما يشبه بالحدائق الغناء ، والبساتين وارفة الظلال ، ذات الروائح الطيبة ، وهذا لا يأتي إلا من عين شاهدة ، وأذن سامعة ، ونفس متمتعة إلى مثل هذه المشاهد الغنية الرائعة الجمال .

وجل تلك الألفاظ آنفة الذكر تفسر جوانب حياة الشاعرين ونفسيتهما ، فهي خير ترجمان لها .

الخاتمة

أهم النتائج :

أولاً: النتائج العامة :

١- اتفقا في صفات " الكرم ، الشجاعة ، المروءة ، الأمانة ، حفظ الجوار ، نصرة الأهل والأقربين، تلبية المستغيث ، وحسن المعاشرة " ، والكثير من مكارم الأخلاق.

٢- اتفقا في أن جعلا من الشعر وسيلة لنشر الفضيلة ، وذم الرذيلة بين الناس ، والتبشيع بفاعلها ردعاً وتخويفاً .

٣- اتفقا في أن شعرهما مؤثر وأسلوبهما سهل رائق ، ومن شعر حاتم ما فكَّ الأسارى الضعاف ، ومن شعر النمر ما صار حكمة يفيد منها الناس إلى يومنا هذا .

٤- حاتم يظل يكرر معاني معينة في قصائده ، ولا عيب إن كانت تملكته وظل ينادي بها ، ولكن من البراعة أن يلبسها كل فينةٍ وأخرى ثياباً جديدة ، وحللاً زاهية فريدة ، فتكون أحلى نغماً ، وأوقع فهماً ، فحينما يعيش الشاعر كثيراً من نواحي الحياة ينبغي عليه أن يتوقف حتى يضيف لنفسه قدراً آخر من الثقافات يحفز به قريحته حتى تنتج جديداً ، وحتى لا يكون شعره مجرد تكرار للمعاني والثقافات والأفكار ذاتها .

٥- يبدو أن حاتم كان يعيش حياة استقرار مادي ومعنوي ، فلم يكثر من الترحال والحروب ، لذلك دار شعره في أفكاره ورؤاه الذاتية ، والقبلية في بعض الأحايين ؛ ولهذا أن يكون إيجابياً فحاتم نظم على السليقة والبديهة ، ولم يلتفت كثيراً إلى الجوانب الفنية والألوان الكلامية .

٦- لم يتحدث عن وضعه في القبيلة كثيراً ، ووضع قبيلته الاقتصادي ، والسياسي والأدبي وما هو سائد من هذه الأشياء عندهم .

٧- أغلب شعره ذاتي يصف نفسه ويفخر بخلقه ، ويرد على العاذلات ، ونراه يورد قليلاً من أبيات المدح رداً على ما يقدم له فقط ، ويورد من الحكم ألواناً ، ولم يكثر من الوصف ، ولم يمدح عدا القليل ، ولم يرث أحداً .

٨- امتاز بأسلوب الحوار الحقيقي ، وغير الحقيقي الذي يخاطب فيه خياله وشخصياته الافتراضية .

٩- ربما عايش النمر بيئتين مختلفتين فعاش في البادية زمناً أثر عليه ، وعلى قدرته على الإفصاح وقوته في الوصف وإجادته له ، وعاش بين خصب وظلال فعذبت ألفاظه ، ورقت معانيه ، وتعطَّرت قصائدة باليلنجوج والأهضام .

١٠- إمتاز شعر النمر بالتزامين :

أولهما : الالتزام الأخلاقي والذي شاركه فيه حاتم فناديا بما ذكرناه من الفضائل والقيم .

وثانيهما : الالتزام الأخلاقي الديني الذي تفرد به دون حاتم .

١١- وكان له من الاقتباس - من القرآن والسنة - ما يجعله أهلاً للاهتمام ، فهو مثال للمخضرم المثالي ، والحكيم المجرب .

١٢- النمر يريد السيرة المثلى والذكر الحسن حيّاً وميتاً لذلك التزم تلك الصفات ، وصرح بذلك قائلاً :

حتى يقال إذا وريت في جدثي * لقد مضى نمر عارٍ من العار

١٣- وحاتم التزامه بها أيضاً ووظفها للغرض الذي ناله فيما بعد ، فعن عدي ابن حاتم قال : قلت : يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا . قال : " إن أباك أراد أمراً فأدركه " - يعني الذكر - .

ثانياً: النتائج الخاصة بالموضوعات :

١- وجه حاتم شعره للفخر فتفوق فيه بنوعيه .

٢- لحاتم مدح قليل يشكر ويرد فيه على من تفضلوا عليه ، وليس للنمر مدح ما خلا مقطوعته التي امتدح فيها رسول الله " صلى الله عليه وسلم " .

٣- لهما اسهامات في الحكمة ولكن النمر فاق في ذلك حاتماً الطائي لعوامل كثيرة أوردتُها في " فصل الحكمة " .

٤- كلاهما أحبَّ حبّاً صادقاً ، وكتبا غزلاً عذريّاً عفيفاً ، ولكن لم يتعد مطالع أبياتهما.

٥- لحاتم مقطوعة واحدة في الهجاء ، وأسلوبه فيها مباشر ، والذم عنده كان لصفات بعينها بات ينتبذها كلَّما سنحت له الفرصة ، أما النمر فله ثلاث مقطوعات امتازفيها بالتعريض والإيحاء ، وترفع من التصريح بالسباب والشتم .

٦- أما الرثاء فانفرد به النمر دون حاتم ، فرثى زوجه ، وأخاه ، وأخوة له .

٧- اعتذر حاتم واستعطف مرة واحدة حينما أُسر قومُه عند النعمان ، وأطلقوا إكراماً له، ولم يكن لحاتم غيرها . كما له أبيات شكر فيها النعمان . أما النمر فليس له فيه حظ .

٨- ولهما في الوصف باع كبير ، فأجاد حاتم ، وتفوق النمر لقدرته الفائقة على الوصف ، والتصوير .

٩- أما الموسيقى الخارجية فموازنتها مجدولة آخر الفصل ، وجلُّ أبياتهما في الطويل ، والبسيط ، والوافر ، والكامل .

١٠-ونظما في أنواع القوافي المختلفة ، في " اللام والنون والباء " ، ونظما في الراء كثيراً لحلاوتها ، وجرسها ، كما نظما في الميم ، والعين ، ولم ينظما في " الصاد ، والزاي ، والضاد ، والطاء ، والهاء الأصلية ، والواو " ، وهذا شأن كثير من الشعراء .

١١-والموسيقى الداخلية ، كان الجناس ، والطباق ، ورد العجز على الصدر من أكثر الألوان البديعية عند شاعرينا .

١٢-ومن الصور الشعرية كان النمر حسن التشبيهات ، عميق الأوصاف والاستعارات، ولحاتم حظ من الكناية فاق فيه النمر .

١٣- التزما ببناء القصيدة القديمة في بعض قصائدهما ليس كلها ، لأن الغالب على أشعارهما المقطوعات ، والقصائد القصيرة . ولهما نماذج حسنه في التخلص أوردناها عنهما ، وامتاز حاتم بوحدة البيت ، والنمر بالوحدة الموضوعية في القصيدة بأكملها ، والتماسك في موضوعاتها ، فهو يجيد أسلوب القصص والسرد .

١٤-ولهما العديد من الألفاظ المشتركة ، وهذا ينبئ عن نفسية واحدة ، ومشاعر مشتركة. واستشهد النحاة ، واللغويون بأبيات لكلا الشاعرين ، وفي هذا دلالة على جودة وفصاحة لغتهما .

١٥-وينفرد كلٌّ منهما بكلمات يكرر ذكرها في أبياته وربما يكون لهذه الألفاظ مؤشراتها ودلالاتها النفسية . وبيئة النمر أقل قسوة من حاتم فنراه يكرر ذكر المياه ، والخصب ، والأشجار ، والحدائق الغناء ، والبساتين وارفة الظلال ، وغير ذلك مما له أثر عليه .

التوصيات :

١- استخدام نصوصهما الأدبية لكافة الطلاب بمختلف مراحلهم غرساً للقيم ، والأخلاق الفاضلة لما عندهما من حكمة ، ولما تمتعا به من اعتزاز بالفضيلة والتسابق عليها .

٢- التوجه لدراسات مختلفة لـــ " ديوان حاتم الطائي " الذي صار أسطورة زمانه والأزمنة اللاحقة فاشتهر بالكرم ، ولم يُتناول ديوانه بالكثير من الدراسات " على الأقل في وطننا السودان " .

٣- دراسة هذه الجوانب من حياة الصحابة ؛ ففي هذا كشف لجوانبهم المرهفة وإبراز لأحاسيسهم العميقة بأنفسهم وما حولهم وبهذا يكون ماقدموه إضافة للمكتبة العربية بل أنموذجاً للشعر القيم الملتزم ، والذي خدم أغراضا مختلفة فعد تنفيسا ، وكان وسيلة زود ، ودفاع أخرى تهيبها الناس وخشوها .

وفي دراستنا ، وكشفنا ، وجمعنا لآداب تلك الفترة الإنتقالية إبرازٌ لجوانب القوة الإسلامية التي قدمت كل ما لديها في كل الظروف ، ورغم كل المشاغل ، والمخاوف .

فهرس الآيات

فهرس المصادر والمراجع

١. الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار بن عبد الله بن القرشي الأسدي المكي ، تحقيق : سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت- لبنان ، ط٢، عام ١٤١٦ه - ١٩٩٦م، ج١ .

٢. الاختيارين - المفضليات والأصمعيات - ، أبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل - الأخفش الصغير- تحقيق فخر الدين قبارة ، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ه - ١٩٩٩م ، ج١ .

٣. أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد المجيد ، ط ٤ ، المكتبة التجارية ، مصر - القاهرة، ١٩٦٣م ، ج١ .

٤. أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، بيروت - لبنان ، طبعة جديدة منقحة ، عام ١٩٧٩م .

٥. الاستيعاب في معرفة الصحابة ، أبو عمر يوسف ، بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، المحقق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت- لبنان- ط ١ ، عام ١٤١٢ه- ١٩٩٢م ، ج ٤ .

٦. أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١٠ ، عام ١٩٩٤م .

٧. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، يناير ١٩٧٩م .

٨. الأغاني ، أبو فرج الأصفهاني ، دار صعب عن طبعة بولاق الدكرور الأصلية ، بيروت - لبنان ، ج ١٥ - ١٦ .

٩. الأمالي ، أبو علي إسماعيل ابن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، عنى بوضعها وتعربيها : محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ط٢ ، ١٣٤٤- ١٩٢٦م ، ج١ .

١٠. أمثال العرب ، المفضل بن محمد بن على بن سالم الضبيّ ، تحقيق : احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، ط ١ عام ١٤٠١هـ–١٩٨١م .
١١. أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، محمود مصطفى ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، ج١ .
١٢. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ، الأنصاري ، المصري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المجلد الرابع ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .
١٣. الأوئل ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، الناشر دار البشير ، طنطا – مصر ، ط١ ، عام ١٤٠٨هـ ، ج١."
١٤. البديع في البديع ، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباس ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٠ه – ١٩٩٩٠م ."
١٥. البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقد ، تحقيق : أحمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد ، راجعه : إبراهيم مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، عام ؟ .
١٦. البرصان والعرجان والعميان والحولان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي ، أبوعثمان الشهير بالجاحظ ، دار الجيل بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤١٠ه ، ج١ .
١٧. بعض الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ، تحقيق: سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت– لبنان ، ط٢ ، عام ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م ، ج١ .
١٨. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، ج٤ ، المطبعة النموذجية ، ط؟ .
١٩. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ج١ ، دار القلم ، دمشق – سوريا ، الدار الشامية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٢٠. بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، عام ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢١. البيان والتبين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة – مصر ، ط٧ ، عام ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م ، مطبعة المدني – السعودية – .
٢٢. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية. "
٢٣. تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي " ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢٢ ، القاهرة – مصر .
٢٤. تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤م .
٢٥. تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ط٧ ، ج ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان ، ١٩٩٧م .
٢٦. تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، توزيع دار القومية الغربية للثقافة والنشر ، ج ١ ، نقله إلى المكتبة العربية عبد الحليم النجار ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، عام ١٩٥٩م .
٢٧. تاريخ الشعوب الإسلامية نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ١٩٦٨م .
٢٨. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه أحمد إبراهيم ، ط؟ ، ١٩٣٧م .
٢٩. التذكرة الحمدونية ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٧ه ، ج٧ .
٣٠. تفسير القرآن العزيز ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز ، الناشر : الفاروق الحديثة ، ج٢ .

٣١. تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، الناشر : الفاروق الحديثة ، ج٢.
٣٢. تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م.
٣٣. تهذيب الكمال – يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي– الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان – ط ١ – عام ١٤٠١– ١٩٨– تحقيق : د. بشار عواد معروف، ج ٣ .
٣٤. تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، ج١٤ .
٣٥. تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسين بن هبة الدين الشافعي " ابن عساكر " ، هذبه ورتبه : عبد القادر بدران ، ج ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٣٦. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثر بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م ، ج١٦ .
٣٧. الجامع الصحيح " سنن الترمزي " ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمزي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاعر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت – لبنان ، الباب."
٣٨. الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة – مصر ، ج١٧ .
٣٩. الجبال والأمكنة والمياه ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تحقيق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة– مصر ، ١٣١٩ه – ١٩٩٩م .

٤٠. جمهرة أشعار العرب ، في الجاهلية والإسلام ، أبو زيد محمد بن أبي خطاب القرشي ، حققه : د. محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق–سوريا ، ج١ ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م .
٤١. جمهورية الحكمة في نهج البلاغة ، نصر الله حسن عباس ، دار القارئ ، بيروت– لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
٤٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق : يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ج١ .
٤٣. الجيم أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، راجعه : محمد خلف أحمد ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة – مصر ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ، ج ٢ .
٤٤. الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٢ه – ١٩٩٢م .
٤٥. الحيوان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانب بالولاء الليثي ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ ، ج ٣ .
٤٦. خزانة الأدب وغاية الإرب ، ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، تحقيق : عصام شيقو ، دار مكتبة هلال ، بيروت – لبنان ، دار البحار ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤م .
٤٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٤ ، ١٤١٨ه– ١٩٩٧م، ج ١ .
٤٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، المجلد الأول ، ط١ ، المطبعة الأميرية ببولاق .
٤٩. دراسات في الأدب والنقد ، أبو القاسم محمد كرو ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة – تونس ، ١٩٨٩م .
٥٠. دراسات في البلاغة العربية ، عبد العاطي غريب علام ، منشورات جامعة بنغازي ، ط١ ،١٩٩٧م .

٥١. دراسات في العصر الجاهلي ، أحمد أبو الفضل عوض الله ، ط : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة – مصر ، ١٣٨٥ه- ١٩٦٩م .
٥٢. دلائل الإعجار ، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
٥٣. الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم ، العوفي السرقسطي أبو محمد، تحقيق : محمد عبد الله القناص ، مكتبة العبيكان ، الرياض- السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢-٢٠٠١م، ج ٣ .
٥٤. ديوان الخنساء ، شرح حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٥٥. ديوان المتنبي ، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي ، ج١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧ه- ١٩٨٦م .
٥٦. ديوان المعاني ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكري ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ج ٢ .
٥٧. ديوان النابغة الذبياني ، اعتنى به حمدي طماس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٥٨. ديوان النمر بن تولب العكلي ، تحقيق: محمد نبيل طريفي ، دار صادر، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٩٥م .
٥٩. ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت- لبنان، ط٢ ، عام ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م .
٦٠. ديوان سويد بن أبي كهل اليشكري ، جمع شاكر العاشور ، مراجعة محمد جبار المعيدي ، ط ١ ، ١٩٧٢م ، المكتبة الوطنية (دار الطباعة الحديثة) ، البصرة – العراق .
٦١. ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدم : له فائز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٦٢. ديوان مختارات شعراء العرب ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسيني، طبعة مصر ، ١٨٨٢م .
٦٣. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن على بن بسام الشنتريني . المحقق : إحسان عباس ، الناشر : الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط١ ، ج ١ .
٦٤. الرثاء في الشعر العربي القديم واتجاهاته ، محمد شرفبياني " طالب الدكتوراة في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية ، فرع علوم وتحقيقات طهران " الأستاذ المشرف : فيروز حريرجي ، الأستاذ المساعد : إبراهيم ديباجي ، ٨ آيار – مايو ٢٠١٠م .
٦٥. رسائل ابن حزم الاندلسي ، ابن حزم ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، الباب : ٨ ، فصل في مداولة ذوي الأخلاق الفاسدة ، ج ١ .
٦٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ج٢٢ .
٦٧. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج ٢ .
٦٨. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبوعبيدة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، تحقيق : عبد العزيز الميمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ج١ .
٦٩. السيرة النبوية لابن هشام ، لأبى محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري ، دراسة وتحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ج١ .
٧٠. شرح أدب الكاتب ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن أبو منصور بن الجواليقي ، قدم له : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت– لبنان ، ج١ .

٧١. شرح التصريح علي التوضيح ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري زين الدين المصري ، وكان يعرف ب (الوقاد) دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط١ ، ١٤٢١ه– ٢٠٠٠م ، ج٢ .
٧٢. شرح المعلقات السبع ، الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٣ه–٢٠٠٢م .
٧٣. شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، تحقيق : فريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ج ١ .
٧٤. شرح ديوان المتنبي ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ج ١ .
٧٥. شرح ديوان حاتم الطائي ، تحقيق: عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي، بيروت–لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م .
٧٦. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ج ١ ، ط ٢ ، عام ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٧٧. شعراء إسلاميون ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٤٠٥ه – ١٩٨٤م .
٧٨. شعراء النصرانية في الجاهلية ، الأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ط؟ ، ج١ ، عام ١٩٢٦م .
٧٩. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق: حسن عبد الله العمري مطهر ابن علي الأرياني ، يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ودار الفكر ، دمشق – سوريا ، ط١ ، عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٨٠. الصحاح تاج اللغة وعروس العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق : أحمد بن عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧ه–ـ١٩٨٧م .

٨١. صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت– لبنان ، ط٢ ، عام ١٤١٤ه–١٩٩٣م ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
٨٢. صفة جزيرة العرب ، ابن الحائك ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داؤود الهمداني ، مطبعة بريل – ليدن ، عام ١٨٨٦م ، ج١ .
٨٣. الصناعتين ، أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، عام١٤١٩ه ، ج١ .
٨٤. الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان .
٨٥. طبقات الشعراء ، محمد بن سلام البصري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط؟ ، عام ١٤٠٠ه– ١٩٨٠م .
٨٦. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله ، الناشر : المكتبة العنصرية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤٢٣هـ ، ج١ .
٨٧. العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه ، فوزي سعد عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، مكتبة الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٨م .
٨٨. العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ١٤١٧ه .
٨٩. علم البديع ، أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت– لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٩٠. علم البيان ، محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، عام ١٤٠٩ – ١٩٨٩م .
٩١. علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت– لبنان ، ١٤٠٧– ١٩٨٧م .

٩٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط٥، عام ١٤٠١هـ –١٩٨١م ، ج٢ .
٩٣. العين ، عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، ج ٨ .
٩٤. غريب الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المحقق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد – العراق ، ط ١ ، ١٣٩٧ه ، الباب : حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، ج ٢ .
٩٥. الفاضل ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، المعروف بالمبرد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة – مصر ، ط ٣ ، عام ١٤٢١ه ، ج١ .
٩٦. الفائق في غريب الحديث والأثر ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق : على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢، الباب : حرف الميم ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ .
٩٧. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكري ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ، عام ١٩٧١م ، بيروت – لبنان ، ج١ .
٩٨. فن التحرير العربي – ضوابطه وأنماطه– ، محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل – السعودية ، ط٥ ، عام ١٤٢٢ه– ٢٠٠١م ، ج١ .
٩٩. فن التقطيع الشعري والقافية ، صفاء خلُّوصي ، مطبعة الزعيم ، بغداد – العراق ، ١٩٦٢م ، ج٢ .
١٠٠.فن الغزل ، محمد سامي الدهان ، ج١ ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة – مصر .
١٠١.في النقد الأدبي ، علي علي مصطفى صبح ، د.ط : ؟ ، ط؟ ، ج١ .
١٠٢.في تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، طبعة دار التراث الأول ، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م ، ج١ .

١٠٣.القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط٨ ، عام ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م ، ج١ .
١٠٤.قضايا النقد القديم ، محمد صايل حمدان وعبد المعطي نمر موسى ومعاذ السرطاوي ، ط١ ، عام ١٤٠٤ – ١٩٩٠م ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد – الأردن .
١٠٥.قواعد الشعر ، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، أبو العباس ، المعروف بـــ "ثعلب" ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة – مصر ، ط٢ ، عام ١٩٩٥م .
١٠٦.القواعد العروضية وأحكام القافية العربية ، محمد بن فلاح المطيري ، تقديم : سعد بن عبد العزيز مصلوح و عبد اللطيف بن محمد الخطيب ، ط١ ، ١٤٢٥هــ – ٢٠٠٤م ، غراس للنشر و التوزيع ، مكتبة أهل الأثر ، الكويت."
١٠٧.الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٤١٥هــ – ١٩٩٤م."
١٠٨.الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار الفكر العربي ، القاهرة – مصدر ، ط ٣ ، ١٤١٧هــ-١٩٩٧م .
١٠٩.الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، أبو بشر ، الملقب ب سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، عام ١٤٠٨ – ١٩٨٨ ، ج ٣ .
١١٠.كشف المشكل في حديثالصحيحين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : علي حسب البواب ، دار الوطن ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ج٢ .
١١١.لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، عام ١٤١٤ه.

١١٢.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، نصر الله بن محمد ، تحقيق : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ج٣ .
١١٣.المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي ، دار النشر : دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م ، ج١ .
١١٤.مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت– لبنان ، ج١ .
١١٥.المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م .
١١٦.المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٤١٧هـ–١٩٩٦م، الباب : القوية الشداد . "
١١٧.المرشد الوافي في العروض والقوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
١١٨.المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج١ ، دار الآثار الإسلامية ، ط٣ ، الكويت ، ١٩٨٩م–١٤٠٩هـ .
١١٩.المستقصي في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ج ٢ .
١٢٠.مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل بن عبد الله الشيباني ، الناشر: مؤسسة قرطبة ، القاهرة – مصر .
١٢١.مصادر الشعر الجاهلي ، دراسة وتحقيق : ناصر الدين الأسد ، دار المعارف– مصر ، ط٧ ، عام ١٩٨٨م .

١٢٢.مصنف عبد الرازق ، أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت– لبنان ، ط٢ ، عام ١٤٠٣ه ، ج٤ .
١٢٣.المعاني الكبير، في أبيات المعاني ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق : سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الهند ، ط ١، ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩م ، ج ١ .
١٢٤.المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين ، القاهرة– مصر ، عام ١٤١٥هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
١٢٥.معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٥م .
١٢٦.معجم السفر ، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: المكتبة التجارية – مكة المكرمة، ج ١ .
١٢٧.المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، إيميل بديع يعقوب ، ط١ ، ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
١٢٨.معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتاب ، بيروت – لبنان، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، ج ٤ .
١٢٩.معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٥– ١٩٧٩ ، ج٤ .
١٣٠.المعمرون والوصايا من العرب وطرف من أخبارهم وماقالوه في منتهى أعمارهم ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري ، تحقيق : محمد أمين الخانجي ، ط ١ ، عام ١٣٢٣ه–١٩٠٥م ، مطبعة السعادة ، مصر .
١٣١.المغازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، المحقق : مارسن جونس ، بيروت – لبنان ، عالم الكتب ، ج١ .

١٣٢.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقق : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٥م ، ج١ .
١٣٣.مفاهيم في الأدب والنقد ، حكمت علي الألوسي ، مطبعة دار التاليف ، بغداد – العراق ، عام ١٩٧٦م–١٩٧٧م .
١٣٤.مفردات ألفاظ القرآن – نسخة وحققة – الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار القلم ، دمشق – سوريا ، ج١ .
١٣٥.المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر ، عدنان حقي ، دار الرشيد ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
١٣٦.من النقد والأدب ، أحمد أحمد بدوي (المجموعة الخامسة) ، ١٣٨٣هـ–١٩٦٥م ، مطبعة لجنة البيان العربي .
١٣٧.الموازنة بين الشعراء ، محمد زكي عبد السلام مبارك ، دار الجيل ، بيروت– لبنان، ط١ ، عام ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
١٣٨.موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، ط٢ ، ١٩٥٢م.
١٣٩.موسيقى الشعر العربي قديمة وحديثة ، عبد الرضا علي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٧م ، عمان– الأردن .
١٤٠.ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، أحمد الهاشمي ، تحقيق : حسين عبد الجليل يوسف – مكتبة الداب (علي حسن) ، القاهرة – مصر ، ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧م .
١٤١.نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت– لبنان ، ج ٤ .
١٤٢.النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة – مصر ، دار ومطابع الشعب ، عام ١٩٦٣م .

١٤٣.نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
١٤٤.النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٩٦م .
١٤٥.الهجاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت– لبنان ، ط ٢ .
١٤٦.الورد الصافي من علمي العروض والقوافي ، حسن إبراهيم عمري ، الدار الفنية ، القاهرة – مصر ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .
١٤٧.الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، الناشر :مطبعة عيسى البابي الحلبي .
١٤٨.الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي .
١٤٩.الوصف في الشعر العربي ، الوصف في العصر الجاهلي ، عبد العظيم علي قناوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٦٨هـ–١٩٤٩م ، ج١ .

فهرس الموضوعات